ديوان

إبراهيم ناجي



دار العودة . بيروت







ديوان ابراهيم ناجي



ديوان

ابراهيم ناجي

دار العودة - بيروت

١٩٨٦

كورنيش المزرعة - بناية ريفييرا سنتر
تلفون : ٣١٠٨٤٠ - ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥
تلكس AWDA 23682 LE
ص . ب ١٤٦٢٨٤

وراء الغمَام

الاهداء

أنتَ وحيُ العبقريهْ وجلالُ الأبديهْ
أنت لحنُ الخلد والر حمة في أرض شقيهْ
أنت سرٌّ تعبتْ فيـ ـه العقول البشريهْ
إن تكن أشجتك أشعا ري وأناتي الشجيهْ
فتقبّلْ طاقةً بالد م والدمع نديهْ
وارض عنها! وإذا لم ترض فاغفرْ لي الهديهْ

* * *

يا حبيبي! نضب العمرُ وقرّبنا الضحيهْ!
إن يكن قد شقي الما ضي فما أهنا البقيهْ
في خيالاتٍ غوالٍ وأمانٍ ذهبيهْ
يطلع الصبح عليها مثلما تمضي العشيهْ
أنت صهباء السماوا تِ ! وروحٌ قُدُسيهْ
بتَّ تسقينيْ فتنسيـ ـني أوجاعيْ العصيهْ
فسلاماً كل حينٍ وغراماً وتحيهْ!

المآب

(رفيق من رفاق الصِّبا، رآه الناظم
عليلا محموماً بعد غربة طويلة)

لِمَن العيونُ الفاتراتُ ذبولا
ومَن الخيالُ موسَّداً محمولا
يا همّ قلبي في صبا أيامهِ
وسهاد عيني في الليالي الأولى
عيناي كذّبتا وقلبي لم تدعْ
دقاتُه شكاً ولا تأويلا
يا أيها الملك العليل أفقْ تجدْ
مُضناكَ بين العائدين عليلا
يوم المآب كم انتظرتُك باكياً
وبعثتُ أحلامي إليك رسولا
خاطبتُ عنك فما تركتُ مخاطباً
وسألتُ حتى لم أدعْ مسؤولا
وغرقتُ في الأملِ الجميلِ فلم أدعْ
متخيَّلاً عذباً ولا مأمولا
وبكيتُ من يأسي عليك فلم أذرْ
عند المحاجرِ مدمعاً مبذولا
وأسائلُ الزمنَ الخفيَّ لعلهُ
يشفي أواماً أو يبل غليلا
«يا أيها الزمن الذي أسرارُه
لا تستطيعُ لها العقولُ وصولا»
«بالله قل أوما وراءك لحظة
جمعت خليلاً هاجراً وخليلا؟»
هي لحظةٌ وهي الحياةُ ومن يعشْ
من بعدِها يجدُ الحياةَ فضولا

مرَّ الظلامُ وأنت ملْءُ خواطري
ودنا الصباحُ ولم أزلْ مشغولا
وأتى النهارُ على فتىً أمسى بما
حمل النهارُ من الشؤونِ ملولا
وكذا الحياةُ تُملُّ إن هي أقفرت
ممن يهوّنُ عِبأها المحمولا
كدٌّ على كدٍّ ولست ببالغ
إلا ضنىً متتابعاً ونحولا
صدأُ الحوادثِ بدّل الاشراقَ في
فكري وكدّر خاطري المصقولا
وتتابعُ الأنواءِ في أفقِ الصّبا
لم يُبقِ لي صحواً أراه جميلا
ذهب الصبا الغالي وزالت دوحةٌ
مدت لنا ظلَّ الوفاء ظليلا
أيام يخذلني أمامك منطقي
فاذا سكتُّ فكل شيءٍ قيلا!
ويثور بي حُبي فإنْ لفظٌ جرى
بفمي تعثر بالشفاه خجولا
يا مَن نزلتُ بنبعهِ أردِ الهوى
فأذاقنيه محطماً ووبيلا
ما راعني ما ذقتُه وخشيت أن
ألقاك بالداءِ الدفين جهولا
فأشدّ ما عانى الفؤاد صبابةٌ
شبّتْ وظل دفينها مجهولا!

ساعة لقاء

يـا حبيبَ الروحِ يـا روحَ الأماني
لستَ تدري عطشَ الـروحِ إليكا
وحـنيـني فـي أنيـنٍ غيــرِ فــانٍ
لـلرَّدى أشــربُــه من مـقـلتيـكـا

* * *

آهِ مـن ســاعــةِ بـثٍّ وشــجــونْ
ولقــاءٍ لم يكنْ لي في حــســابْ
وحـديثٍ لم يدرْ لي في الـظنـونْ
يـا طويـلَ الهجـرِ يـا مُـرَّ الغيـابْ

* * *

حــلّ يـا ســاحـر صفــوٌ وسـلام
بعـد فتـكِ البينِ بـالقلبِ الغـريبْ
ودنــا روْضٌ وظــلٌّ وغــمــامْ
بعـد فتك النـارِ بالعمـرِ الجديبْ!

* * *

مـرَّتِ الســاعــةُ كـالحِلم السعيـدْ
ومشتْ نشــوتهــا مشي الــرحـيقْ
ذهبَ العمــرُ، وذا عمـرٌ جــديـدْ
عشتــه من فمِـك الحلوِ الــرقيقْ!

* * *

مــرّتِ الــســاعــةُ والـليــلُ دنــا
والهــوى الصـامتُ يغـدو ويـروحْ
وتــلاشــتْ واختـفـتْ أجـســادُنــا
واعتنقنـا في الدُّجى روحـاً بـروحْ

* * *

تسمعُ الشعرَ وشعري منك لكْ
وبإلهامك أبدعتُ الرويّ
أنت يا معجزَةَ الحسنِ ملكْكلُ لفظٍ
منك شعرٌ قُدسيّ

* * *

راجعتنا في جلالٍ وسكوتْ
وتوالتْ صورُ الماضي الحزينْ
كيف يبلى يا حبيبي أو يموتْما طبعناهُ
على قلبِ السنينْ

* * *

كيف يفنى ما كتبناهُ بنارْ
وخططْناهُ بسهدٍ ودموعْ
يشهدُ الليلُ عليه والنهارْوالشهيدُ
المتواري في الضلوعْ

* * *

التقت أرواحُنا في ساحةٍكغريبين
استراحا من سَفرْ!
وحطَطْنا رحلَنا في واحةٍ
زادُنا فيها الأمانيْ والذِكرْ
وتساءلتُ عن الماضي وهلْحَسُنت
دنيايَ في غير ظلالِكْ؟
يا حبيبي! أين أمضي من خجل
وفؤادي أين يمضي من سؤالِكْ!

* * *

شدَّ ما يُخجلُني جهدُ المُقِلْ
مِن شبابٍ ضاعَ أو من نورِ عينِ

يتمشى السقمُ في قلب الأجلْ
وأراني لك ما وفّيتُ دَيْني

* * *

أنا شاديكَ ولحني لك وحدكْ
فاقضِ ما ترضاهُ في يومي وأمسي
درجَ الدهرُ وما أذكرُ بعدَكْ
غيرَ أيامِك يا توأم نفسي!

* * *

وأنا الطائرُ! قلبي ما صبا
لسوى غصنِك والوكرِ القديمْ
ما تبدّلنا! ولا حالَ الصِّبا
والهوى الطاهرُ والودُّ الكريمْ

* * *

لم تَزَلْ ذكراهُ من بالي وبالِكْ كيف
ينسى القلبُ أحلامَ صباهْ؟
قد صحتْ عيني على فجر جمالكْ
كيف يُنسى الفجر يافجرَ الحياهْ؟

العودة

(عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها
قد تغيَّرت حالها)

هذه الكعبةُ كنّـا طائفيهـا
والمصلّين صـبـاحـاً ومـسـاءَ
كم سجـدنا وعبـدنـا الحسنَ فيهـا
كـيـف بـالله رجـعـنـا غـربـاءَ

* * *

دارُ أحـلامـي وحبـي لـقـيـتْـنـا
في جمـودٍ مثلمـا تلقى الجـديـدْ
أنكـرتنـا وهي كـانت إن رأتنـا
يضحـكِ النـورُ إلينا من بعيـدْ

* * *

رفـرف القلبُ بجنبي كـالـذبيـحْ
وأنـا أهـتـف: يـا قـلـب اتَّئِـدْ
فيجيبُ الـدمعُ والمـاضي الجريـحْ
لِمَ عُـدنـا؟ لَيت أنّـا لَم نعُـدْ!

* * *

لِمَ عُدْنَا؟ أو لَمْ نَطو الغَرَامْ
وفَرَغْنَا مِن حـنـيـنٍ وألَـم
ورَضـيـنـا بـسـكـونٍ وسـلامْ
وانـتهـينـا لـفـراغٍ كـالـعَـدَمْ؟!

* * *

أيـهـا الـوكـر إذَا طـارَ الأليفْ
لا يَـرَى الآخـرُ معنًى للسمـاءْ

ويَرَى الأيامَ صفراً كالخَريفْ
نائحاتٍ كرياحِ الصَّحراءْ

* * *

آه مما صنع الدهرُ بنا
أو هذا الطلَلُ العابسُ أنتَ!
والخيالُ المطرقُ الرأس أنا
شدَّ ما بتنا على الضنْكِ وبتَّ

* * *

أين ناديك وأين السمرُ
أين أهلوك بساطاً وندامى
كلما أرسلتُ عيني تنظرُ
وثبَ الدمعُ إلى عيني وغامَا

* * *

موطنُ الحسنِ ثوى فيه السأمْ
وسرت أنفاسُه في جوِّهِ
وأناخَ الليلُ فيه وجثم
وجرَت أشباحُه في بهوِهِ

* * *

والبلى! أبصرتُه رأيَ العيانْ
ويداه تنسجان العنكبوتْ
صحتُ! يا ويحك تبدو في مكانْ
كل شيء فيه حيٌّ لا يموت!

* * *

كل شيء من سرورٍ وحَزَنْ
والليالي من بهيجٍ وشجى

وأنا أسمع أقدامَ الزمنْ
وخُطى الوحدةِ فوق الدرج

* * *

ركنيَ الحاني ومغنايَ الشفيقْ
وظلالُ الخلدِ للعاني الطليحْ
علم اللهُ لقد طال الطريقْ
وأنا جئتك كيما أستريح

* * *

وعلى بابِك ألقي جَعبتي
كغريبٍ آبَ من وادي المحنْ
افيك كف اللهُ عني غربتي
ورسا رحلي على أرضِ الوطن!

* * *

وطني أنتَ ولكني طريدْ
أبديُّ النفي في عالَمِ بؤسي!
فإذا عدتُ فللنجوى أعودْ
ثم أمضي بعدما أفرِغُ كأسي!

الحنين

(الحنين اذا كبر وزاد
قد يتجسم شخصاً)

أمسي يعذبني ويضنيني
شوقٌ طغى طغيانَ مجنون
أين الشفاء ولمَ يعد بيدي
إلَّا أضاليلٌ تداويني
أبغي الهدوء ولا هدوء وفي
صدري عبابٌ غير مأمون
يهتاج إن لَجَّ الحنين به
ويئن فيه أنينَ مطعون
ويظل يضرب في أضالعه
وكأنها قضبان مسجون
ويحَ الحنين وما يجرعني
من مُرِّه ويبيت يسقيني
ربيتُه طفلاً بذلتُ له
ما شاء من خفضٍ ومن لينِ
فاليوم لمّا اشتدّ ساعدُه
وربا كنوارِ البساتينِ
لَم يرضَ غير شبيبتي ودمي
زاداً يعيشُ به ويفنيني
كم ليلةٍ ليلاءَ لازمني
لا يرتضي خلاً له دوني
ألفي له همساً يخاطبني
وأرى له ظلاً يماشيني
متنفساً لهباً يهبُّ على
وجهي كأنفاسِ البراكين
ويضمُّنا الليلُ العظيمُ وما
كالليلِ مأوى للمساكين

الناي المحترق

كَم مرَّةً يا حبيبي   والليل يغشي البرايا
أهيم وحدي وما في   الظلام شاكٍ سوايا
أصيِّرُ الدمعَ لحناً   وأجعَلُ الشعرَ نايا
وهل يلبّي حطام   أشعلته بجوايا
النارَ توغل فيه   والريحُ تذرو البقايا
ما أتعسَ الناي بين المـ   ـنى وبين المنايا
يشدو ويشدو حزيناً   مرجعاً شكوايا
مستعطفاً مَنْ طوينا   على هواه الطوايا
حتى يلوح خيالٌ   عرفته في صبايا
يدنو إليَّ وتدنو   من ثغره شفتايا
إذا بحلمي تلاشى   واستيقظت عينايا
ورحت أصغي. وأصغي   لَم أُلفِ إلاَّ صدايا!

المنسي

متى يرق الحظ يا قاسي
ويلتقي المنسيُّ والناسي!
متى! وهل من حيلةٍ في متى
وفي خيالاتٍ وأحداسِ؟
هدَّ قراري جريُها في دمي
وهمسُها في كر أنفاسي
وأنت مثل النجم في المنتأي
وفي السنا الخاطف كالماسِ
يرنو له الناسُ ويبغونه
وما يبالي النجمُ بالناسِ!
وأنت كأسُ الحسنِ لكننا
مثل حبابٍ حامَ بالكاس
طفا وقد قبّل أنوارَها
ورفَّ مثل الطائر الحاسي!
وجفَّ أو ذاب على نورها
كما يذُوب الطلُّ بالآس!

تحليل قبلة

ولمـا التقينـا بعـد نـأيٍ وغـربـةٍ
شجيين فـاضـا من أسىً وحنيـنِ
تسـائلني عيناك عن سـالفِ الهوى
بقلبي وتسـتقـضي قـديـمَ ديـونِ
فقمت وقد ضجَّ الهوى في جوانحي
وأنَّ مـن الـكـتـمـان أيّ أنـيـنِ
يبثُّ فمي سـرَّ الهـوى لمقبِّـل
أجـود لـه بـالـروح غيـرَ ضنين
إذا كنتِ في شكٍّ سلي القبلةَ التي
أذاعـت من الأسـرارِ كـلَّ دفـين
منـاجـاةَ أشـواقٍ، وتجـديـدَ مـوثق
وتبـديـدَ أوهـامٍ، وفضَّ ظنـون
وشكوى جوىً قاسٍ، وسقمٍ مبرحٍ
وتسهيـدَ أجفـانٍ، وصبـرَ سنين!

الحياة

(استعراض للحياة في شارع)

جلستُ يوماً حين حلَّ المساءْ
وقد مضى يومي بلا مؤنسِ
أُريحُ أقداماً وهتْ من عياءْ
وأرقبُ العالَمَ من مجلسي!

* * *

أرقبه! يا كَدّ هذا الرقيبْ
في طيّب الكون وفي باطلهْ
وما يبالي ذا الخضمُ العجيبْ
بناظر يرقب في ساحلهْ

* * *

سيان ما أجهلُ أو أعلم
من غامضِ الليلِ ولغزِ النهارْ
سيستمرُّ المسرحُ الأعظَمُ
روايةٌ طالت وأين الستار

* * *

عييتُ بالدنيا وأسرارِها
وما احتيالي في صموتِ الرمالْ!
أنشدُ في رائع أنوارها
رشداً فما أغنمُ الاّ الضلالْ!

* * *

أغمضتُ عيني دونها خائفاً
مبتغياً لي رحمةً في الظلامْ

فصـاح بي صـائحُهـا هـاتـفـا
كـأنـمـا يـوقـظني من منـامْ:

* * *

أنت امـرءُ تـرزحُ تحت الضـنى
لم يبقِ منك الدهـرُ إلا عنـادْ!
وكـل مـا تـبـصـرهُ مـن سنـا
يهـزأ بـالجـذوة خلف الـرمـادْ!

* * *

وكـل مـا تُـبـصـره مـن قـوى
تـدوي دويَّ الريـحِ عند الهبـوبْ
يـسخـر مـن مبـتئس قـد ثـوى
يـرنـو إلى الـدنيـا بعين الغـروبْ!

* * *

أنـظرْ إلى شتى معـاني الجمـالْ
منبثـة في الأرض أو في السمـاءْ
ألا تـرى في كـل هـذا الجلال
غيـر نـذيـرٍ طـالـعٍ بـالفنـاءْ!

* * *

كم غـادة بين الصبـا والشبـابْ
تـأنّـق الصـانـع فـي صنـعـهـا
تخـطرُ والأنـظار تحـدو الركـاب
ولفـظة الإعجـاب في سمعهـا!

* * *

وربـمـا سـار إلى جـنـبـهـا
مـدلّـةً ليس يبـالي الـرقيـبْ

يمشي شَـديدَ العجب في قـربهـا
إذ راح يـوليهـا ذراعَ ألـحبيبْ!

* * *

وأنـظر إلـى سيـارة كـالأجـلْ
تخـطفُ خطفاً لا تُبـالي الـزحـامْ
هذا الردى الجاري اختراع الرجلْ
هل بعد صنع الموت شيءٌ يُرامْ!

* * *

وانـظر إلى هـذا القـويِّ الجسـدْ
البـاتـر العـزم الشـديـد الكفـاحْ!
قـد أقبـل الليـلُ فـحيَّ الـجلد
في رجـل يـدأبُ منـذ الصبـاحْ

* * *

أجبتُ: يـا دنياي من تخـدعين؟!
إني امـرؤٌ ضـاق بهـذا الخـداعْ
مـزَّقتِ عن عيشي هنـيِّ السـنيـن
لأنـني مـزقـتُ عنـكِ القـنـاعْ!

* * *

ان الجمـالَ السـاحـرَ الفـاتنـا
يـا ويحـه حين تغيـر الغضـون
ويـعبـثُ الـدهـرُ بحـلو الجنَـى
وتـسـتـر الـصبـغـةُ إثمَ الـسنينْ!

* * *

وهــذه الـسـيـارةُ الـعـاتـيـهْ
وربُهـا الجبـارُ كـالبـرقِ سـارْ

مــا هــي الا شُــعَــلٌ فــانــيــهْ
نصيبُهــا مثــلُ شعــاع الـنهــارْ!

* * *

وارحـمـتــاه لــلـقــويِّ الـصــبــورْ
يقضي الليـالي في كفاحٍ سخيفْ
وكيف لا أبـكي لـكــدح الفـقيــرْ
أقصى منــاه أن ينــال الــرغيفْ!

* * *

كم صِحتُ إذا أبصرتُ هذا الجهادْ
ومـبسـم الـذلـة فــوق الـجـبــاهْ
يــا حسـرتــا ممــا يــلاقي العبادْ
أكُــلُّ هــذا في سبيــل الحيــاهْ؟!

* * *

وفـي سبـيــل الــزاد والـمــأكــل
نــمــلأ صــدرَ الأرضِ إعــوالا
كم يسخــر النجمُ بنــا مِن عــل
وكــم يــرانــا الــلّهُ أطــفــالا!

* * *

يــا ربِّ غفــرانــك إنــا صِغــارْ
نــدبّ في الـدنيــا دبيبَ الغـرورْ
نسحب في الأرض ذيـولَ الصغارْ
والشيــبُ تــأديبٌ لـنــا والقبــورْ!

* * *

قلب راقصة

أمنسيتُ أشكــو الضيقَ والأينــا
مستغــرقــاً في الفكــرِ والســأمِ
فـمضـيــتُ لا أدري إلـى أيـنــا
ومشيت حيث تجــرّني قـدمي

* * *

فــرأيتُ فيمــا أبصَــرَتْ عـيني
مَلهىً أعِــدَّ لـيبـهــجَ النــاســا
يـجلون فـيــه فــرائــدَ الحـسن
ويبــاع فَيــه الـلهــو أجنــاســا

* * *

بــغــرائــب الألــوان مــزدهــر
وتــراه بــالأضــواء مــغــمــورًا
فقصــدتــه عَجــلاً ولي بـصــرُ
شبــه الفــراشــة يعشق النــورًا!

* * *

ودخلتهُ أجــتــازُ مــزدحــمــاً
بــالـخَلق أفــواجــاً وأفــواجــا
وأخــوضُ بحــراً بــات ملتـطمَــاً
بــالنــاس أمــواجــاً وأمــواجــا

* * *

فقـدوا حجـاهم حينمـا طـربــوا
ودووا دويَّ الـبحــرِ صـخّـابــا
فــإذا استقــرّوا لحــظةً صخبـوا
لا يملكــون الـنفسَ إعــجــابــا

* * *

متوثبين يميلُ صفُّهم
متطلعَ الأعناق يتقدُ
ومصفقين علَتْ أكفُّهم
فوّارةً فكأنها الزبدُ!

* * *

لِمَ لا أثورُ اليومَ ثورتهم؟
لِمَ لا أجرّبُ ما يحبونا؟
لِمَ لا أصيح اليومَ صيحتهم؟
لِمَ لا أضجُّ كما يضجونا؟!

* * *

لِمَ لا تذوق كؤوسَهم شفتي؟
إنَّ الحجا سُمّي وتدميري
في ذمةِ الشيطانِ فلسفتي
ورزانتي ووقارِ تفكيري!

* * *

يا قلبُ! ضقتَ وها هنا سعةٌ
ومجالٌ مصفودٍ بأغلال
أتقول أعمارٌ مضيعةٌ؟!
ماذا صنعت بعمرك الغالي؟!

* * *

أنظر ترَ السيقان عاريةً
وترَ الخصورَ ضوامراً تغري
وتجدْ عيون اللهو جارية
فهنا الحياة! وأنت لا تدري

* * *

مَنْ هــذه الحسناءُ يــا عيني؟
الــســحــرُ كــلُّهــا وظــلُّهــا
كــالـطيــرِ من غصنٍ إلى غصنِ
وثّــابــةً، وثـب الفؤاد لـهــا!

* * *

وتــراه حــســنــاً غـيــرَ كــذابِ
لا مــا يـزيـفــه لــك الضــوءُ
ويــزيــد فـتـنـتَـهــا بــاغــرابِ
حــزنٌ وراءَ الحســن مخـبــوءُ!

* * *

ثم اختفتْ والجمــعُ يــرقـبهــا
ويلحُّ: عـودي! ليس يـرحمهــا
هــي متعــةٌ لــلحسِّ يــطلبهــا
وأنــا بــروحي بتُّ أفـهمُـهــا!

* * *

ورأيتُـهــا فــي آخــر الـليــلِ
في فتيــةٍ نصبـوا لهــا شــركــا
يعلو سنــاهــا الحــزنُ كــالــظل
مــسكـينــة تـتكـلّفُ الضـحـكــا

* * *

فمضيتُ تــوّاً، قلت: سيـدتي!
زنــتِ الـمــراقص أيّما زيــن!
هــل تــأذنين الآن ســاحــرتي
تــأكيــدَ اعجــابي بكــأسين؟

* * *

فـتمـنّـعـت وأنــا ألـحّ سـدىً
بــالـقــول أغــريـهــا وأعـتــذر

فاستدركتْ. قالت: أراك غداً
ان شئتَ. اني اليوم أعتذر

* * *

وتحوّلت عني لرفقتها
ما بين منتظرٍ ومرتقبِ
فتّانة تغري ببسمتِها
وتحدّدُ الميعادَ في أدبِ

* * *

حان اللقاءُ بغادتي وأنا
أخشى سراباً خادعاً منها
متلهفاً أستبطىءُ الزمنا
وأظل أسأل ساعتي عنها

* * *

وأجيل عينَ الريب ملتفتاً
متطلعاً للباب حيرانا
وأقول: ما يدريك أي فتى
هي في ذراعيْ حبه الآنا!

* * *

مَنْ ذا يُصدّقُ وعدَ فاتنة
لا ترحمُ الأرواحَ إتلافا
أنثى تلاقي كل آونةٍ
رجلاً وترمي الوعد آلافا

* * *

وهممتُ بعد اليأسِ أن أمضي
فاذا بها تختالُ عن بُعدِ
ميّزتها بشبابها الغضّ
وبقدِّها، أُفديه من قدّ!

* * *

يـا لـلقلوب لـمـلتقى اثنـين
لا يـعـلمـان لأيّــمـا سَبَــبِ
جمعتهـمـا الـدنيـا غـريـبين
فـتـآلـفـا في خـلوةٍ عَــجَـبِ

* * *

عجبـاً لـقلب كـان مـطمـعـه
طَـرَبـاً فجـاء الأمـرُ بـالعكس
وأشــدّ مـا في الكـون أجمعـه
بـين الـقـلوب أواصــرُ الـبـؤس

* * *

مَن أنت يـا مَن روحُها اقتـربت
مني وخــاطـب دمعُـهـا روحي
صبّتـه في كـأسي! ومـا سكبتْ
فيـه سـوى أنّـات مـذبـوحِ

* * *

عجبـاً لنـا! في لحـظةٍ صـرنـا
متفـاهـمين بغـيـر مـا أمـدِ!
يـا مَن لقيتُـك أمس! هـل كنـا
روحين ممتــزجين في الأبــدِ؟!

* * *

هـاتي حديثَ السقمِ والـوصبِ
وصِفي حَـقـارةَ هـذه الـدنيـا
اني رأيتُ أسـاكِ عـن كـثـبِ
ولمستُ كَـربَكِ نـابضاً حيًّـا

* * *

لا تكتمي في الصَّـدرِ أسـرارا
وتـحــدثي كـيف الأسـى شـاءَ

أنـا لا أرى إثـمـاً ولا عـارا
لـكـن أرى امـرأةً وبـأسـا

* * *

تجـدين فكـرَك جـدّ مبتعـد
والنـاس نحـو سنـاك دانـونـا
وتـريْن حـالـك حـالَ منفـرد
والـقـومُ كـثـرٌ لا يُـعـدّونـا!

* * *

وتـريـن أنـكِ حيثـمـا كـنـتِ
تـرضـيـن خـوّانـيـن أنـذالا!
يـبغـونـه جـسـداً فـإن بعـتِ
بـذلوا النضـار وأجزلـوا المـالا!

* * *

يـا حـرّهـا من عبـرةٍ سـالتْ
مِن فـاتـكِ العينين مـكحـولِ
وعـذابهـا من وحشـة طـالتْ
وحـنيـن مجـهـولٍ لمـجهـولِ

* * *

أفـنيـتِ عـمـرَك في تـطلبـه
ويكـادُ يـأكـلُ روحَـكِ الملَلُ
فـإذا بـدا مَـنْ تعـجبـين بـه
وتقول روحُك: هـا هو الأمـلُ!

* * *

أدميـتِ قـلبَـك في تـقـرّبـهِ
والقلبُ إن يـخلص يَـهُنْ دمُـهُ
فـإذا حسبتِ بـأن ظفـرتِ بـهِ
فـازت بـه من ليس تـفهـمُـهُ

* * *

سكتت وقــد عجبت لـخلوتـنــا
طــالــتْ كــأنّــا جــدّ عـشــاقِ
وأقــول: يــا طــرباً لنشــوتنــا
صرعى المدامة والجوى الساقي!

* * *

أفــديــكِ بــاكــيــةً وجــازعــةً
قــد لفّهــا في ثــوبــهِ الغسقُ
ودعــتُهــا شــمــســاً مــودّعــة
ذهبت وعنــدي الجــرحُ والشفقُ

* * *

تمضي، وتجهـلُ كيف أكبـرهــا
إذ تختفي في حــالـك الـظلم
روحــاً إذا أثـمـت يـطهـرهــا
نــاران: نــارُ الصبــرِ والألَـمِ!

* * *

الميعاد

إن عُـدتَ أو أخلفتَ لم تعـدِ
أنـا إلف روحـك آخـر الأبـدِ
ظمـأٌ على ظمـإٍ على ظمـإٍ
ومـواردٌ كـثـرٌ ولـم أردِ
مـرَّ الـظلامُ وأنـت لي شجنٌ
وأتى النـهـارُ وأنت فـي خلدي
لا يسمـع البحـرُ الغضـوبُ إلى
شـاكٍ ولا يـصغـي إلى أحـدِ!
كم لاح لي حـربُ الحياة على
أمـواجـهِ المجنـونـةِ الـزبـدِ
ورأيتُ طيفَ الضنك مـرتسمـا
فـي عـاصـفِ الأنـواءِ مـطَّردِ
في الليـل مـدَّ رواقـه وثـوى
كجـوانـحٍ طُـويت على حسـدِ
قـبـر مَـبـاهـجُـه بـلا عـددٍ
لـفـتـى مـتـاعـبُـه بـلا عـددِ
مَـن يـومـه يـوم بـلا أمـلٌ
وغـدٌ بـلا سلوى وبعـد غـدِ
لـولاك والعهـد الـذي عقـدتْ
بيني وبيـنـك مهجتي ويـدي
أضجعتُ جنبي جـوفَ غيهبـه
وأرحـتُ فيـه بـاليَ الجسـدِ
يـا مخلفَ الميعـادِ عُـدْ لتـرى
جزعَ الغـريب وضيعةَ الـرشـدِ
وليـاليـاً مـوصـولـةً سهـراً
أبـديـةً حـجـريـةَ الـكـبـدِ

وطـليـحَ أسـفـارٍ وعـلّتـه
قـتـالـة لَم تـشـفَ فـي بـلدِ!
يـا شـعـر أيـامـي وأغـنـيتـي
وغليـل ظمـآن الشفـاه صـدي!
يـا ظالمي! عينـاك كم وعـدت
قـلبي إذا شـفـتـاك لَـم تـعـدِ

الميت الحي

(كان الشاعر مريضاً وشعر أنه ينتهي
فكتب القصيدة التالية)

داوِ نــاري والتيــاعــيْ		وتــمــهَّــلْ فــي وداعــيْ
يا حبيبَ العمر هبْ لي		بضعَ لحظاتٍ سراعِ
قفْ تأملْ مغرَبَ العمـ		ـر وإخفــاقَ الشعــاعِ
وابــكِ جبَّارَ الليــالي		هــدَّه طولُ الصــراعِ
واضياع الحزن والـدمـ		ـع على العمر المضاعِ!
وهتاف القلب بـالشكـ		ـوى على غير انتفاعِ
ما يهمّ الناس من نجـ		ـم على وشك الزماعِ
غـاب من بعـد طلوعٍ		وخبـا بعـد التمــاعِ؟!
طال بي سُهدي وإعياً		ئي وقد حان اضطجاعي
وإذا الــراحـة حــانت		بــعــد لأيٍ ونــزاعِ
فصــدور الغيــد سيَّــا		ن وأنيــاب السبــاعِ!

* * *

آه لـــو تقضي الليــالي		لـشتيــت بــاجتـمــاعِ
كـم تمنيتُ وكم مـن		أمــلٍ مُــرّ الخــداعِ!
وقــفــة أقــرأ فــيــهـا		لــك أشعــار الـوداعِ
ســاعــة أغفــر فيهــا		لــك أجيــال امتنــاعِ
يــا مناجــاتي وسرِّي		وخيــالي وابتــداعي
ومتــاعــاً لـعـيــوني		وشـميــمي وسـمــاعي
تبعث السلوى وتنسى الـ		ـموت مهتوك القناعِ:
دمعـة الحزن التي تســ		ـكبهــا فــوق ذراعي!

الوداع

حانَ حِرماني وناداني النذيرْ
ما الذي أعدَدْتُ لي قبل المسيرْ
زمني ضاعَ وما أنصفتني
زاديَ الأولُ كالزاد الأخيرْ
ريُّ عمري من أكاذيب المنى
وطعامي من عفافٍ وضميرْ
وعلى كفِّك قلبٌ ودمٌ
وعلى بابِك قيدٌ وأسيرْ!

* * *

حانَ حرماني فدعني يا حبيبي
هذه الجنةُ ليستْ من نصيبي
آه من دارِ نعيمٍ كلما
جئتُها أجتازُ جسراً من لهيبِ
وأنا إلفك في ظل الصِّبا
والشبابِ الغضِّ والعمرِ القشيبِ
أنزلُ الربوةَ ضيفاً عابراً
ثم أمضي عنك كالطيرِ الغريبِ

* * *

لِمَ يا هاجرُ أصبحتَ رحيما
والحنانُ الجمُّ والرقةُ فيما؟!
لِم تسقينيَ من شهدِ الرضا
وتلاقيني عطوفاً وكريما
كلُّ شيء صار مرّاً في فمي
بعدما أصبحتُ بالدنيا عليما
آه من يأخذُ عمري كلَّه
ويعيدُ الطفلَ والجهلَ القديما!

* *

هل رأى الحبُّ سكارى مثلنا؟!
كم بنينا من خيالٍ حولنا!
ومشينا في طريق مقمرٍ
تثبُ الفرحةُ فيه قبلنا!
وتطلعنا إلى أنجمه
فتهاوين وأصبحنَ لنا!
وضحكنا ضحك طفلين معاً
وعدونا فسبقنا ظلنا!

* * *

وانتبهنا بعد ما زال الرحيق
وأفقنا. ليتَ أنا لا نفيقْ!
يقظةٌ طاحت بأحلام الكَرَى
وتولّى الليلُ، واللّيْلُ صَدِيقْ
وإذا النُّورُ نَذِيرٌ طَالعٌ
وإذا الفجرُ مُطِلٌّ كالحَرِيقْ
وإذا الدُّنيا كما نعرفُها
وإذَا الأحْبَابُ كلٌّ في طَريق

* * *

هاتِ أسعدْني وَدَعْني أسْعدُكْ
قَدْ دَنا بعدَ التَّنائي موردُكْ
فأذقنيه فإنّي ذاهبٌ
لا غدي يُرجَى ولا يُرجَى غدُكْ
وا بلائي من لياليَّ التي
قرَّبَتْ حَيْني وراحتْ تبعدُكْ!
لا تَدَعْني لليّالي فغداً
تجْرَحُ الفُرْقةُ ما تأسو يَدُكْ!

* * *

أزف البينُ وقــد حـان الــذّهـابْ
هـذه اللَّحـظةُ قُــدَّت مِن عَـذَابْ
أزف البينُ، وهــل كــان النّــوى
يـا حبيبي غيـر أن أغْلق بـابْ؟!
مَضتِ الـشّمْسُ فـأمسيتُ وقــد
أغلقت دونـيَ أبــوابُ السَّحــابْ
وتــلفّــتُ عــلى آثــارهَــا
أسْألُ اللّيْلَ! ومَنْ لي بـالجوابْ؟!

* * *

الزائر

يـا للحبيب المفـدَّى غـداةَ زار وسـلَّمْ
مستَحييـاً والهـوى في ركـابـه يـتـضـرَّمْ
وصـامتـاً وهـو أيـكٌ بـألـفِ شـدوٍ تـرنَّمْ
نـاداه قلبي! ونـاجـا ه خاطري! وهو يعلَمْ!
يـا مطلعَ السحـر والنو ر والـجمـال! تـكَلَّمْ!
أبِـنْ! وإلا أعـنْ قـلـ ـبي الممـزَّقَ وارحَمْ!

* * *

يـا غازيـاً يضرب القلـ ـب وهو حصنٌ مُحَطَّمْ
لـمَّـا طـلعـتَ عـليـه وهَـى وأنَّ وسـلَّمْ
يـا فـتـنـة تـتـهـادى ورحـمـة تـتـبـسَّـمْ
إن لم يكن لي رجاءٌ ولا لـحـظيَ مـغـنـمْ
أو لَمْ يعُـدْ لي نصيبٌ دعني بحسنك أحلمْ!

* * *

الليالي

(١)

مكانيَ الهادئ البعيدْ
كُن لي مجيراً من الأنامْ
قد أمَّكَ الهاربُ الطريدْ
فآوهِ أنتَ والظلامْ

* * *

يا حسنها ساعة انفصالْ
لا ضنْك فيها ولا نكدْ
يا حقبةَ الوهم والخيالْ
هلَّا تمهلتِ للأبدْ؟!

* * *

يا أيها العالم الأخيرْ
ماذا ترى فيك من نصيبْ؟
أراحةٌ فيك للضمير
أم موعدٌ فيك من حبيبْ؟

* * *

كم يَعذُب الموتُ لو نراهُ
أو كان فيك اللقاءُ يُرجى
ينفضُ عن عينه كراهُ
ويقبلِ الراقدُ المسجَّى!

* * *

لكن شكّاً بما تجنّ
خيّم فوق العقولِ جمعًا

عجبتُ للمرءِ كم يئنّ
ويستطيبُ الحياةَ مَرعَى

* * *

قد صار حبُّ الحياةِ منا
يقنع بالجيفةِ السباعْ
وعلم السمحَ أن يضنّا
وثبَّت الجبنَ في الطباعْ!

* * *

(٢)

طال بنا الصمتُ والجمودْ
لا البدر يوحي ولا الغديرْ
يا عالم الضيم والقيودْ
برَّحت بالطائر الأسيرْ!

* * *

هربتُ من عالمٍ أضرّا
وجئت يا كعبتي أزورْ
هاتي خيالاً إذن وشعرا
أسكبهُ في فمِ الدهورْ!

* * *

هرَبتُ من عالمِ الشقاءْ
وجئتُ عَلي لديكِ أحيا!
أشرب من روعةِ السماءْ
شعراً وأسقي الفؤادَ وحيا!

* * *

مللتَ في هاته العوالمْ
مهزلةَ الموت والحياهْ
وصورةَ القيدِ في المعَاصمْ
ووصمةَ الذلّ في الجباهْ

* * *

هياكلٌ تعبرُ السنين
واحدةٌ العيش والنظامْ
واحدة السخطِ والأنينْ
واحدة الحقدِ والخصامْ!

* * *

وواحد ذلك الطلاء
يسترُ خزياً من الطباعْ
أفنى البلى أوجهَ الرياءْ
ولم يذُبْ ذلك القناع!

* * *

بعينها كذبةُ الدموعْ
بعينها ضحكةُ الخداعْ
ومُنحَنَى هاته الضلوعْ
على صوادٍ بها جياعْ!

(٣)

كأن صدر الظلام ضاقْ
من كَثرةِ البثّ كل حينْ!
يا ويحه كيف قد أطاقْ
شكوى البرايا على السنينْ؟!

* * *

كأنما ينفثُ الشهبْ
تخفيفَ كرب يئن منهُ
كالقلب إن ضاق واكتأبْ
تخففُ الذكريات عنهُ

* * *

كم زفرة في الضلوع قرّتْ
يحوطها هيكلٌ مريضْ
مبيدة حيثما استقرت
فان نبُحْ سمّيت قريضْ!

* * *

كم في الدجى آهةٌ تطول
تسري الى أذنه وشعرْ!
لو يفهم النجمُ ما نقول!
أو يفهم الليلُ ما نُسرّ!

* * *

ما بالها أعين الفلك
منتثرات على الفضاءْ
تطل من قاتمِ الحلك
بغير فهمٍ ولا ذكاءْ!

* * *

ألا وفيٌّ ألاَ معينْ
في مدلهمٍ بلا صباحْ؟!
وكلّما جَدَّ لي أنينْ
تسخر بي أنَّةُ الرياحْ!

* * *

هبنا شكونا بلا انقطاعْ
ما حظ شاكٍ بلا سميعْ

وحظ شعرٍ إذا أطاعْ
يا ليته عاش لا. يطيع

* * *

يضيعُ في لجةِ الزمنْ
مبدداً في الورى صداهْ
ولن ترى في الوجودِ مَنْ
يدري عذاب الذي تلاهْ!

(٤)

يا أيها النهر بي حسدْ
لكل جارٍ عليك رفّ
أكُلٌّ راجٍ كما يودّ
يروي ظماه ويرتشفْ

* * *

ومن حبيب إلى حبيب
ترنو حناناً وتبتسمْ
وكل غادٍ له نصيبْ
من مائِك الباردِ الشبمْ

* * *

يا نهرُ روّيتَ كل ظامي
فراح ريّان إن يذُقْ
فكن رحيماً على أوامي
فلي فمٌ بات يحترقْ

* * *

يا نهر لي جذوة بجنبي
هادئة الجمرِ بالنهارْ

فإن دنا الليلُ برَّحَتْ بي
وساكن الليل كم أثارْ

* * *

وقفت حرّان في إزائكْ
فهل ترى منك مسعدُ؟
وددتُ ألقي بها لمائِكْ
لعلها فيك تبردُ

* * *

عالج لظاها فإن سكنْ
فرحمةٌ منك لا تحدْ
وإن عصت نارُها فكنْ
قبراً لها آخر الأبدْ!

* * *

تريني الهاجر الشتيتْ
وقربه ليس لي ببالْ
وكلّما خلتني نسيتْ
مَرَّ أمامي له خيالْ

* * *

تمر ذكرى وراء ذكرى
وكل ذكرى لها دموعْ
وتعبر المشجياتُ تترى
من كل ماضٍ بلا رجوعْ

* * *

ماضٍ وكم فيه من عثارْ
ومن عذابٍ قد انقضى
كم قلت لا يرفع الستارْ
ولا ادكارٌ لما مضى!

* * *

يـــا من أرى الآن نصب عيـني
خـيـالُـه عـطْر الـنـسـمْ
بـالله مـا تـبـتـغـيـه مـنـي
ولـم تـدع لـي سـوى الألـمْ

* * *

فـي ذمـة الله مـا أضـعـتـمْ
مـن مهـجٍ أصـبـحـت هـبـاءْ
لم نجـزكم بـالـذي صنعتمْ
إنّـا غـفـرنـا لـمـن أسـاءْ

* * *

لا تـحـسـبـوا الـبـرءَ قـد ألَـمّ
فـلم يـزل جـرحـنـا جـديـدا
يـخـدعـنـا أنّـه الـتـأمْ
ولم يـزل يخبىءُ الـصـديـدا!

* * *

يـا أيهـا الليـل جئـتُ أبكي
وجئـتُ أسـلو وجئـت أنـسـى
طـال عـذابي! وطـال شكـي
ومـات قـلبـي، ومـا تـأسّـى!

* * *

الجمال الضنين

قلْ للبخيل إذا ما عزَّ مشرعهُ:
يا مانع الماء عني كيف تمنعهُ
غرَّ حسنك أن الخلدَ جدولُه
وأنّه من غريبِ السحرِ منبعهُ؟
يا أيها الكوكب المحبوس في فلكٍ
مبددٌ مجده فيه مضيّعُه!
هيهات يخلد حسنٌ لا يؤلهه
شعرٌ من النسق الأعلى ويرفعُه!
أنا شهيدك، والقلب الضحوك إذا
أدميتَه، والمغنّي إذ تقطّعُه
هل منك يوم رضىً ضنَّ الزمانُ به
أعيا خيالي وأضناني توقّعُه؟!
كم بتُّ منتبهاً أصغي لخطوته
أراه في الوهم أحياناً وأسمعهُ!
وأنت في أُفق الأوهام طيف صبا
سما ودقَّ على الأفهام موضعهُ
كأنك النسمُ النشوانُ منطلقا
أظل كالنفس الحيرانِ أتبعهُ
تعالَ وادنُ بيوم لا نحسُّ به
أجسادَنا. في صفاء، لا نضيعهُ!
لكن أحسك تجري في صميم دمي
أنت الحياةُ، وأنت الكونُ أجمعُهُ!

ليالي الأرق

(زيارة من حبيب يسأل: لماذا نتلقى هذه اللحظات الهاربة ما دمنا نفترق بعد ذلك).

هل في العصيب المدلهمْ   مصغٍ لشاكٍ لُم ينمْ
سهدٌ على سهدٍ وذكـ   ـرى فوق ذكرى تزدحمْ
وحنين قلب لا يثو   ب إلى خيالٍ لا يلمْ
يا من أحب وافتدي   ويلذّ لي فيه الألمْ
لو كنتَ تسمع لاستراحـ   ـت من الشكايةِ للظلمْ
ان الكواكبَ ضقنَ بي   ذرعاً وآسيها سئِمْ
ومن العجائبِ في الليـ   ـالي والحوادث تستجمْ
شكوى الحيارى في الحيا   ة إلى حيارى في السدَمْ!

* * *

لمنْ انتظاري في الظلا   م كأنَّ بي شبه اللممْ؟
وتساؤلي في حالكٍ   لا صوت فيه ولا قدمْ؟
وعلام اصغائي لعـ   ـلّ خطاكِ هذي عن أممْ؟
ليلي العشية مثل ليـ   ـلي في غرامكِ من قِدَمْ
يا طالما أدنتكِ أو   هامٌ كواذبُ كالحُلمْ
فلمحت صبحكِ في السوا   دِ وخلتُ روحكِ في النسمْ
وشفيتُ وهمي من رضا   كِ ورُبَّ ذي يأسٍ وَهَمْ
ورويتُ أذني من حديـ   ـثكِ وهو معبود النغمْ
وحرقت قلبي من سنا   كِ على جمالٍ يضطرمْ
كفراشةٍ حامت عليـ   ـكِ وأيّ قلبٍ لَم يحُمْ!

* * *

لك حسنُ نوّار الخميـ   ـلةِ طُلّ صبحاً فابتسمْ
لك نضرةُ الفجر الجميـ   ـل على الذوائب والقممْ
لك طلعةُ البرءَ المرجّـ   ـى بعد مستعصى السقمْ

لك كل ما أوفى على   قــدر النهـايــة واستتمْ
فــبـــأي قـلبٍ أتــقـي   وبـــأي حصنٍ أعتصمْ؟

* * *

يـا زائـراً عجــلانَ لَمْ   يـطلِ اللقـاءُ ولَمْ يقمْ
ودّعتَ مـا أشبعتَ لي   روحي ولا نظري النهِمْ
ومضيتَ عن دنيا خلَتْ   وجـرت بنعمى لَم تَتِمْ
لم يبقَ من أثـرِ اللقـا   ء بهـا سـوى عبقٍ ينمْ
وسؤالِ دمعك حين يســ   ـألني ومَن لي بـالكلمْ
لِمَ يـا أليفَ خواطـري   غفت العيون ونحن لَمْ؟!

* * *

وإلامَ تــدفعنـا الحــوا   دث في عُـبابٍ يلتـطِمْ
دَفَعتْ بمـركبِنـا المقــا   ديــرُ الخفيــةُ والقِـسمْ
خَرَجَتْ وما تدري الغَدا   ةَ بـأي صخـرٍ تـرتَـطِمْ
بدَأتْ عَلَى ريح الرضا   والله يــدري المختتمْ!

صخرة الملتقى

(صخرة بين البحر والصحراء كنا نتلاقى عندها
ونستلهم البحر والصحراء أشعارنا).

سألتكِ يا صخرةَ الملتقى
متى يجمع الدهرُ ما فرَّقا!
فيا صخرةً جمعت مهجتين
أفاءا إلى حسنها المنتقى!
إذا الدهرُ لَجَّ بأقداره
أَجَدًّا على ظهرها الموثقا
قرأنا عَلَيْكِ كتابَ الحياةِ
وفضَّ الهوى سرها المغلقا
نرى الشمس ذائبةً في العباب
ونتنظر البدرَ في المرتقى
إذا نشر الغربُ أثوابَه
وأطلق في النفس ما أطلقا
نقول هل الشمس قد خضبته
وخلَّت به دمها المهرقا
أم الغرب كالقلب دامي الجراح
له طلبةٌ عزَّ أن تلحقا
فيا صورة في نواحي السحاب
رأينا بها همَّنا المغرِقا
لنا الله مِنْ صورَةٍ في الضمير
يَرَاهَا الفتى كلما أطْرقا!
يرى صورةَ الجُرْحِ طيَّ الفؤا
دِ ما زال م هبا محرقاً
ويأبَى الوَفَاء عَليه اندمالاً
ويأبى التَّذَكُّر أن يشفقا!

* * *

ويـا صَخْـرَةَ العهـد أبثُّ إليـكِ
وقـد مُزِّق الشَّمـل مـا مـزقـا
أريـك مشيبَ الـفـؤادِ الـشـهـيـ
ـدِ والشيبُ مـا كلَّل الـمفـرِقـا
شكـا أسـره في حبـال الهـوى
وود عـلى الله أن يُـعـتـقـا
فلمَّـا قضى الحظ فـك الأسيـ
ـرِ حـنَّ إلـى أسـره مـطلقـا

الشك

(قد يظفر المرء بقرب حبيبه، ولكنه
يشك في هذا النعيم الذي لقيه، فيبكي
في النعمة كما يبكي في الشقاء).

بي مـا تحسّ وفي فؤادِك مـا بي
فتَعـال نبـكِ أيـا نجيَّ شبـابي
تجـري الدمـوعُ وأنتَ دانٍ واصلٌ
كمسيلهـنَّ وأنْتَ فـي الـغيَّـابِ
أنكـرت بي نـاري عشيـة لاَمَسَتْ
شفتـايَ مِنْـكَ أنـامِـلَ العنـابِ
وجـرت يمين في غَـزيـرٍ حـالـكٍ
مستـرسـلٍ كـالجـدولِ المنسـابِ
وسـألتَ مـا صمتي ومـا اطـراقتي
وعَـلاَم ظلَّت حيـرة المـرتـابِ
أقبِـلْ أذقني مـا اليقين وهـاتـه
خـلواً مـن الآلام والأوصـابِ
أقبِـلْ لأقسـمَ في حيـاتي مـرةً
ان الـذي أسقـاه ليس بـصـابِ
لهفي على هـذا اليقينِ! وطعمُـه
بفمي وتكـذيبي شـهيٌّ شـرابي!

* * *

مَنْ أنتَ؟! من أيِّ العوالم ساحرٌ
مـسـتـأثـرٌ بـأعـنـة الألـبـابِ؟
حـدَّثتُ نفسي إذ رأيْتُكَ بـاديـاً
وأطَـلْتُ تسـآلي بغيـر جـوابِ
مـا يصنع الملكُ الـطهـورُ بعـالَمٍ
فـانٍ وأيَّـامٍ كـلمـع سـرابِ؟

ما يصنع الأبرارُ بالأرض التي
ساوت من الأبرار والأوشابِ؟
دوّارةً أبدَ السنين كعهدِها
من ليل آثامٍ لصبح متابِ
تغلو الحياة بها الى أن تنتهي
عند التراب رخيصةً كترابِ!
يا هيكل الحسنِ المبارَك ركنه
الساحر النور الطهور رحابِ
لا صدقَ إلاَّ في لهيبك وحده
وجلالُه الباقي على الأحقابِ
قدمتُ قرباني إليك بقية
من مهجةٍ ضاعت على الأحبابِ
وَأَذبْتُ جوهَرَها فداءَ نَواظِر
قُدسِيَّةٍ، عُلويّةِ المحرابِ!

خواطر الغروب

قـلتُ للبـحـر إذ وقـفـتُ مـسـاءَ
كم أطلتَ الـوقـوفَ والاصـغـاءَ
وجـعلتَ الـنـسـيمَ زاداً لـروحـي
وشـربـت الـظلالَ والأضـواءَ
لـكـأنَّ الأضـواءَ مـخـتـلفـاتٍ
جَـعَلَتْ مـنـكَ رَوْضَـةً غَـنّـاءَ
مَـرَّ بي عـطرُهـا فـأسكَـرَ نفسي
وَسَرَى في جـوانحي كيف شـاءَ
نشوةٌ لم تطل! صحـا القلبُ منها
مثـلَ مـا كـان أو أشـدّ عنـاءَ
إنـمـا يفـهم الـشبـيـهُ شـبـيـهـاً
أيهـا البحـر، نحن لسنـا سـواءَ
أنت بـاقٍ ونحن حـربُ الليـالي
مَـزَّقـتْـنـا وصـيـرتْـنَـا هـبـاءَ
أنت عـاتٍ ونحن كـالـزبـدِ الـذا
هبِ يعلو حينـاً ويمضي جُفـاءَ!
وعـجيـبٌ اليـك يـممتُ وَجهـي
إذ مـللتُ الـحـيـاةَ والأحـيـاءَ
أبتغي عنـدك التـأسّي ومـا تـمـ
ـلك رَدّاً ولا تـجـيـب نـداءَ!

* * *

كل يومٍ تسـاؤلٌ... ليت شعري
مـن ينبّي فـيـحسـن الإنبـاءَ؟!
ما تقول الأمـواجُ! ما آلم الشمسَ
فـولّـت حـزيـنـةً صـفـراءَ

تـركتنـا وخلفتْ لـيلَ شـكٍّ
أبـديٍّ والـظلمـةَ الـخـرسـاءَ

* * *

وكـأنَّ الـقـضـاءَ يـسـخـر منـي
حين أبكي ومـا عـرفتُ البكـاءَ
ويـح دَمعي وويـح ذلـة نفسـي
لَم تـدع لي أحداثـهُ كبريـاءَ!

* * *

مناجاة الهاجر

دع النفسَ تمرحُ في خيالٍ وأوهام
وخلٍّ لأجفاني كواذبَ أحلامي!
وقل يا حبيب القلب انك عائد
على جهلِ حساد وغفلة لوّامِ
وإنك دانٍ كالربيع وزائرٌ
بضاحك نوار ومخضلّ أكمامِ
تعال اسقني خمرَ المواعيد والرضا
وخلّ الأماني البيض تغمر أسقامي
أيحرم حتى وهم حبك من رمى
بمهجته في ناره دون إحجامِ
وأنفق فيه قلبه وشبابه
فلم يَبْقَ إلاّ الجرح والشفق الدامي!
ومن عجب أحنو على السهم غائراً
ويسألني قلبي متى يرجع الرامي!
فيا لهفه لو كنت أدري بموعدٍ
وراء الليالي أو رجاء بإلمام!
ولو كان عندي غير زفرة آسف
وحسرة أشغارٍ ودمعة أقلامِ
ولو كنت أدري كيف يصفو مغاضبٌ
كأن رضاه في ذرى الكوكب السامي
كأن ائتلاق النجم والنجم مُشرقٌ
ثناياه تبدو في عبوسة أيامي
كأنَّ نسيمَ الليل يحمل طيبه
كأنَّ اصطدام الموج معبودُ أقدام!
فيا أملي النائي إذا كنتُ مذنباً
فقد تبتُ عن ذنبي إليك بآلامي!

حببتك، لا أدري الهوى ما وراءه
وما بعد سقمي فيك عاماً على عامِ
جمالُك نبراسي وروحُك كعبتي
وعيناك وحبي في الحياة وإلهامي!

الصورة

يا رسمَ من أعطى الهوى　　مفتـاحَ قلبي المقفـلِ
في حبـه فنيَ الصبـا　　وشبـاب أيـامي بـلي
يا ويح مـا ضيعت فيـ　　ـه من قليـل مخجـلِ
مـاضيٍّ ضاع ولـو قدر　　ت لجدت بالمستقبـلِ
يـا رسم! كم من ليلةٍ　　أبكي وأستبكيـك لي
حتى رجعتُ مخـادعـاً　　ومضيتُ جـدُّ مضـلِّلِ
أرنُـو لـدمعي بـاديـاً　　في وجهـك المتـهللِ
فـأخـال عينـك هَـزّهـا　　شَكوى الغريب المهمَلِ
فبَكَتْ وتلك دمـوعهـا!　　هَذِي تَسيل وذِي تَلي!

رجوع الغريب

عـادتْ لـطائـرهـا الـذي غنّـاهَـا
وشَـدَا فهـاج حَنينَهـا وشَجـاهَـا
أيُّ الحـظوظ أعـادهـا لـوَفيِّهـا
ونجيِّ وحـدتهـا وإلفِ صبـاهَـا
مشبـوبـة التحنـان تكتم نـارَهـا
عبثـاً وتـأبَى أن يبين لـظاهَـا
يـا إلفيَ المعبـود! سِـرّك ذائـع
نـار الحنين دفينهـا أفشـاهَـا

* * *

مـاذا لقينـا من لـقـاءٍ خـاطفٍ
وعشيـة كالبـرق حـان ضحـاهَـا؟!
يـا ويح هـاتيك الثواني لَم تقف
حتى نسيـغ هنـاءةً ذقنـاهَـا!
حتى يـمتـع بـاليقين مـكـذب
عينيـه في رؤيـا يضـلُّ سنـاهَـا
تمضي لها الأبصارُ مُشعلة الهـوى
وتحـول عنهـا مـا تـطيق لقـاهَـا!

* * *

تخبو العواطفُ في الصدور وتنتَهي
ويَجف في زهـرِ القلوبِ نـداهَـا!
وأنـا أحسُّ اليـومَ بـدءَ عـلاقـةٍ
وعنيف ثـورتهـا وحـزّ مـدَاهَـا!

* * *

لم تُرو منكِ نـواظري وخـواطري
ورجعت أزكى مهجـةً وشفـاهَـا!

مدَّ الخريفُ على الرياض رواقَهُ
ومضى الربيعُ الطلقُ ما يغشاها
ما بالرياض؟! كآبةٌ في أرضِها
وسحابةٌ تغشى أديمَ سماهَا!
جمدت حمائمُ أيكِها وأنا الذي
شاكيتُها فاغرورقت عيناهَا!

* * *

كيف السبيلُ إلى شفاء صبابة
الدهر أجمع ما يبلُّ صداهَا!!
وإلى نسائم جنة سحرية
قرّحتُ أجفاني على مغناهَا!
قضيتُ أيامي أضمُّ خيالَها
وأضعت أيامي أقول عساهَا!

قميص النوم

(كان الشاعر مريضاً فارتدى قميص
النوم فشفي).

يا ليلةً سنحت في العمر وانصرمَتْ
هَـلّا رجعتِ؟ وهـلّا عـادَ أحبـابي؟
(يا ليت شهدَك إذْ لم يَبْق لي أبداً
لَمْ يُبقِ في القَلب تذكاراً من الصابِ)
لَم أنسَ مُهـديَتي جلبـابَهـا وعـلى
جسمي من السقمِ منهـا أيُّ جلبابِ
قميصُ يـوسفَ ردَّ العـينَ مبصـرةً
ففـاز بـالنـورِ ذاكَ المـطرقُ الكـابي
وأنتَ لـو أنّ روحـاً أزمعت سفـراً
أعـدتَهـا وخَيـالُ الموت بـالبـابِ
فَـذُدْ خيالَ المنـايا اليـومَ عن رجُـلٍ
أنـشبـنَ في روحِـه أشبـاهَ أنيـابِ
وإن عجزتَ فكنْ في الموت لي كفناً
أمـتْ وألقـى إلـهـي غيـرَ هـيَّـابِ

الغد

يـا حنـانـاً كيـدِ الآسِيْ الـرؤُوم
وشُعـاعـاً يُشتهَى بعـد الـغُيـوم
أنـا فـي بُعْـدِكَ مفقـودُ الـهُـدَى
ضـائـعٌ أعْشُـو إلى نـورٍ كـريـم
أشتـري الأحلامَ في سُوق المُنى
وأبيعُ العُمْرَ في سُوق الهُمـوم !
لا تقُـلْ لي فـي غـدٍ مـوعـدُنـا
فـالغدُ المـوعُـودُ نـاءٍ كـالنجـوم !

* * *

أغـداً قـلتَ؟ فعـلِّمْني اصـطبـارَا
ليتني أختصـرُ الـعُمْـرَ اختِصـارَا
عَـبَـرَتْ بي نَـشـوةٌ مِـن فَـرَحٍ
فَـرَقَصْنَـا أنـا والـقـلبُ سُكَـارَى
وعَـرَانـا طَـائِـفٌ مِـنْ خَـبَـلٍ
فـانـدَفَعْنـا فـي الأمـاني نتبـارَى
سنَـذمُّ الـنـورَ حـتـى يَـتَـلاشـى
ونـذمُّ الـليـلَ حـتـى يـتـوارَى!

* * *

انـفـردنـا أنـا والقـلبُ عـشـيـا
ننسـج الآمـالَ والنَّجْـوى سـويًّـا
فـركبنـا الـوهـمَ نبـغي دارَهـا
وطـوينـا الـدهـرَ والعـالَم طَيًّـا
فـبـلغـنـاهـا وهـلَلْنَـا لـهـا
ونـزَلنَـا الخُـلْدَ فَيْنَـانـاً نَـدِيًّـا
ولقينـا الحسنَ غَضّـاً والصِّبَـا
وتـمـلَّيْـنَـا الـجـلالَ الأبـدِيًّـا

* * *

قــال لي القلبُ: أحقّاً مــا بلغنــا؟
كيف نــام القَــدَرُ السّــاهــرُ عنّــا؟
أتــراهــا خــدعــةً حــاقــت بنــا؟!
أتــراهــا ظِــنــةٌ مــمــا ظَــنــنّــا؟
قلتُ: لا تجــزع فكم مِّــن منــزلٍ
عــزَّ حــتى صــار فــوق الـمتَــمنى
أذِنَ اللّهُ به بعد النوى
فثوينا واسترحنا وأمِنّا!

* * *

يــا جِنــانَ الخُلْدِ قَــدَّمْتُ اعتــذاري
إذ يَــطوف الخلدَ سقمــي ودَمــاري
أيــهــا الآمــرُ فــي مُــلكِ الــهــوى!
اعــف عــن لــهــفــةِ روحــي وأواري
أشــتــهــي ضَــمَّــكَ حــتى أشــتــفي
فــكــأنــي ظــامــئٌ آخــذ ثــاري!
غــيــر أني كــلّمــا امــتــدت يــدي
لعنــاقٍ خِفتُ أن تــؤذيــكَ نــاري!

* * *

أيهــا النــورُ سَــلامــاً وخشــوعــاً
أيهــا المعْبَــدُ. صَمْتــاً ورُكُــوعَــا
مــلكــت قــلبــي ولُــبــي رهــبــةٌ
عصفت بــالقلب واللُّبِّ جميعَــا
رُبَّ قــول كنــتُ قــد أعــددتُــه
لــكَ إذ ألقــاك يــأبى أن يــطيعَــا
وحــبيسٍ مــن عتــابٍ فــي فــمــي
قــد عصــاني فتفجّــرتُ دمــوعَــا!

* * *

لـذعـتـنـي دمـعـة تـلفـح خـدي
نبهتنـي من ضـلالٍ لـيس يُجْـدِي
واختفتْ تلك الـرُّؤَى عن نـاظـري
وطـواهـا الغيبُ في سِحْـريٍّ بُـرْدِ
وتَـلَفَّـتُّ فـلا أنـت ولا
جنـةُ الخـلد ولا أطيـافُ سَعْـدِ
وإذا بـي غـارقٌ فـي مـحـنَـتـي
وبـلائـي، أقـطعُ الأيـامَ وَحْـدِي

* * *

هـاتِ قيثاري ودَعْني للخيـالِ
واسقني الـوهْمَ! وعَلِّلْ بـالمحـالِ!
ودَع الـصـدق لـمـن يـنـشـده
الحجى خصميَ فـاغمـرْ بـالضـلالِ
وخُـذ الأنـوار عـنّـي، ربـمـا
أجـدَ الـرحمـةَ في جـوف الليـالي
خـلّني بـالـشـوق أستـدني غـدا
فـغـدا عـنـدي كـآبـاد طـوال!

رثاء شوقي

(ألقيت على قبر فقيد الشعر)

قـلْ للذين بكَـوْا على (شـوقي)
النـادبيـن مصـارعَ الـشُّهـبِ
وا لـهفَتـاه لـمصـر والـشَّـرْق
ولـدولـة الأشـعـار والأدبِ!

* * *

دنيـا تَـفـِرُّ اليـومَ في لـحـدٍ
وصحيفـةٌ طُـويتْ من المجـدِ
ومُسـافـرٌ مـاضٍ إلى الـخلد
سَـبَـقـتـهُ آلاءٌ بـلا عَـدِّ

* * *

هـذا ثَرى مصْـرَ الكريمُ، وكمْ
أكـرمـتَـهُ وأشـدْتَ بـالـذكـرِ
يلقـاك في عـطفِ الحبيبِ فنمْ
في النـور لا في ظُلمـةِ القبْـرِ!

* * *

كـم من دفيـنٍ رحتَ تـحييـهِ
وبَعثْـتَـهُ وكَفـفْـتَ غُـرْبَـتَـهُ
فـاحللْ عليـهِ مُكـرّمـاً فيـهِ
يـا طـالـمـا قَـدَّست تُـربتَـهُ

* * *

يـا نـازلَ الصحـراء مـوحـشـةً
ريَّـانـةً بـالـصمـت والعـدمِ
سـالتْ بهـا العبـراتُ مجهشـةً
وجَـرت بهـا الأحـزانُ من قـدمِ!

* * *

هذا طريق قد ألفناهُ
نمشي وراءَ مُشَيِّعٍ غالِ
كم من حبيبٍ قد بكَيْنَاهُ
لم يُمْحَ من خَلدٍ ولا بالِ

* * *

وكأنَّ يومَك في فجيعتِهِ
هو أولُ الأيامِ في الشَّجنِ
وكأنَّما الباكي بدمعتِهِ
ما ذاق قبلك لوعةَ الحَزنِ!

* * *

فاذهبْ كما ذهب النهارُ مضى
قد شيَّعَتْه مدامعُ الشفقِ
واغربْ كما غرب الشعاعُ قضى
رفَّت عليه جوانحُ الغسقِ

* * *

ما كنتَ إلَّا أمةً ذهبتْ
والعبقريَّةُ أمَّةُ الأُمَمِ
أو شُعلةً أبصارَنا خلبتْ
ومنارةً نُصبَتْ على عَلَمِ

* * *

يا راقداً قد بات في مَثوىً
بَعُدَتْ به الدُّنْيا وما بَعُدَا
أيْن النجوم أصوغ ما أهْوى
شعراً كشعْرك خالداً أبدًا؟!

* * *

لكنَّ حزني لو علمْت به
لم يُبْقِ لي صبْراً ولا جُهْدَا
فاعذر إلى يوم نفيك به
حقَّ النبوغِ ونذكرُ المجْدَا

هبة السماء

(ألقيت في حفلة تأبين المرحوم أحمد شوقي
بك بمسرح حديقة الأزبكية).

راحوا بأرواحٍ ظماءْ   يتهافتون على الفناءْ
جفَّت حلوقٌ بعدهم   لم تلقَ دونهمُ رَواءْ
وامأ لكأسٍ كالخُلو   د ومنهلٍ فيه الشفاءْ
كنا إذا ضجَّ الفؤا   دُ وضاق بالدنيا ونـاءْ
نمضي إليه فنستقي   ونَعُبُّ منه كما نشاءْ
فاليومَ إذْ شطَّ المزا   رُ بكم وقد عزَّ اللقاءْ
وبخلْتُمُ بُخْلَ الضَّنين   فحسْبُنا قَطراتُ ماءْ!

* * *

أين الأمين على الإما   رة والحريصُ على اللواءْ؟!
قبسٌ أضاء العالمي   ن كما تُضيءُ لهم ذُكاءْ
ثم اختفى خلف الغيو   ب مخلِّفاً ظُلَمَ المساءْ
فكأنما هبة السّما   ء قد استردَّتها السَّماءْ!

* * *

جزع الرياضُ لطائرٍ   غنَّى فأبدعَ في الغناءْ
حتى إذا خلب العقو   لَ وقيل: سِحرٌ لا مراءْ!
ولَّى عن الأيك الفخو   ر به إلى عرضِ الفضاءْ
فكأنَّه والسُّحْب تطـ   ـويه فيمعن في الخفاءْ
دنيا من الأمل الجميـ   ـل قد استبدَّ بها العفاءْ!
ووراءها شفقٌ من الذ   كرى كجرحٍ ذي دماءْ!
وتُسائل الدُّنْيا التي   ناطت به كلَّ الرَّجاءْ
عن أي سرٍّ طار عنْ   هذي الرُّبى وعلام جاءْ؟!
قم يا فقيدَ الشعرِ وانْـ   ـظُرْ أيَّ حفلٍ للرثاءْ!
أمَمٌ يُصبِّرُ بعضها   بعضاً، وهيهات العزاءْ!

هـذي الجمـوعُ البـاكيـا ... تُ الساخطاتُ على القضاءْ
قـاسمتـهـا أشجـانـهـا ... ووفيت مـا شـاءَ الـوفـاءْ
أوَ لَمْ تجـدكَ لسانهـا الـ ... ـشاكي إذا احتدم البلاءْ؟
أوَ لَمْ تكـنِ غِـرّيـدَهـا ... ونـديمهـا عنـد الصفـاءْ؟
لِمَ لا تـوفّيـك الجميـ ... ـلَ وتَسْتَقلُّ لك الفداءْ؟!

* * *

ومُـنَعّـمٍ بيـن الـقـصـور ... قـد اسْتَتَمَّ لـه الثـراءْ
مـا بـالـهُ حمـلَ الهمـو ... مَ وجشَّم القلبَ العنـاءْ!
وينـوءُ بـالعـبءِ الـذي ... هــو عن أذاه في غَنـاءْ!
ويـحَ الـذكـاءِ ومـا يكلّـ ... ـفُـهُ من الثَّمَنِ الـذَّكـاءْ!
أضنى قـواه ولـم يـدعْ ... مـن جـسـمـه إلاّ ذمـاءْ
والمجـد يوغـل في حنـا ... يـا، روحه والمجـدُ داءْ!

* * *

صرحٌ من الأدب الصميـ ... ـم له على الدنيا البقاءْ
الـدَّهـرُ يـحمـي ركنَـه ... والـفنُّ فـي روح البـنـاءْ

* * *

(شوقي)! على رغم التفرّ ... دِ والـتـفـوق والـعـلاءْ
ذاك الـرقـادُ بسـاحـةٍ ... كـل الـرجـال بهـا سـواءْ
وبـرغـم ذهن كـالـفـرا ... شـة حول مصباحٍ أضاءْ
مثـواك لا تشكـو السكـو ... نَ ولا تمـل من الثـواءْ

* * *

هجاء أعمى بغيض. زوج حسناء

يـا جمـال الصِّبـا وأنس النفـوسِ
خبِّـرينـا عن زوجـكِ المنحـوسِ !
حَـدِّثي أنت عن عمـاه «الحيسي»
وصفي لي الغـرام (بـالتجسيسِ)!

* * *

حــدثينــا عن اللهـيب الـمفـدَّى
وجـمــالٍ يُصَـيِّــرُ الحُــرَّ عَـبْـدا
وجنـونِ الأعمى إذا مـا استجـدى
وهـو يعشــو لنــارِه كـالمجــوسِ !

* * *

يا جمالاً في التـربِ يُلقَى ويُرمَى
يا لَظلمِ الحـظوظِ والحظُّ أعمى!
وبــلائـي أنـي أسـميــه ظـلـمــاً
وهـو لفظٌ ما جـاءَ في القامـوس!

* * *

آه مـن قســوةِ الـطبيعــة شـقـتْ
ظـلـمــةً في مـكــان نــورٍ ورقـتْ
دونَ قـصــدٍ لعـينــه فــاستَبْـقَـتْ
كـوةً في فضــائهــا المـطمـوسِ !

* * *

كــوّةٌ تـنفــذ الـحفيــظةُ عـنـهــا
ويُــطلُّ الــدهــاءُ والخبثُ منهــا!
طــالعتنــا في طلعــةٍ لم تــزنهــا
«كــالفتيل». الحقيـرِ في (الفانـوس)

كــذلــيــل الأبــقــار إذ ربــطوه
وتــراهــم بــخــرقــةٍ عَــصَّــبــوه
فــاذا مــا عصــاهــمــو ضــربــوه
وتمشّى على غــنــاءِ «الالــوس»!

* * *

وتــراه تــقــولُ يــقــطر بــغــضــا
حــيــوانٌ يــريــد أن يَــنــقَــضَّــا
حسبــك الله! عشت تنظر أرضــا
فابق فيها! حُرِمْتَ نورَ الشمــوس!

الانتظار

(وقف الشاعر ينتظر تحت العاصفة
والظلام والبرد).

لعينيكَ احتملنا ما احتملنا
وبالرحمانِ والذلِّ ارتضينا
وهان إذا عطفتَ ولو خيالاً
وأين خيالك المعبود أينا؟!

* * *

تعالَ! فلم يعد في الحَي سارٍ
وهوَّمت المنازلُ بعد وهنٍ
وران على نوافذها ظلامٌ
وقد كانت تطلُّ كألف عينِ

* * *

تعالَ! فقد رأيتُ الكون يحنو
عليّ ويدرك الكرب الملمَّا
ويجلو لي النجومَ فأزدريها
وأغمض لا أريد سواك نجما!

* * *

ومنتظرٌ بأبصاري وسمعي
كما انتظرتكَ أيامي جميعا
وهل كان الهوى إلاَّ انتظاراً
شتائي فيك ينتظر الربيعا!

* * *

أرى الآباد تغمرني كبحرٍ
سحيقِ الغورِ مجهولِ القرار

ويأتمر الظلام عليَّ حتى
كأني هابط أعماق غارِ

* * *

وتصطخبُ العواطف ساخرات
وتطعنُني بأطرافِ الحرابِ
وتشفقُ بعدما تقسو فتمضي
لتقرع كل نافذةٍ وبابِ

* * *

فصحت بها إلى أن جف حلقي
فحين سكتُّ كلمني إبائي
وأشعرني العذابُ بعمق جرحي
وأعمق منه جرح الكبرياءِ

* * *

ولمّا لَمْ تفزْ بلقاك عيني
لمحتك آتياً بضمير قلبي
فأسمعُ وقعَ أقدامٍ دوانٍ
وأنصتُ مصغياً لحفيفِ ثوبِ

* * *

وأخلقُ مثلما أهوى خيالاً
وأستدني الأمانيَ والحبيبا
وأبدعُ مثلما أهوى حديثاً
لناءٍ صار من قلبي قريبا

* * *

أمدُّ يديَّ في لهف إليه
أشاكيه بمحتبس الدموع

فيسبقني إلى لقياه قلبي
وُثوباً ثم يرتدُّ في ضلوعي

* * *

فتصطخب العواطفُ ساخراتٍ
وتطعنُني بأطراف الحرابِ
وتشفق بعدما تقسو فتمضي
لتقرعَ كلَّ نافذةٍ وبابِ!

صلاة الحب

أحقّـاً كنت في قـربي ... لـعلي واهـمٌ وهـمـا
تـكلَّمْ سيـدَ الـقـلبِ ... وقل لي: لَمْ يكن حُلما

* * *

دنـوتَ إليَّ مستمعـا ... فُبُحْتُ، وفرطَ ما بحْتُ
بعـادك والـذي صنعـا ... وهجـرُك والـذي ذقتُ

* * *

وحبّي! ويحـه حبّي ... تَبيعـك حيثمـا كـنتَ
تـكَلَّمْ سيـدَ الـقـلبِ ... وقـل بـالله مـا أنتَ؟!

* * *

أرى في عمق خـاطركَ ... جـلالاً يشبه البحـرا
وألمـحُ في نـواظـركَ ... صفـاء الرحمـة الكبرى

* * *

وأنـت رضىً وتـقبيـلُ ... وأنت ضنىً وحـرمـانُ
وفي عينيـك تـقتيـلُ ... وفي البسمـات غفرانُ

* * *

وأنـت تَهَـلُّلُ الـفـجـرِ ... وبـسمـتُـه على الأفـقِ
وحينـاً أنَّـةُ الـنهـرِ ... وحزن الشمس في الغَسقِ

* * *

وأنت حـرارةُ الشمسِ ... وأنـت هـنـاءةُ الـظلِّ
وأنت تجـاربُ الأمسِ ... وأنت بـراءةُ الـطفـلِ

* * *

وأنت الحسنُ ممتـنعـاً ... تحـدَّى حصنه النجمـا
وأنت الخيـرُ مجتمعـاً ... وعندك عرشـهُ الأسمى

* * *

وعنـدك كل مـا أظمـا ... وردّ الـقلبُ لـهـفـانـا
وعنـدك كـل مـا أدمى ... وزاد الجـرح إثخـانـا

* * *

وعندك كل ما أحيا　　　وشدَّد عزمه الواهي
حنانُكَ نضرة الدنيا　　　وقربُكَ نعمةُ اللهِ!

* * *

وفيم هواجس القلب　　　وفيم أطيلُ تسآلي
أحبك أقدسَ الحبُّ　　　وحبك كنزيَ الغالي

* * *

سناكَ صلاة أحلامي　　　وهذا الركنُ محرابي
بهِ ألقيت آلامي　　　وفيه طرحت أوصابي

* * *

هوىً كالسحر صيّرني　　　أرى بقريحة الشهب
وطهّرني وبصّرني　　　ومزّق مغلقَ الحجبِ!

* * *

سموت كأنما أمضي　　　إلى ربٍّ يناديني
فلا قلبي من الأرض　　　ولا جسدي من الطين!

* * *

سموت ودق إحساسي　　　وجُزتُ عوالم البشر
نسيت صغائر الناسِ　　　غفرت إساءة القدرِ!

* * *

مصافحة اللقاء

أهاب بنا فلبّينا　　　منادٍ ضمّ روحينا
كأنا إذ تصافحنا　　　تعانقنا بكفينا
كأن الحبَّ تيار　　　سرى ما بين جسمينا
يؤجج في نواظرنا　　　ويشعل في دماءينا!

مصافحة الوداع

يا أميري ! أزف البـ   ـين وما زلت ضنينا
أصغ لي! وانظرْ ودع كـ   ـفك في كفيَ حينا
آهِ من يمناك هذي   والذي منها سقينا
عللتنا بالأماني   فشربنا ظامئينا
ثم دارت بالمنايا   فوردنا طائعينا
آه من قاسية ريـ   ـانة ضعفاً ولينا
يا بناناً ساحراً قد   حكَّم الأقدار فينا
شفتي موتورة ظمـ   ـآنة جنت جنونا
وكأن الآن كفي   حملت ثأراً دفينا
تتمناك حبيساً   عندها العمرَ سجينا
طائراً ألفى على را   حتها وكراً أمينا
وشعاعاً قدسياً   هاديَ النور مبينا!

أُغنية في هيكل الحب

كم تجرّعنا هوانا   ولقينا في هوانا
وبلونا نار حب   لَم نذقْ فيها أمانا
وإذا حلَّ الهوى هيـ   ـهات تدري كيف كانا
فإذا ما ملك الأنفـ   ـس أصلاها عوانا
فهو نصلٌ مستقرٌّ   ولهيب لا يداني!
يا حبيبي هدأ الليـ   ـل ولم يسهر سوانا
لا الدجى ضمَّد جرحيـ   ـنا ولا الصبح شفانا
لا الهوى رقّ على الشا   كي ولا قاسيه لانا
قد غدونا غرض الرا   مي كما شاء رمانا
وافِنيْ بالله نَطرقْ   هيكل الحب كلانا
ساعة نبكي على الكأ   س ونشكو من سقانا!

دعاء الراعي

عن الألمانية- من أغاني هينه
(قصيدة رمزية)

يـا أيها الحمـلُ الـوديعُ أنـا الـذي
يحنـو عليـك. أنـا الحبيبُ الـراعي

كم ليلة والـرعبُ يمشي في الدجى
والـهـولُ منتشـرٌ عـلى الأصـقـاع

أغفيت في كنفي وفي ظـلٍّ الكـرى
كـالـطفـلِ في أمنٍ مِنَ الأوجـاعِ

يا ربِّ! قد وهت العصـا واستأثـرتْ
غـيـرُ الليـالـي بـالقـويِّ البـاعِ

يـا ربِّ إن تك قـد حكمتَ بفـرقـةٍ
وأذنـتَ لـلراعــي بـوشــك زمـاعِ

فـانـظر إلى الحمـلِ الـوديـع ووقِّـه
شـرَّ الـنفـوسِ وفتنـةَ الأطـمـاعِ

نضِّـرْ لـه الـدنيـا ومـد ربيعَـهـا
وانـشـرهُ مؤتـلقـاً بـكـل شـعـاع

واجـعـلْ لـه الأيـامَ ظـلاًّ وارفـاً
وخـريـرَ أنهـارٍ وخصـبَ مـراعي!

التذكار

معرّبة عن «الفرد دي موسيه»

بي نـزوعٌ إلى الـدمـوع الهـوامي
غـيـر أنـي أخـافُ مـن آلامـي
أيهـذا المكـان! يـا غـالي التـرب!
ومثـوى عبـادتي واحتـرامي!
أنت مثوى الذكرى ومدفنُها الغا
لي القصيُّ المجهـولُ في الأيـام

* * *

هـذه خلوتي فـلا تـمـنـعـوني
مـا الـذي تحـذرون يـا خـلاني
انهـا عـادتي التي كنـت أعتـا
دُ وأهـوى فـي سـالـفِ الأزمـانِ
أخـذتني لـذي الـرحـاب وقـادت
قـدمي في سبيـلِ هـذا المكـان!

* * *

أنـظروا هـذه السفـوحَ وهـذا النبـ
ـتَ إذ قـام مـزهـراً تـيّـاهـا!
لكـأني مـا زلتُ تـسـمـع أذني
في صموتِ الرمـالِ وقـع خطاهـا
وكـأن الـنـجـوى بـكـل مـمـرٍّ
طـوقـتني في سـتـرهِ يـمـنـاهـا!

* * *

قـد تراءى الصنـوبر النضـر إذ أيـ
ـنـع فـي قـاتـمٍ مـن الألـوانِ
وتـراءى لـيَ المضيـقُ البـعيـدُ الـ
ـغـور يمتـدُّ في رخيّ الـمجـانـي

موحشات لكنما كن ألا
في ومهد الهنيء من أزماني

* * *

أنا ما جئتُ ها هنا أذكر الأشـ
ـجانَ في موطنٍ عرفت فيه هنائي
ذلك الغاب رائع الحسن والصمـ
ـت مثال الجلال والكبرياءِ
ونزْدي عاتٍ كرائعِ هذا الـ
ـغاب مستكبرٌ على البرحاءِ!

* * *

من يشأ أن يفيضَ يوماً بشكوا
ه فما هذا موضع الأحزان
قل لشاكٍ هلاّ مضيت لتجشو
عند مثوى ميت من الخلان!
كل شيء حيٌّ هنا ونباتُ الـ
ـقبرِ ينمو في غيرِ هذا المكان!

* * *

طلع البدرُ يرتقي ذروةَ الأفـ
ـقِ ويجتازُ حالكَ الأسدادِ
يا أمير الظلام إنك تبدو
حائرَ الرأي، واضحَ الترداد
ثم تمضي مجاوزاً حجبَ الليـ
ـلِ وترمي بنورِك الوقّادِ

* * *

كلّما شارف الثرى فيض نورٍ
مرسلٍ من جبينك الوضّاحِ
وإذا الأرض قد تضوّع منها
عن ثراها النديّ عطرُ الصباحِ

استثارت عطرَ القديم من الحبِّ
دفين العبير في الأرواح

* * *

أيهذا الوادي المحبب ما زر
تك حتى سألت عن أوصابي
أيْن راحت لواعجي أيْن آلا
مي اللواتي أهرمنني في الشباب
عاودتني طفولتي فيك حتى
خلتُ أني ما اجتزتُ يومَ عذاب!

* * *

يا خفاف السنين! يا صولة الدهـ
ـر قويّاً مثل الجبابرِ عاتي
كل ماضي صبابة قد أخذتن
فمن مدمعٍ ومن حسراتِ
ورحمتنَّ لي أزاهر ذكرى
علقتْ في ذبولها بالحياةِ

* * *

فسلام مني على الأيام
كيف آستْ في النازلاتِ الجسامِ
لم أكن أدري أن جرحاً بما كا
بدتُ منه من فاتك الآلامِ
معقبٌ لذةً لنفسي واحسا
سَ هناءٍ لديَّ بعد التئامِ

* * *

فليْن عنيَ السخيفُ من الرأ
يِ وتنأى سفاسفُ الأقوالِ
وهمومٌ كواذبٌ كفنت أثـ
ـوابُها حُبَّ عاشقين ضلالِ

جعلوها مظاهراً لهواهم
والهوى الحقُّ ليس منهم ببالِ

* * *

ايه دانتي! أأنت ذاك الذي قا
ل قديماً عن ذكرياتِ الهناءِ:
انها إن مرَّت على ذاكريها
زمن الحزن فهي أشقى الشقاء!
أي بؤسي أملت عليك مريرَ الـ
ـقولِ حقّاً أسأت للبأساءِ!

* * *

أو إنْ أقبل الدجى بعد ادبا
رِ نهارٍ صافي الضياء قضيتَهْ
تنكرُ النورَ في الوجودِ فيغدو
محضٌ وهمٍ كأنه ما رأيتَهْ
ذلك القول وهو جدّ عجيب
أيها الخالد الأسى كيف قلتَهْ

* * *

قسماً بالطهورِ من لهب الحب
مضيئاً في القلب شبه المنارِ
ما عهِدْنا في قلبك الوافر الإيـ
ـمانِ هذا الضلال في الأفكارِ
لا أرى للهناءِ والله صدقاً
مثل صدقِ الهناءِ بالتذكارِ

* * *

أو إنْ أبصرَ الشقيُّ وميضاً
في رمادِ الهوى فقام إليهِ
باسطاً نحوَه يديهِ بلهفٍ
حارصاً أن يمرًّ من كفّيهِ

وبــه مــن إشـعــاعــهِ أثــرُ الـبــر
قِ إذا مــرّ خــاطــفــاً نــاظــريــه

* * *

أو إن غاصت روحهُ في عباب الذ
كـريـات التي طـوتـهـا السـنينْ!
وعــلى مــرآةٍ مــجــرّحــةٍ مِــنـ
ـهـا جـرى دمعُــه السخيُّ الهتـون!
أو هــذا الســرور من ذِكــرِ الـمــا
ضي تسميـه بــالـعــذابِ المبيـن!

* * *

ان تــروى أدمعي فـلا تــزجــروني
ودعــوني انــي أحـــب الــدمــوعَــا
لا تــجـفـف ايـديكـمُ أدمـعــاً تَـنْـ
ـفــعُ قلبـاً لمّــا يــزلْ مــوجــوعــا
أدمعي ستــرٌ مسبــلٌ فــوق مــاضٍ
قـد تـولى مــا يستـطيــع رجـوعــا!

* * *

البحيرة

معربة عن لامارتين

من شاطىءٍ لشواطىءٍ جددِ
يرمي بنا ليلٌ من الأبدِ
ما مَرَّ منه مضى فلم يعدِ
هيهات مرسى يومِه لغدِ!

* * *

سنةٌ مضت! وختامُها حانا
والدهرُ فرّق شملَنا أبدا
ناجِ البحيرةَ وحدك الآنا
واجلسْ بهذا الصخرِ منفردا!

* * *

قل للبحيرةِ تذكرين وقد
سكن المساءُ ونحن باللجِّ
لا صوت يسمع في الدنى لأحدْ
الا صدى المجدافِ والموجِ

* * *

فاذا بصوتٍ غير معتادِ
هزَّ السكونَ هتافُهُ العذبُ
أصغى العبابُ ورجَّع الوادي
أصداءَه وتناجتِ السحبُ

* * *

يا دهر في رفق ولا تدرِ:
ساعاته في هينة وقفى
حتى تتاح هناءةُ العمر
وتطول لذتُها لمقتطفِ

* * *

هـلا الـتـفـتَّ لـذلـك الـكـونِ
وعلمت كم في النـاس من بـاكي
يـدعـوك خـذني والأسى المضنيْ
خـلِّ الممتّـعِ وامضِ بـالشـاكي

* * *

هـذا الـنعـيـم وهـاتـه الـمحـنُ
يـتـنـافـسـان الـدهـر اقـلاعـا
فـبـأي عـدلٍ أيـهـا الـزمـنُ
تـتـشـابـهُ الـحـالان إسـراعـا

* * *

يـا أيهـا الأبـد السحيق أجبْ
وتـكـلمـي يـا هـوة الـمـاضـي
مـا تـصـنـعـان بـأشـهـرٍ وحـقـبْ
ونـعـيم عـمـرٍ غـيـر مـعـتـاض

* * *

نـاج البـحـيـرةَ والـصـخـورِ وعُـدْ
فـاسـتـحـلِف الأغـوارَ والـغـابـا
قـل! صُـنْ ذكـر غـرامنـا فـلقـدْ
صـين الـشبـابُ عـلـيـك أحقـابـا

* * *

ولـتبـق يـا هـذي الـبـحـيـرة فـي
حـالـيـك ثائرة وهـادئـةً
فـي بـاسـق لـلمـاء مـنـعـطفِ
فـي رائـعـات الـصـخـر نـاتـئـةً

* * *

فـي عـابـر الـنسمـاتِ مـرتـجفًـا
في النجم فـضض صفـحـةَ المـاءِ

في الريح أنّ أنينه وهفا
في الغصن نفَّسَ حر أحشاءِ

* * *

في الجو معتبقاً بريّاكِ
خطرت ملاعبة رقيق صبا
في كل هذا هاتفٌ باكي
سيقول يا أسفا لقد ذهبا!

وداع المريض

(مهداة الى س...)

«مريضٌ عزيزٌ سهر الشاعر عند سريره يعنى به»،
«وكان وداعه في الصباح فكتب يودعه بالقصيدة التالية»

فيم الغدوّ غداً وأيْن رواحي
ويح الصباح! لقد مضى بصباحي
عصفتْ علينا غيرَ راحمةٍ لنا
يا صفوة الأحباب، أيّ رياحِ!
عبثت بمعبود العيونِ وصيَّرتْ
كالورس لوناً توأم التفاحِ
ذهبوا به كالوردِ جافاه الندى
ومضوا به شبحاً من الأشباحِ
يا هاتفاً باسمي فديت منادياً
ردّ النداء عليه حرّ نواحي!
يا آسيَ الآسيْ لممت جراحتي
وأسلت يوم نواك أيَّ جراحِ!
طأطأتُ للبين المشتتِ هامتي
وخفضت للقدر المغيرِ جناحي!
أيّ الليالي العاتيات سهرتها
في أيّ آلام وأيُّ كفاحِ!
هدم الضنى العادي قويَّ شكيمتي
وثنى معاندتي وردَّ جماحي!
وطغى على الملك الموسد بيننا
في لطف زنبقةٍ وضعفِ أقاحِ!

* * *

كيف المآب إلى مكان موحشٍ
متجهمِ العرصاتِ قفر الساحِ!

في كل ناحيةٍ خيالٌ هاتفٌ
ومذكّرٌ بجبينِك الوضاحِ !
وموسد كالطيف صاحٍ ليله
أمسيت أرعاه بجفنٍ صاحِ !
عاد الشقيُّ إلى قديم شقائهِ
ومحى من الدنيا السعادةَ ماحي
ويح الحياة اليوم أين جمالها
وعلامَ اخفاقي بها ونجاحي
أنت الذي وهب الحياة لميتٍ
في الأرضِ منفردٍ بغير طماحِ
أشرقت في ظلمائها وغمامها
وطلعت مثل البارقِ اللماحِ !

* * *

فرحة جديدة

أدركت عنـدك يـومـيَ الـمـوعـودا
ولـقيـت فيـك مثـالـيَ الـمـنشـودا
وا فرحتي بك فرحة الطفل الـذي
يـلهـو ويـخلق كـل يـوم عـيـدا
وا فـرحتي بك فـرحة الـطير الـذي
مـلأ الـروابي المصغيـات نشيـدا
طـربتْ لصـدحتِـه وصفق ظـافـراً
جـذلانَ في عـرض الفضـاءِ سعيدا
في مـوكبٍ مـن قـلبِـه وحـبيبِـهِ
من راح تحسبـه الـعيـون وحيـدا
وا فـرحتي بك فـرحة الضـال الذي
يـطوي القفـارَ الـلافحـاتِ شـريـدا:
لاحت لـه بعـد الهـواجـر أيكـةٌ
غنّـاء تـبسط ظـلهـا الـمـمـدودا
مـا أعجب الدنيـا التي بعث الهـوى
وأحـالهـا روضـاً أغـر جـديـدا
شتى غـرائبهـا وأعـجبهـا فـتى
يغـدو لمـهجتـه عليـك حسـودا
يتهـالكـان على جمـالـك صبـوة
يـتنـافسـان ضـراعـة وسـجـودا
يـتنـازعـانـك غيـرة وتـغـضـبـاً
كـل يـراك حـبيبـه الـمـعـبـودا
مـا أعجب الإيمـان يغمـر خـاطـري
كـالفجـر قـد غمـر السمـاء وئيـدا
مـزقتِ شكي فـاسترحـتُ لأعيـن
عـلمـنني الإيـمـان والـتـوحيـدا

استقبال القمر

أقبِلْ بموكبـك الأغَرْ ... مـا أظمأ الأبصارَ لكْ!
العَين بعـدك يـا قمـرْ ... عميـاءُ! والـدنيـا حلَكْ!

* * *

تمضـي وراءَ سحـابـةٍ ... تحنـو عليـك وتلثُمُـكْ
وأنـا رهـيـنُ كـآبـةٍ ... بخـواطـري أتـوهَّمُـكْ!

* * *

كن حيث شئتَ فما أنا ... إلّا مـعنًّى بـالمحـال
أغـدو لقـدسـك بـالمنى ... وأزور عرشك بـالخيال!

* * *

وأقـول صبـراً كـلَّمـا ... عزَّ الفكاك على الأسيرْ
روحي وروحـك ربمـا ... طـابا عنـاقاً في الأثيـرْ!

* * *

مهمـا تسامى مـوضعُـكْ ... وعلا مكانُك في الوجودْ
فـأنـا خيـالُـك أتبعُـكْ ... ظمآن أرشفُ ما تجـودْ!

* * *

قمـرَ الأمـاني يـا قمـر ... إنـي بـهـمٍّ مسـقـمِ
أنت الشفـاءُ المـدَّخـرْ ... فاسكب ضياءك في دمي

* * *

أفرغ خلودَكَ في الشبابْ ... واخلعْ على قلبي الصفاءْ
أسَفـاً لعمـرٍ كـالحبـابْ ... والكـأسُ فـائضـة شقـاءْ

* * *

خـذني اليـك ونجّنـي ... ممـا أعـاني في الثـرى
قـدحي تـرنَّق فـاسقني ... قـدح الشعـاع مـطهّـرا!

* * *

واهـاً لأحـلامٍ طـوالْ   وأنـا وأنـتَ بمـعـزلِ
نَعْلو على قممِ الجبـالْ   ونـرى العوالم من عَـلِ

* * *

نفرتيتي الجديدة

(إلى ممثلة فنانة)

لِمَـن هـاتـه الـفـتـنـةُ الـنـادرهْ!
ومـا هـاتـه الأعـينُ الـسـاحـرهْ؟
ومـا ذلـك الـمـرَحُ الـقـدسـيُّ؟
ومـا هـاتـه الضحكـةُ الـطاهـرهْ؟
تـطوف مـطاف الـحنـان الـعمـيم
وتـسـقط كـالـنـعـمـة الـوافـرهْ
وتـمتـدُّ مـثـل امـتـدادِ الـعبـاب
وتـرجـع كـالـمـوجـة السـاخـرهْ
وتـنـقش أصـداءهـا في الـقـلوب
وتبقى مـدى العمـر في الـذاكـرهْ
فـيـا رِقّـةً سُكِبَتْ في الـنـفـوس
كمـا تُسـكبُ الـخمـرةُ الـقـاهـرهْ
نـسينـا بـك الـعـالَـمَ الـدنـيـويَّ
وأسـمـعْـتِـنـا نَـغَـمَ الآخـرهْ
ويـا ربـةً من نـواحي الألـمب
أطـلّت عـلى مَـهَـجٍ شـاعـرهْ
حنينـا الـرؤوسَ لمجـد الجمـالِ
ولُـذنـا بـعـرشـكِ يـا آسـرهْ
(.....) مـثّلْتِ هـذي الحـيـاة
وصـوّرت أدوارَهـا الـزاخـرهْ

وحمّلت روحَك أثقالها
وروحُك كالريشة الطائرهْ
وكلّفتِ قلبكِ خوض الجحيم
وقلبُك كالجنةِ الناضرهْ
دفعتِ به في اللظى كالخليل
وعدتِ مباركة ظافرهْ
رجعتِ من النار ياقوتةً
مطهّرةً حرّةً باهرهْ
(.....) إن كرّمتكِ البلادُ
ودانت لمعبودةٍ قادرهْ
فوالله ما فهمتك العقولُ
ولا قدرت قدرَكِ «القاهرهْ»!
فللشعر عينٌ يراكِ بها
بغير عيونِ الورى الناظرهْ
يرى لك حُسْنَ الشعاعِ الجميل
أغار على الظلمة الغامرهْ
فجلّل بالسحر هذي الدُنى
وصيّرها جنةً زاهرهْ
فنوّر أكواخها الباليات
وهلّلَ في دورها العامرهْ
رسولٌ يجوس خلال الديار
وينزل كالرحمة الزائرهْ
بعين قد اغرورقت بالدموع
لها مُقلةُ الغيمةِ الماطرهْ
يطوفُ على الناس إنسانُها
ومهجتُه . للورى غافرهْ

الفراشة

أجلْ! يعلم الحبُّ أني لظاهُ
وتدري الفراشة أنّي اللهبْ
وأني بدوتُ لها في الظلام
فرفَّت بأجنحةٍ تضطربْ
وبين ذراعيَّ سرُّ الحيا
ةِ وفي ناظريَّ بريقُ الشُّهُبْ
دنت خطوة ثم عادت إليّ
مجاهلها من خفيِّ الحجُبْ!
وشتّان بين السنا والظلا
مِ لعابدةٍ لِلسنا عن كثبْ!
وفي صدرها لهفة للعنا
قِ وفي قلبها جنةُ المغتربْ
يلوح لها شَبحٌ لِلعذا
بِ ويبدو لها الأبدُ المقتربْ
كأن اللظى قدَحٌ من سلا
فٍ لها فوقه وثباتُ الحببْ
فراشة روحي تعاليْ وُثوباً
ستلقين قلباً إليكِ يثبْ
إذا ما امتزجنا احترقْنا معاً
ونلنا الخلود بهذا العطَبْ!!

الى س...

جئتُ أشكو لكِ روحي وجواها
وردت ظمأى وعادت بصداها
آه من عينكِ! ماذا صنعتْ
بغريبٍ مستجيرٍ بحماها؟!
نبعته تقتفي أحلامَهُ
كلما أغفى أطلّت فرآها
يا سقى اللّهُ «لِليلى» أيكةً
وجزاها الخيرَ عنّا ورعاها
وغذاها من أمانينا ومن
حبنا الشهدَ المصفى وسقاها
قرِّبي عينكِ مني قرّبي!
ظلليني واغمريني بصفاها!
وأريني هدأة البحر إذا انْـ
ـبسط البَحرُ جلالاً وتناهى
وأريني لجةَ السحرِ التي
ضلَّ فيَ أعماقها الفكرُ وتاها
ألمحُ اللؤلؤ في أغوارها
وأرى الطيبةَ تطفو في سناها
وأراها تُخبِّىءُ الخلدَ لمن
باع دنياه وبالروح اشتراها!

* * *

نحن أرواحٌ حيارى افترقتْ
ثم عادت فتلاقت في شجَاها
سوف ينسى القلبُ إلاّ ساعةَ
مِنْ رضاً في وكرِك الحاني قضاها

هتف القلب وقد حدثتني
أيّ ماضٍ كشفت لي شفتاهَا
هَمَسَتْ في خاطري فاستيقظتْ
روحيَ الحيْرى وأصغت لنداهَا
فأنا إنْ لَمْ أكُنْ توأمَها
فكأني كنت في الغيبِ أخاها
نحن أرواحٌ حيارَىٰ ثملتْ
وانتشتْ سكرى على لحنٍ أساهَا
قرِّبي روحَكِ مني قرِّبي!
ظلليني واغمريني برضاهَا!
وتعاليْ حدّثيني! حدّثي!
انت مرآة شجوني وَصَدَاهَا
فهبيني ساعة الصفو التي
تقسمُ الأيامُ ما فيها سواها
ثم أمضي لحياةٍ مرَّةٍ
صبْحُها عندي سواءٌ ومَساهَا!

نداء للشباب

وطنٌ دعا وفتىً أجابْ ... بوركت يا عزم الشبابْ!
يا فتية النيل المسا ... لم والكريم بلا حسابْ
جناته مرآتكمْ ... ولكم خلائقُها العِذابْ
ولكمْ جمال الزهر ر ... فَّ على الأماليدِ الرطابْ
ولكم فؤاد النهر ر ... ق على المحاني والشعابْ!
يمضي فيضحك للسهو ... ل ولا يضن على الهضابْ
حتى إذا نادتكم الأ ... وطان والوادي أهابْ!
حتى إذا طغت الكهوا ... رث واستفزكم العذابْ
أصبحتُم كالغيل تحـ ... ـميه الليوثُ بألف نابْ
قل للشباب اليوم يو ... مكم الأغرِ المستطابْ!
اليوم يبدو حبّ مصـ ... ـر فلا خفاءَ ولا حجابْ!
إن كان اثماً يا شبا ... بُ فلا رجوع ولا متابْ!
الله ينظرُ والليا ... لي عندها لكم الحسابْ
والعهدُ في القلب المصا ... بر والأمانةُ في الرقابْ!
هاتوا الفدا الغالي لمصـ ... ـر وأرخصوه كالترابْ
المال، والأرواح كـ ... ـل ضحيةِ ولها ثوابْ

في يوم الشباب

اليــوم يــومُــك في الشبــاب فنــادِ
لا نــوم بعــدُ. ولا شهــيَّ رقــادِ
قــل للذي يبغي الصــلاحَ لقــومــهِ
بنبيــل صنــعٍ أو شــريــفِ جهــادِ
بــالـطبِّ أو بــالشعــر أو بكليهمــا
كـل الجهـودِ فـداءُ هـذا الـوادي!
لا خيــر في قلمٍ اذا هــو لَمْ يكنْ
حــرّاً طهـوراً كــالشعــاعِ الهــادي
لا خيــر في طبٍّ اذا هــو لم يــزُرْ
ظـلـم الحـيـاة كـفـرحـةِ الأعـيـادِ
يــا أيهــا الـوطن الجـريـح وجـرحـه
بـصـمـيـم كــل حـشــاشــة وفـؤاد
صبراً فنحن أساءتك الرحماء في الـ
ــبأساء قــد جئنــا بكــل ضمــادِ
قــل للبنــاةِ المصلحين ألا اخلقــوا
شــم الــذرى ورواســخَ الأطــوادِ
جيــلاً من النشء القــوي إذا مشــوا
رفــعــوا الــرؤوسَ بـعــزةٍ وعــنــادِ
لا خــير في الأرواحِ تسكن منــزلاً
مــتــهــدمــا رثــاً مــن الأجــســادِ
لا خير في الأرواحِ تسكنُ موطناً
مـتـخـاذلاً لا يـرتـجـى لـجـلادِ
أبَكَتْ عيــونُكم الضعيفَ يصيــر في
نــاب القــويِّ فــريســةَ استعبــادِ
فـتبـيـنـوا اذنِ الـحقـيقــةَ واعـلـمـوا
ان الــطـبـيـعــةَ هــكــذا مـن عــادِ

الجوُّ ملكُ السر يغشاه على
ما يشتهي والغابُ للآسادِ.
مهلاً بني قومي أتيت مذكراً
في ساحةٍ مجموعة الأشهادِ
واخجلتا مما نقدمه إذا
حان الحسابُ وجاء يومُ معادِ
أي الصحائف في غد وحسابكم
في ذمةِ الأبناءِ والأحفادِ
أيّ البلاد هو السعيد وأهله
يتنابذون تنابذ الأضدادِ
كل يعيش لنفسِه في أمةٍ
شقيتْ بطولِ تفرقِ الأفرادِ
فخذوا السبيلَ إلى الحياةِ تآلفاً
وتكاتفاً في رغبةٍ ووداد
خير الصحائف ما كتبتَ سطورَه
بيد الكفاح الحر لا بمدادِ
صونوا البلادَ وأدركوا فلأحَكم
كاد الحمىٰ يغدو بغير عمادِ
حيران من مرضٍ إلى بؤسٍ الى
كربٍ تمر به بلا تعدادِ
هذي ديارُكمُ وذلكَ نيلُكم
هبةُ السماءِ ومنحةُ الآبادِ
هذي ديارُكمُ وهذي شمسُكم
طمعُ الغريب وحرقةُ الحسادِ
ومن المصائب في زمانك أن ترى
بلداً كثير مناهل الروادِ
والخيرُ مدرارٌ عليه وربه
جوعان محروم الرعاية صادِ!

والـزرع نضـر في الحقـول وأهله
يتهيـأون لمنجـل الـحصـادِ!...
هـذا زمـانـكم وذا مـيـدانكـم
مـاذا بكم مـن عـدة وعتـادِ؟..
نبغي شداد القوم قد شحذوا القوىٰ
في ليـل احـداث نـزلـن شـدادِ
ونـريـد شبـاناً بمصـر استعصموا
ومضـوا يصدون الغـريبَ العـادي
ونـريـد اطفـالاً اذا مـا أُرضعـوا
فـرضـاعـهـم وطـنيـة بـسـهـادِ
لـطفـل منهم مثـل امي أو أبي
شفتـاه اول مـا تقـول بـلادي!...
يُغـذون في الأرحـامِ حب بـلادهم
لتكـون مصـراً صـرخـة الميـلادِ!

إلى روح الشاعر

ألقيت في حفلة الذكرى للشاعر المرحوم
طانيوس عبده بمعهد الموسيقى الشرقي يوم
الثلاثاء ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٤

موقفٌ حانَ فاغتنِمْ ... وتخير مِن الكلِمْ
كلَّ لفظٍ أرقَّ مِن ... ضحكةِ الزهر للدِّيَمْ
مستَمَدٍّ من الرُّبى ... مُستعارٍ من النَّسَمْ
اجمعِ الآنَ طاقةً ... غضَّةَ النور تبتسمْ
أهدِها روحَ شاعرٍ ... خالدٍ بالذي نَظمْ

* * *

قلمي ! ما الذي لديـ ... ـكَ من الخير يا قلمْ؟!
قمْ فذكّر وناج قو ... مَكَ واخطُب وقل لهُمْ:
قل لأهل الغناءِ في ... كنف المعهد الأشمّ
ذلك الشاعرُ الذي ... بات في خاطر الظُّلمْ
هو منكم وفنُّهُ ... علَمَ الله فنكمْ

* * *

كان لحناً فصار ذكـ ... ـراً كما يُذكَرُ الحُلمْ
انما الشعر مزهرٌ ... قد حكي قصةَ الأممْ
وبأوتاره المنى ... تتلاقى وتزدحمْ
هو نايٌ مُرجِّعٌ ... لشجيٍّ وما كتمْ
هو قيثارةُ الزما ... نِ ونجواه مِنْ قِدَمْ
هو أنشودة الحيا ... ةِ وفيضٌ من النغمْ

* * *

أيها المعهد الذي ... بلغ المجدَ واستتمّ
كلُّ لحنٍ مذكرٍ ... أشعل القلب فاضطرمْ
نظمته يدُ الأسى ... وقّعته يدُ السقمْ

* * *

وأناشيدكم وما صاغه الفنُّ من عِظَمْ
هي أنّاتُ أنفسٍ بالمقادير ترتَطِمْ
وصباباتُ أعينٍ يشهدُ الليلَ لَم تنَمْ
وأغانيكمُ التي هي في قمةِ القِمَمْ
هي آهاتُ شاعرٍ عرفَ الحبَّ والألَمْ!

* * *

ذلك الشاعرُ الذي روحهُ الآن بينكُمْ
لكأني أراه حَـ ـيّاً وألقاهُ عن أمَمْ
وهو في ذروة الشبا ب وفي خفةِ القَدَمْ
غاشياً كلَّ منتدىً عاليَ الرأسِ محترمْ
كلما قال شعرَه غمر السهلَ والعلَمْ
دافقاً ليس ينتهي أبداً سيلُه العرِمْ
باذلاً للصديق والأ هلِ كلّ الذي غنِمْ

* * *

زوجه والبنون هُم مجدهُ والرجاءُ هُمْ
درجوا في ذُرَا العلا نوّروا في رُبى النعمْ
نشأوا في حِمى العفا فِ وجلُّوا عن التُّهمْ

* * *

حين ظنوا بأنَّ ما أمَّلوا في الزمانِ تمّ
إذ شكا الضعفَ سيد الـ ـبيتِ خارت به الهممْ
نام في حضنهِ الضّنى وعلى صدره جَثَمْ
واذا بالطيور قد دخل الموتُ وكرهُمْ
شِبْهَ لصٍّ مخادعٍ غشّى البيت فالتهَمْ
وإذا الفاقةُ الجريـ ـئةُ تَطْغَى وتَنْتَقِمْ
صنعتْ في رجائهِمْ فعلَة الذئب بالغنمْ
كأتونٍ مسعَّرٍ غاضبٍ ينشُرُ الحُمَمْ!
مَن رأى البؤسَ إن عدا! مَنْ رأى الضنك إن هَجَمْ؟
مَن رأى العفةَ العريـ ـقةَ بالدهر تصطدمْ؟!

* * *

أُمّتي! ليس يُهزَمُ الـ ـفنُّ في أُمَّة الشَّمَمْ
أُمّتي! ليس يخذلُ الـ ـجُودُ في أمَّة الكرَمْ
أمَّتي! أمَّةُ العلا وأبي الهول والهرَمْ

* * *

ساعة التذكار

أُلقيت في حفلة الذكرى التي أقامتها جماعة الأدب المصري
بالاسكندرية لمرور عام على وفاة المرحوم
أحمد شوقي بك

شَجنٌ على شَجنٍ وحرقةُ نارِ
مَنْ مُسعدِي في ساعةِ التذكارِ
قُمْ يا أميرُ أفِضْ عليَّ خواطراً
وابعث خيالَكَ في النسيم الساري
واطلع كعهدك في الحياةِ فراشةً
غراءَ حائمةً على الأنوارِ
يا عاشقَ الحرية الثكلى أفِقْ
واهتفْ بشعرك في شباب الدارِ
يا مَنْ دعا للحق في أوطانهِ
ومضى ليهتفَ في ديار الجارِ
الشامُ جازعةٌ ومصرُ كعهدها
نهبُ الخطوب قليلةُ الأنصارِ
والحظُّ أطمارٌ كما شاءَ البلَى
والعيشُ رثٌّ والسنونُ عوارِ

* * *

عامٌ مضى يا للزمان وطيِّه
فينا ويا لسواخر الأقدارِ!

عــامٌ مـضـى وكــأنّ أمس نــعـيُّـه
يــا مـا أقــلَّ العــامَ في الأعمــار!
أيْــنَ الامــارة والأمــيــرُ ودولــةٌ
مـبـســوطــةُ السلطان فــي الأمصــار
خمسـون عـامـاً وهي وارفـةُ الجنَى
تـحت الـربـيــع دؤوبــة الأثمـار!
مَـدَّ الخـريفُ على الـريـاض رواقَـهُ
ومضى الـربيـعُ الضـاحـكُ النّــوار!

* * *

هيهــات أنسىٰ قبلَ بينـك سـاعــةً
جمعتْ صحابَك في غـروب نهار[1]
والشمس في سقم الغروب وأنتَ في
لــونِ الشحــوب مـعـصـفـرٌ ببـهــار
منحتْ وقـد ذهبت شعـاعـاً غـاربـاً
كـسـنــاكَ طــوّافــاً عــلى السّــمـار
تشكــو ليَ الضعفَ الملمَّ لعـلَّ في
طـبي مـقيــلاً مِـن وشيـكِ عـثـار
وكشفتَ عن متهــدّمٍ جـال الـردىٰ
متهـجمــاً فـي صَــرحــه المنهـار ٠
فـرأيتُ ما صنـع الضنى في صـورةٍ
حــالــتْ، وخلى هـيـكــلاً كــإطــار
ووجمتُ! ألمـخُ في الغيـوب نهـايـةً
وأرى بـعـيـنـيَ غـــايـــةَ الـمـضـمـــار
وأرى النبــوغَ وقـد تهــاوى نجمُــه
والـعـبـقـريـةَ وهـي فـي الإدبــار!
أوَلم يكن لـك من زمـانِـك ذائـداً
وثـبــاتُ ذهــن مــاردٍ جــبــار؟

---

(١) يشير الى اجتماع مجلس (جمعية أبولو) في كرمة ابن هاني في يوم ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٣ .

أوَلَمْ يكن لكَ من حِمامِك عاصماً
ذاك الجبينُ مكللاً بالغارِ؟
ولَّيتَ في إثر الذين رثيتهُم
واقمتَ فيهم مأتمَ الاشعارِ
وسُقيتَ من كأسٍ تطوف بها يدٌ
محتومةُ الاقداحِ والأدوارِ
والدهرُ يقذف بالمنايا دفَّقاً
فمضيتَ في متدفقِ التيارِ

* * *

في ذمة الاجيالِ ما غنَّت به
قيثارةٌ سحريةُ الاوتارِ
صدحتْ بألحان الحياة ووقَّعتْ
أنغامَها المحجوبة الأسرارِ
والفنُّ ما حاكى الطبيعةَ آخذاً
منها ومن إعجازها بغرارِ
مسترسلاً رحباً كعينِ ثرَّةٍ
شتى السيولِ سحيقةِ الأغوارِ
متعالياً حتى الأشعةِ مشرقاً!
متألقاً كالكوكبِ السيَّارِ!

* * *

شوقي! نظمتَ فكنت براً خيِّراً
في أمة ظمأىٰ الى الأخيارِ!
أرسلتَ شعرَك في المدائن هادياً
شبهَ المنارِ يطوف بالأقطارِ
تدعو إلى المجد القديمِ وغابرِ
طيِّ القرون مجلَّلٍ بوقارِ!
تدعو لمجدِ الشرق: تجعل حبَّهُ
نصبَ القلوب وقبلةَ الأنظارِ!
تبكي العراقَ اذا استُبيحَ ولا تضنّ

علي الشآم بمدمعٍ مدرارِ
وترى الرجالَ وقد أُهين ذمارهم
خرجوا لصون كرامةٍ وذمارِ
فلو استطعتَ مددتَ بين صفوفهم
كفّاً مضرجةً مع الاحرارِ!

* * *

ما زلتَ تُبعثُ في قريضِك ثاوياً
أو ماضياً حَفِلاً بكلِّ فخارِ
حتى اتُّهمتَ فقالَ قومٌ: شاعرٌ
ناجى الطلولَ وطاف بالآثارِ!
فجلوتَ ما لَم يشهدوا، ورسمت ما
لَم يعهدوا من معجز الافكارِ!
شيخٌ يدبُّ الى الاصيل وقلبُهُ
وجنانُهُ في نضرة الأسحارِ
ويحسُّ تبريحَ الصبابَةِ واصفاً
مجنونَ ليلى في سحيقِ قفارِ
ويروح يبعث كليوباترا ناشراً
تلك العصور وطيفَها المتواري!
ويرى الحياةَ الحبَّ والحبَّ الحيا
ةَ! هما شعارُ العيش أيُّ شعارِ

* * *

دَين الأحياء

ألقيت في حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة لذكرى العام
الأول على وفاة المرحوم أحمد شوقي بك

دَينٌ... وهـذا اليـومُ يـومُ وفـاءِ
كـم منّـةٍ لـلميْتِ فـي الاحيـاءِ!
إن لَم يكن يُجزَى الجزاءَ جميعَه
فلعـلَّ في التـذكـار بعضَ جـزاءِ
يـا ساكنَ الصحـراء منفـرداً بهـا
مسـتـوحشـاً في غـربـةٍ وتنـائي
هـل كنتَ قبلاً تستشفّ سكـونَها
وتـرى مقـامَـك في العـراء النـائي
فـأتيتَـ والـدنيـا سـرابٌ كلهـا
تـروي حـديثَ الحبِّ في الصحـراءِ
ووصفتَ قيساً في شـديـدِ بـلائـه
ظـمـآن يـطلب قـطرةً مـن مـاءِ
ظمـآن حين المـاء ليلى وحـدُهـا
عـزَّت عليـه ولَم تُتـح لـظمـاءِ!
هيمـان يضرب في الهـواجر حـالمـاً
بـظلال تـلك الـجنـة الـفـيحـاءِ
فـاذا غـفـا فلطيفهـا، وإذا هـفـا
فلوجهـهـا المـستـعـذبِ الـوضّـاءِ
يـا لـلقلوب لـقصـةٍ بـقيـت عـلى
قِـدم الـدهـور جـديـدةَ الأنـبـاءِ
هي قصةُ الطيف الحزين، وصورةُ الـ
ـقلب الـطعيـن، مجللاً بـدمـاءِ
هي قصـةُ الـدنيـا، وكم مـن آدم
مـنـا لـه دمـعٌ عـلى حـوّاءِ

كــل بــه قـيسٌ إذا جـنَّ الـدجى
نــزع الإبــاءَ وبــاح بــالـبـرحــاءِ
فــاذا تـداركــه النهــارُ طـوى المدا
مـعَ في الفؤاد وظُنَّ في السعــداء
لا تـعلم الــدنـيــا بمــا فــي قلبــه
مــن لــوعــةٍ ومــرارةٍ وشــقــاء
كــلٌّ لــه «لـيلى» ومـن لَم يَـلقَهــا
فـحيــاتــه عـبـثٌ ومــحضُ هـبــاءِ
كــلٌّ لــه «ليلى» يـرى في حبـهــا
ســرّ الــدُّنىٰ وحـقـيـقــةَ الأشـيــاءِ
ويـرى الأمــاني في سعيــر غـرامهــا
ويــرى الـسعــادةَ فــي أتـمِّ شـقــاءِ
الكــونُ في احســانهــا والعمــرُ عنـ
ـد حنــانهــا، والـخلدُ يــومُ لـقــاءِ
يــا لـلقـلوب لـقـصــةٍ مــحــزونــةٍ
لــم تُــروَ إلّا روِّحَــتْ بــبــكــاءِ
خلُدت على الــدنيــا وزادت روعــةً
ممّــا كســاهــا سـيـدُ الـشعـراءِ
خلدتْ على الــدنيــا وزادت روعــةً
مـن جــودة الـتـمـثـيــل والإلـقــاءِ
من فنّ (زينبهــا) ومن (عــلّامـهــا)
زَيـن الـشـبــاب وقــدوةِ الـنـبـغــاء

الأجنحة المحترقة

يـا أمتي كم دمـوعٍ في مـآقينـا
نبكي شهيديك أم نبكي أمانينا؟!
يـا أمتي إن بكينـا اليـوم معـذرةً
في الضعفِ بعضُ المآسي فوق أيدينا
واهـاً على السرب مختـالاً بمـوكبه
وللنسور عـلى الأوكـار غـادينـا
قـالـوا الضبـاب فلم يعبأ جبـابـرةٌ
لا يـدركـون العـلا إلّا مضحّينـا
والمـانش يعجب منهم حينما طلعـوا
على غـواربـهِ الغميـرى مـطلّينا
فـاستقبلتهم فـرنسـا في بشـاشتهـا
تجـزي البسالـة ورداً أو ريـاحينـا
قـالـوا النسـور فهبَّ القـومُ واذّكـروا
نسـراً لهم مـلأ الـدنيـا ميـادينـا
وهـلل السّـين إذ هـلّت طـلائعنـا
طـلائـع المجـد من أبنـاء وادينـا
حان الأمانُ ووافَى السـربُ فافتقـدوا
نسـرين ظنـوهمـا قـد أبـطآ حينـا
لكنـه كـان إبـطاءَ الـرَّدىٰ فـهمـا
لمـا دعـا المجـد قـد خَفَّـا ملبينا
فلبيكِ من شـاء وليُشبعْ محـاجـرَهُ
ولينتحبْ مـا يشـاءُ الحـزنَ بـاكينـا
يبكي الحبيب وتبكي فقـد واحـدهـا
من لا تـرى بعـده دنيـا ولا دينـا
هُنيهـة ثم يسلو الـدمـعَ سـاكبُـه
لا يـدفعُ الـدمـعُ شيئـاً من عـوادينـا

فكلما حلَّ رزءٌ صاحَ صائحُنا:
فداك يا مصر لا زلنا قرابينا
فداك يا مصر هذا النجم منطفئاً
والنسر محترقاً والليث مطعونا!

عتاب

هجرتِ فلم نجد ظلّاً يقينا
أحُلْماً كان عطفُكِ أم يقينا؟!
أهجراً في الصبابة بعد هجر
أرى أيامَهُ لا ينتهينا
لقد أسرفتِ فيه وجُرتِ حتى
على الرَّمَق الذي أبقيتِ فينا
كأنّ قُلوبَنا خُلِقَتْ لأمر
فمذْ أبصرنَ من نهوى نسينا
شُغِلْنَ عن الحياةِ ونمْنَ عنها
وبتن بمنْ نحبُّ موكَّلينا
فإن مُلِئت عروقٌ مِنْ دماءٍ
فإنّا قد ملأناها حنينَا!

أصوات الوحدة

يـا وحدتي جئت كي أنسَى وهـائنذا
مـا زلتُ أسمعُ أصـداءً وأصـواتـا
مهمـا تصـاممتُ عنهـا فهي هـاتفـةٌ
يـا أيهـا الهـاربُ المسكينُ هيهـاتـا!
جَـرَّتْ عليَّ الأمـاني مِنْ مجـاهلِهـا
وجمَّعَـتْ ذِكَـراً قـد كُنَّ أشتـاتـا
مـا أسْخَفَ الوحـدةَ الكبـرىٰ وأضيعهَـا
إذا الهـواتف قـد أرجعن مـا فـاتـا
بَعثن مـا كـان مـطويّـاً بمـرقـدِهِ
ولم يـنـزلْنَ إلى أن هبَّ ما مـاتـا
تلفَّتَ القلبُ مـطعـونـاً لـوحـدتـه
وأين وحـدتـه؟ بـاتتْ كمـا بـاتـا!
حتى إذا لم يجـدْ ريّـاً ولا شبعـاً
أفضى إلى الامل المعطوب فاقتاتـا!

(من شعر الصبا)
الختام

عجبـاً لقلبٍ هيض منـكَ جنـاحُـهُ
وجـرى بـه نصلُ النـدامـةِ يـذبـحُ
ومضى الحِمامُ يدبُّ فيه فان جرتْ
ذكـراك طـار اليـك وهـو مجنَّـحُ
لهفي على النـاقـوس بين جـوانحي
وعـلى بقيـةِ هيكـلٍ لا تـصلحُ
لا فـرق بـيـن أنـيـنـه ورنـيـنـهِ
وصـداه في وادي المـنيـةِ أوضـحُ

يا قلب! صهباء الهوى وبساطه
وكؤوسه المتجاوبات الصُّدَّحُ
وقفٌ على متنقلين على الهوى
يبغون من لذاته ما يسنحُ
متبدِّلين موائداً وأحبةً
ما خاب من حب فآخر يفلحُ
فالحبُّ آسيه وراء عليله
فيهم، وبلسمه على ما يجرحُ
يا قلبُ! ويح ثباتنا ماذا جنى
أترى شعاعاً في البقيةِ يُلمحُ!

* * *

يا أيها الحبُّ المقدَّسُ هيكلاً
ذاق الردى من عابديك مسبحُ
كثرت ضحاياه وطال قيامُه
وصيامه فمتى رضاءَك تمنحُ؟
يا دوحة الأرواح يُحمد عندها
فيءُ ويعبد زهرُها المتفتحُ
أينال ظلَّك والرعايةَ عابثٌ
بجلالك البادي وآخر يمزحُ
ويبيت يحرمه قتيل صبابةٍ
قضّى الحياةَ الى ظلالك يطمحُ
ليلى! حببتُكِ كالحياة وذقتُ في
ناديك كأساً بالأماني تطفحُ
فتكسرت قدح المنى ورجعتُ من
سقم الهوىٰ وهزاله أترنحُ
نزل الستار على الرواية وانقضتْ
تلك الفصولُ وفُضَّ ذاك المسرحُ

الدكتور زكي مبارك

في سنتريس وفي الأزهر وفي باريس
(ألقيت في حفلة تكريمه بمسرح الهمبرا بالقاهرة)

تحت عين الصباح والأنوار
ورقيق الأنداءِ والأسحار
في حمى سنتريس شبَّ غلامٌ
شاعريُّ الكلامِ والأنظارِ
أزرق العين هادئُ هدأة البحر
بعيد الرضى! بعيد القرار!
ساهم يلمح السحائب في الأفق
بعينٍ عميقةِ الأغوارِ

* * *

شبَّ في جيرة النسائم والزهر
وفي صحبة الغديرِ الجاري
ونضيرِ الحقول والعشب المخضل
يكسو شواطىءَ الأنهارِ
ومصيخاً إلى غناءِ السواقي
شاكياتٍ سواخرَ الأقدارِ
باكياتٍ على الصبا والأماني
والهوى والنوى وبعدِ المزارِ
غير أن الذي شكا خطبه الأهـ
ـلُ وأمسى حديثَ جارٍ وجارِ
انَّ ذاك الفتى الوديعَ الطهورَ الـ
ـقلب في رقة النسيم الساري:
مغرمٌ بالعصا! فلو خلف سورٍ
لتخطى شواهق الأسوارِ
ولأجل العصا سطا(١) على الافرع الخضـ
ـراء زانت بواسق الأشجار

ولأجل العصا سطا[٢] على خشب البيـ
ـت، طموحاً حتى لِباب الدارِ
ولو أنَّ العصيَّ عزّت عليه
لتمنّى حتى عصا التسيارِ

* * *

ان تلك العصا لرَمزٌ على القو
ةِ في قلب ماردٍ جبّارِ
لا يرى القرية الصغيرة كفؤاً
لكبار الآمال والاوطارِ
ساخراً من هدوئها مستعدّاً
لصراع الخطوب والأخطارِ
أين يمضي؟! لـلأزهر الشامخ
الرأس، القويّ الباقي على الأدهارِ
مطلع عبده وسعداً ورهط المجـ
ـد والبأس والعلى والفخارِ

* * *

فرح الأهلُ بالغلام الذي صا
ر حديثاً في ندوة السُّمارِ
عمّموه وقفطنوه فأمسى
أملَ القومِ، فارس المضمارِ
ومضى يطلب العلوم وحيداً
موحشاً قلبهُ، غريبَ الدار
ناظراً في هوامشٍ تأكل العقـ
ـل وتبلي نواضر الأبصار
لا يبالي الطوىٰ ولا يحفل الأقدا
ر جاءت بكل أمرٍ ضاري
لا يبالي غداة يصغي الى الشيـ
ـخ وللشيخ هالة من وقارِ:

أحـصـيـرٌ مـمـزقٌ أم حـريـرٌ
مـقـعـدٌ لـلمجـاهـدِ الـصبَّـارِ
آه من هـاتـه الشـدائـدِ فهي الـنـ
ـار تبلو الـقـلوبَ فـي الأخيـارِ
إنَّ قـلبَ العـظيم يـاقـوتـةٌ تـسـ
ـمـو سمـوّاً وتـزدهـي بـالـنـارِ!
أي شيء في الـدهـر كـالألم الجبا
ر يـجـلو ضـمـائـرَ الأحـرارِ؟!

* * *

عجبي من «مجـاور» ضـاق بـالأز
هـر واحـيـرة النفـوس الـكـبـارِ!
ثم أمسى مـطربشـاً واكتسى البـذ
لـة مـا بـيـن لـيـلةٍ ونـهـارِ
ثم ضـاقت بهمـهِ مصـرُ فـاشتـا
ق لـغيـرِ الأوطـانِ فـي الأمـصـارِ
ضـمَّ أشيـاءه الـيـه، وأضـحـى
في سفينٍ تجـوبُ عـرض البحـارِ
ثم أمسـى مبـرنـطاً يـقصـد الـسيـ
ـن ويـغـزو مـديـنـةَ الأنـوارِ

* * *

والـذي يـبعـثُ الـسـرورَ ويـدعـو
كـلَّ نـفسٍ لـلزهـو والاكـبـارِ
رجـلٌ مـا ازدهـتـه فـتـنـةُ بـاريـ
ـس ومـا فـي بـاريس من أسـرارِ
ظـلَّ في ذلـك الحمىٰ مـصـريـاً
عـربـيَّ الـحـيـاةِ والأفـكـارِ
كـلمـا هبَّـت الـغـوانـي عليـه
ضـاق ذرعـاً بـالـغـادةِ المـعـطارِ

يـزفـر الـزفـرةِ الـعنيفـةَ تـرمـي
من لـظاهـا فحمَ الـدُّجى بشـرار
يـذكـر الـنيـلَ، والأحبـةَ بـالنيـ
ـلِ ويـشـدو بـرائـعِ الأشـعـارِ!

* * *

كـرّمـوا نـابغيكمـوا واعـرفـوهـم
فـضيـاعُ الـنبـوغِ فـي الانـكـارِ
فـزكـيٌّ مـبـاركٌ شـعـلةٌ فـي
مصـر تهـدي شبـابهـا كـالمنـارِ
قسمـاً لـو يُتـاح لي الـغـارُ كللـ
ـتُ بكـفي جبـيـنَـهُ بـالـغـارِ!

* * *

على البحر

(من شعر الصّبا قاله الناظم في الثالثة عشرة من عمره)

هـل أنتِ سامعـةٌ أنيني — يـا غايـةَ القلب الحزين
يـا قِبلة الحب الخفـيِّ — وكعبـة الأمـل الـدفينَ
أني ذكـرتـك بـاكيـاً — والأفق مُغـبّـر الجـبيـنَ
والشمس تبدو وهي تغـ — ـرب شبه دامعة العيـونَ
أمـسيـتُ أرقبُـهـا عـلى — صخر وموج البحر دوني
والبحـر مجنـون العبـا — ب يهيـج ثائـره جنـوني
ورضـاك أنتِ وقـايتـي — فاذا غضبتِ فَمَن يقيني؟!

كلانا

(من شعر الصبا)

كلانا عليل فلا تجـزعي ودمعــك تسبقــه أدمعي
وان كان بين ضلوعك نار فنار الصبابة في أضلعي
وان كان نجم هنائك غاب فنجم هنائي لَم يطلع . . .



لـــيَالي الـــقاهـــرة



الاهداء

«إلى صديقي ع. م»
الذي ندّى الزهر الذابل من خمائل الماضي، وأنبت في روض الحاضر، زهوراً ندية مخضلة بالأمل والحياة. . إليه أقدم ما أوحى به إليّ . .

كلمة

الشعر عندي هو النافذة التي أطل منها على الحياة . .
وأشرف منها على الأبد . .
وما وراء الأبد . .
هو الهواء الذي أتنفسه . .
وهو البلسم داويت به جراح نفسي عندما عز الأساة
هذا هو شعري . .

ابراهيم ناجي

ليالي القاهرة

«كان الظلام العصيب المخيم على القاهرة في سنوات الحرب الأخيرة، ظلاماً متجاوباً مع قتام في النفوس، وحلوكةٍ تجثم على الصدور، وقد مرّت بالشاعر انطباعات من ذلك الضنك الشامل فسجلها صوراً في هذه الملحمة المختلفة الضروب والايقاع».

- ١ -

في الظلام

أليلايَ ما أبقى الهوى فيّ من رشدِ
فـردي على المشتاقِ مهجتَـه ردّي
أينسى تـلاقينـا وأنت حـزينـةٌ
ورأسـك كابٍ من عيـاءٍ ومن سهـدِ
أقـول وقـد وسّـدتُـه راحتي كمـا
تـوسّد طفـلٌ متعبٌ راحـة المهـدِ..
تعاليْ إلى صدرٍ رحيبٍ وساعدٍ
حبيبٍ وركنٍ في الهوى غيرمنهدِ
بنفسي هـذا الشعـر والخُصَـلُ التي
تهـاوت على نحرٍ من العـاجِ مُنقـدِ
ترامتْ كما شـاءتْ وشاء لهـا الهوى
تميـل على خـدٍّ وتصـدفُ عن خـدِ
وتلك الكـروم الـدانيـات لقـاطفٍ
بيـاض الأماني من عنـاقيدهـا الرّبْـدِ
فيـا لـك عنـدي من ظـلامٍ محببٍ
تـألق فيـه الفـرقُ كـالـزمن الـرغـد

ألا كُلُّ حسنٍ في البريـة خـادمٌ
لسلطانـة العينين والجيـدِ والقـدِّ
وكل جمالٍ في الـوجود حيـالـه
بـه ذلـةُ الشـاكي ومرحمـةُ العبدِ
ومـا راع قلبي منـك إلا فـراشـةٌ
من الدمعِ حامتْ فوق عرش من الوردِ
مجنحـةٌ صيغتْ من النـور والنـدى
تـرفُّ على روضٍ وتهفـو إلى وردِ
بهـا مثل مـا بي يـا حبيبي وسيِّدي
من الشجن القتـال والظمـأ المُـردي
لقـد أقفـر المحـرابُ من صلواتـه
فليس بـه من شاعـرٍ سـاهـرٍ بعـدي
وقفنـا وقـد حـان النوى أي مـوقفٍ
نحاول فيه الصبرَ والصبرُ لا يجـدي
كـأن طيوفَ الرعب والبين مـوشـكٌ
ومزدحمَ الآلامِ والوجـدُ في حشـدِ
ومضـطرمَ الأنفـاسِ والضيقُ جـاثمٌ
ومشتبـك النجـوى ومعتنق الأيـدي
مـواكب خُـرس في جحيم مؤبـد
بغيـر رجـاءٍ في سـلام ولا بـرد
فيـا أيكـة مـدّ الهـوى من ظـلالها
ربيعـاً على قلبي وروضاً من السعـد
تـقلصـتِ إلا طيـفَ حبٍّ مـحيّـرٍ
على درجٍ خـابي الجـوانب مسـودّ
تـردَّدَ واستـأنـى لـوعـد ومـوثـقٍ
وأدبـرَ مخنـوقـاً وقـد غص بـالـوعـدِ
وأسلمني لليـلٍ كـالقبـر بـارداً
يهب علىَ وجهي بـه نفسُ اللحـدِ

وأسلمني للكــون كـالــوحش راقـداً
تمـزقني أنيـابُـه في الـدجى وحـدي
كـأن على مصــر ظـلامــاً معلقــاً
بآخـر من خـابي المقـاديـر مـربـدِ
ركــودٌ وإبـهــامٌ وصـمــتٌ ووحـشــةٌ
وقـد لفهـا الغيبُ المحجبُ في بُــردِ
أهــذا الـربيــعُ الفخمُ والجنـةُ التي
أكــاد بهــا أستــافُ رائحــةَ الخـلدِ

تـصيــرُ إذا جـن الـظلامُ ولـفـهــا
بجنـحٍ من الأحلام والصمتِ ممتدُّ
مـبـاءةَ خمّارٍ وحـانــوتَ بــائـعٍ
شقيٌّ الأماني يشتري الرزق بالسهدِ
وقـد وقف المصبـاحُ وقفــةَ حـارس
رقيب على الأسـرارِ داعٍ إلى الجدُّ
كــأن تـقـيـاً غــارقــاً فـي عـبــادةٍ
يصوم الدجى أو يقطع الليلَ في الزهدِ
فيـا حارس الأخـلاق في الحيُّ نائمٌ
قضى يومَه في حومة البؤسِ يستجدي
وسـادته الأحجـارُ والمضجـعُ الثـرى
ويفتـرش الافـريـزَ في الحـر والبـردِ
وسـيــارةٌ تمـضـي لامــر مـحـجـبٍ
محجبــة الأستـار خــافيــة القصــدِ
إلى الهدف المجهولِ تنتهبُ الدجى
وتومض ومض البرق يلمـع عن بُعدِ
متى ينجلي هذا الضنى عن مسالكٍ
مــرنقـة بــالجـوع والصبــرِ والكــدُّ
يـنقــبُ كلبٌ فـي الحــطام وربـمــا
رعى الليل هرٌّ ساهرٌ وغفـا الجندي

أيا مصر ما فيك العشية سامرٌ
ولا فيك من مصغٍ لشاعرك الفردِ
أهاجرتي، طال النوىٰ فارحمي الذي
تركتِ بديدَ الشملِ منتثرَ العقدِ
فقدتكِ فقدانَ الربيعِ وطيبَهُ
وعدتُ إلى الإعياء والسقم والوجدِ
وليس الذي ضيعتُ فيك بهيِّنٍ
ولا أنتِ في الغيّاب هينة الفقدِ

* * *

بعينيك استهدي فكيف تركتني
بهذا الظلام المطبق الجهم أستهدي
بوردكِ أستسقي فكيف تركتني
لهذي الفيافي الصم والكثب الجردِ
بحبكِ استشفي فكيف تركتني
ولم يبق غير العظم والروح والجلدِ
وهذي المنايا الحمر ترقص في دمي
وهذي المنايا البيض تختال في فودي
وكنت إذا شاكيت خففت محملي
فهان الذي ألقاه في العيش من جهدِ
وكنت إذا انهار البناءُ رفعتَهُ
فلم تكنِ الأيامُ تقوىٰ على هَدِّي
وكنت إذا ناديتُ لبيْتِ صرختي
فوا أسفاً كم بيننا اليوم من سدٍّ
سلامٌ على عينيك ماذا اجنتنا
من اللطف والتحنان والعطف والودٍّ
إذا كان في لحظيك سيفٌ ومصرعٌ
فمنكِ الذي يحيي ومنكِ الذي يردي
إذا جُرِّد لم يفتكا عن تعمدِ
وإن أغمدا فالفتك أروع في الغمدِ

هنيئاً لقلبي ما صنعتِ ومرحبا
وأهلا به إن كان فتكُكِ عن عمدِ
فإني إذا جن الظلامُ وعادني
هواكِ فأبديتُ الذي لم أكن أبدي
وملتُ برأسي كابياً أو مواسياً
وعندي من الأشجان والشوقِ ما عندي
أقبِّلُ في قلبي مكاناً حللتِه
وجرحاً أناجيه على القرب والبعدِ
ويا دار من أهوى عليكِ تحية
على أكرم الذكرى على أشرف العهدِ
على الأمسيات الساحرات ومجلسٍ
كريمِ الهوى عفِّ المآرب والقصدِ
تنادُمنا فيه تباريحُ معشر
على الدم والأشواكِ ساروا إلى الخلدِ
دموعٌ يذوب الصخر منها فإن مضوا
فقد نقشوا الأسماءَ في الحجرِ الصلدِ
وماذا عليهم إن بكوا أو تعذبوا
فإن دموعَ البؤس من ثمنِ المجدِ..

- ٢ -

أنوار

طابت بكِ الأيامُ وافرحتاهْ
أنتِ الأمانيْ والغنىٰ والحياهْ
فليذهبِ الليلُ غفرنا لهُ
ما دام هذا الصبح عقبى دجاهْ

يـا من غَفَتْ والفـجـرُ من دارهـا
شعشـع في الآفـاق أبهىٰ سنـاهْ
قـد طـرق البـابَ فتىً متـعـبٌ
طـال بـه السـيـر وكـلت خـطاهْ
نـقّـل فـي الأيـام أقـدامـهُ
يـبغي خيـالاً مـاثـلاً في مُنـاهْ
عـنـدك قـد حطّ رحـال المـنى
وفي حمـى حسنِـك ألقى عصـاهْ
كـم هـدأ الـليـلُ وران الـكـرى
إلا أخـا سـهـدٍ يـغـنّي شـجـاهْ
نـاداك من أقصى الـربى فـاسمعيْ
لـمن عـلى طـول الـليـاليْ نـداهْ
نـادىٰ أليـفـاً نـام عـن شجـوهِ
عـذبٌ تـجـنـيـه عـزيـزٌ جنـاهْ
أحـبّـكِ الـحـبُّ وغـنّى بـهِ
عـفَّ الأمـانيْ والـهـوىٰ والشـفـاهْ
وإنـمـا الـحـبُّ حـديثُ العلىٰ
أنشـودة الخلدِ ونـحـنُ الـرواهْ..

- ٣ -

أحلام سوداء

رُبَّ ليـلٍ قـد صفـا الأفـق بـهِ
وبـمـا قـد أبـدعَ الـلّهُ ازدهـرْ
وسـرى فـيـه نـسـيـمُ عَـبِـقٌ
فـكـأن الـليـلَ بُـسْـتَـانٌ عَـطِرْ

قلتُ يا رب لمن جمَّلته
ولمن هذي الثريات الغررْ..؟
فعرا الأفقَ قَتامٌ وبَدَتْ
سحبٌ تحبو إلى وجهِ القمرْ
كلما تقرب تمتد لهُ
كأكفٌ شرهاتٍ تنتظر
صحت بالبدر: تنبَّهْ للنذرْ
أدركِ الهالةَ حفت بالخطرْ
لا تبخْ مائدة النور لهم
لا تبخْها لسوادٍ مُعتكرْ
قهقه الرعدُ ودوَّى ساخراً
فكأنَّ الرعدَ عربيدٌ سكرْ
قمتُ مذعوراً وهمت قبضتي...
ثم مدت، ثم ردت من خَوَرْ
لهف القلب على الحسن إذا
قهقه الغربانُ والذِّئبُ سخِرْ
تحتمي الوردةُ بالشوكِ فإن
كثر القطافُ لم تغنِ الابرْ
آهِ من غصنٍ غنيٍّ بالجنى
ومن الطامع في ذاك التمرْ
آه من شك ومن حب ومن
هاجساتٍ وظنونٍ وحذرْ
كست الأفقَ سواداً لم يكن
غيرَ غيمٍ جاثمٍ فوق الفكرْ
طالما قلت لقلبي كلما
أنَّ في جنبي أنينَ المحتضرْ
إن تكن خانتْ وعقَّت حبَّنا
فأضِفْها للجراحاتِ الأخرْ

- ٤ -
الميعاد الضائع

«في ليلة من ليالي القاهرة العصيبة، وقفت تنتظره،
ولكن حال بينهما القدر، وأقبل هو بعد ذهابها،
فتخيل فزعها، ووحدتها، وحاجتها إليه، فجاءت
هذه القصيدة عرضاً لتلك الخواطر».

يـا من طـواهـا الليـلُ في بَيْـدائـه
روحـاً مـفـزعـة عـلى ظـلـمـائـهِ
تـتـلفـتـيـن إلـيَّ فـي أنـحـائـهِ
لهف الفؤاد على الشـريـد التـائـهِ

* * *

إن تـظمئي ليَ كـم ظمئـت إليـكِ
جـمـع الـوفـاءُ شـقـيـةً وشـقـيـا
يـا منيـتي قـستِ الـحيـاة عـليـكِ
وجـرت مقـادرهـا الجسـامُ عليـا

* * *

أسفـاً عليـكِ وأنـت روحٌ حـائـرٌ
والكـونُ أسـرارٌ يضيق بهـا الحجىٰ
تـجتـازُ عـابـرة ويـسـرع عـابـر
وتـمـر أشبـاحٌ يـواريـهـا الـدجى

* * *

فـي وجـنـتـيـكِ تـوهـجٌ وضـرامُ
وبـمـقـلتـيـكِ مـدامـعٌ وذهـولُ
وكـذا تـمـر بمثلكِ الأيـامُ
مـجـهـولـةً وعـذابُـهـا مـجـهـولُ

* * *

وَلّيتِ قبل لقائِنا يا جنتي
لم تظفري مني بقولٍ مسعدِ
وكعادةِ الحَظِّ الشقيِّ وعادتي
أقبلتُ بعد ذهاب نجمي الأوحدِ

* * *

تتعاقبُ الأقدارُ وهي مسيئةٌ
كم عقنا ليلٌ وخان نهارُ
وكأنما هذا الفضاء خطيئة
وكأن همسَ نسيمِه استغفارُ
وكأنه أحزانُ قومٍ ساروا
هذي مآتمهم وثم ظلالها
عفتِ القصور وظلت الأسوار
كمناحة جمدت وذا تمثالها

* * *

ران السواد على وجودِ الدورِ
وسرى إليَّ نحيبُها والأدمعِ
وكأنني في شاطىء مهجور
قد فارقتهُ سفينةٌ لا ترجعِ

* * *

حملتْ لنا أملاً فلما ودَّعت
لم يبقَ بعد رحيلها للناظر
إلا خيال سعادة قد أقلعت
ووداع أحبابٍ ودمع مسافر

* * *

- ٥ -

اثنان في سيارة

العمرُ أكثرهُ سدى وأقلُّهُ
صفوٌ يتاحُ كأنه عمران
كم لحظةٍ قصرت ومدت ظلَّها
بعد الذهاب كدوحة البستانِ
ويمر في الذكرىٰ خيالُ شبابها
فكأن يقظتَها شبابٌ ثاني
مَنْ ذلك الطيف الرقيق بجانبي
كفَّاه في كفَّيَّ هاجعتانِ
لكأننا والأرضُ تُطوى تحتَنا
نجمان في الظلماءِ منفردانِ
لكأننا والريحُ دونَ مسارنا
خطان في الأقدارِ منطلقان
إني التفت إلى مكانك بعدما
خليتهِ فبكيتُ سوء مكاني
هل كان ذاك القربُ إلَّا لوعةً
ونداء مسغبةٍ إلى حرمان
حمى مقدرة على الإنسان
تبقى بقاء الأرض في الدورانِ
وكأنما هذي الحياة بناسها
وضجيجها ضرب من الهذيانِ

- ٦ -

لقاء في الليل

«كان اللقاء في ظلمات القاهرة الحالكة أيام الغارات وقد تم هذا اللقاء تحت الفزع والظلمة والخوف».

قالت تعال فقلت لبيكِ   هيهات أعصيْ أمرَ عينيكِ
أنا يا حبيبة طائرُ الايكِ   لم لا أغني في ذراعيك

* * *

أفديكِ مقبلةً على جزعِ   بسطت إليَّ يمينَ مرتجفِ
وبها إرتعاشةُ طائرٍ فزعِ   من قلبها تسري إلى كتفي

* * *

شحبتْ كلون المغرب الباكي
وتألّقتْ كالنجم عيناها
فتلفّتتْ كحبيس أشراكِ
وحكى اضطراب الموج نهداها

* * *

وأخذتُ أدفىء بردَها بفمي
لو تنفعنْ حرارةُ القبلِ
قلتُ اهدئي لم ثورة الندمِ
كفّاكِ ترتجفانِ يا أملي

* * *

وجذبتُها بذراعِها نمشي
نمشي وما ندري لنا غرضا
إلفان قد فرا من العشِّ
يتبادلان سعادةً ورضا

* * *

يا لحظة ما كان أسعدها　　وهناءة ما كان أعظمها
مر الغريبُ فباعدت يدَها　　وخلا الطريقُ فقربت فمها

* * *

مرت بنا سيارةٌ ومضت　　فضاحة خطافة النورِ
كشفت لعينيْنا وقد ومضت
ظلين مقنعين في السورِ
ضحكتْ لظلينا وقد عجبت
مما يخال فؤاد مذعورِ
وكأنَّ ضحكتها وقد طربت
قطرات ماء فوق بلورِ

* * *

عوذتها من شر أمسيةٍ
تعيا بها وتضل أبصارُ
وكواكب ليست بمنجدية
ظلم مكدسة وأحجارُ

* * *

عثرت بها فرفعتها بيدي
جسماً يكاد يشف في الظلمِ
ويرف مثل الزهر وهو ندى
ويخف مثل عرائس الحلمِ

* * *

وكأنني مما يسوء خلي
وحياتيَ انجابت حوالكُها
أرمي الطريق بناظريْ رجل
وأنا لها طفل أضاحكُها

* * *

ملكتها الدنيا بما وسعتْ
وأنا أهامسها بأسراري
وأسرها بحكاية وقعت
ورواية من نسج أفكاري

* * *

وإذا الطريق يسير منعطفا
وإذا رياح تضرب السدفا
وكأن منها منذرا هتفا
بلغ المسير نهاية، فقِفا

* * *

يا توأما من صدري انتزعا
يا من دعا قلبي له فسعى
لم أيها الداعي هواك دعا
والدهر يأبى أن نظل معًا

* * *

انظر ذراعيَّ اللذين هما
قد طوقاك مخافة البينِ
أقسم بأنك عائدٌ لهما
إني لممدودُ الذراعينِ

* * *

- ٧ -

ختام الليالي

الليالي! يا ما أمرّ الليالي
غيبتْ وجهك الجميل الحبيبا
أنت قاسٍ معذبٌ ليت اني
أستطيع الهجران والتعذيبا
ان حبي إليك بالصفح سبّا
قُ وقلبي إليك مهما أصيبا
يا حبيبي كان اللقاءُ غريبا
وافترقنا فبات كل غريبا
غير أني أستنجد الدمعَ لا ألـ
ـقى مكان الدموعِ إلا لهيبا
آه لو ترجع الدموعُ لعيني
جف دمعي فلست أبكي حبيبا

*   *   *

الاطلال

«هذه قصة حب عاثر: إلتقيا وتحابا ثم
انتهت القصة بأنها صارت أطلال جسد،
وصار هو أطلال روح، وهذه الملحمة تسجل
وقائعها كما حدثت».

يــا فــؤادي رحــم الــلّهُ الــهــوى
كــان صــرحــاً من خيــال فهــوى
اسـقـنـي واشــربْ عـلى أطـلالِـهِ
وارو عني طـالـمـا الـدمـع روى
كـيـف ذاك الـحـب أمـسـى خـبـراً
وحـديـثـاً من أحـاديـث الـجـوى
وبـسـاطـا مـن نـدامـى حـلـم
هـم تـواروا أبـداً وهـو انـطوى.

* * *

يــا ريــاحــا ليس يهــدا عصفـهــا
نضب الــزيتُ ومصبــاحي انــطفــا
وأنا أقتات من وهم عفا وأفي العمر لناسٍ ما وفى
كــم تـقـلـبـت عـلى خـنـجـره
لا الهــوى مــال ولا الجفنُ غـفــا
وإذا القلبُ على غفرانِهِ كلما غاربه النصلُ عفـا
يا غراما كان مني في دمي قدراً كالموت أوفى طعمِهِ
ما قضينا ساعة في عرسِهِ وقضينا العمر في مـأتمه
ما انتزاعي دمعةً من عينِهِ واغتصابي بسمةً من فمِهِ
ليت شعري أين منه مهربي أين يمضي هاربٌ من دمِهِ

* * *

لست أنساكِ وقد أغريتني
بفمٍ عذبِ المناداة رقيقْ
ويدٍ تمتد نحوي كيدٍ
من خلال الموجِ مُدّتْ لغريقْ
آه يا قِبلة أقدامي إذا
شكتِ الأقدامُ أشواكَ الطريقْ
وبريقاً يظمأ الساري لهُ
أين في عينيك ذيّاك البريقْ
لست أنساك وقد أغريتني
بالذرى الشم فأدمنتُ الطموحْ
أنت روح في سمائي وأنا
لك أعلو فكأني محضُ روحُ
يا لها من قمم كنّا بها نتلاقى وبسرّينا نبوحْ
نستشف الغيبَ من أبراجها
ونرى الناسَ ظلالاً في السفوحْ

* * *

أنتِ حسن في ضحاه لم يَزَلْ
وأنا عنديَ أحزان الطَفَل
وبقايا الظل من ركب رحلْ
وخيوطُ النور من نجمٍ أفلْ
ألمح الدنيا بعيني سئمْ
وأرى حوليَ أشباحَ المللْ
راقصات فوق أشلاء الهوى
معولاتٍ فوق أجداثِ الأملْ
ذهب العمرُ هباءً فاذهبي
لم يكن وعدُك إلا شبحا
صفحةٌ قد ذهب الدهرُ بها
أثبت الحب عليها ومحا

انظري ضِحكي واقصِّي فرحا
وأنا أحمل قلباً ذُبِحَا
ويراني الناسُ روحاً طائراً
والجوى يطحنني طحن الرحى؟

* * *

كنت تمثال خيالي فهوى
المقادير أرادتْ لا يدِي
ويحها لم تدرِ ماذا حطمتْ
حطمت تاجي وهدّت معبدي
يا حياة اليائس المنفرد
يا يباباً ما به من أحدِ
يا قفاراً لافحاتٍ ما بها
من نجي.. يا سكون الأبدِ..

* * *

أين من عيني حبيبٌ ساحرٌ
فيه نبلٌ وجلالٌ وحياءْ
واثقُ الخطوةِ يمشي ملكا
ظالمُ الحسن شهيُّ الكبرياءْ
عبقُ السحرِ كأنفاسِ الربَى
ساهمُ الطرفِ كأحلامِ المساءْ
مشرقُ الطلعةِ في منطقِهِ
لغةُ النورِ وتعبيرُ السماءْ

* * *

أين مني مجلسٌ أنت بهِ
فتنَةٌ تمت سناء وسنى
وأنا حبٌّ وقلبٌ ودمٌ
وفراشٌ حائرٌ منك دنا

ومــن الشــوقِ رســولٌ بــيــنــنــا
ونــديـمٌ قــدّم الـكــأسَ لــنــا. . .
وسـقــانــا. فــانـتـفـضـنــا لـحـظـةً
لــغــبــارٍ آدمــي مــســنــا!
قــد عـرفنــا صــولــةَ الجسمِ التي
تــحكــم الحيَّ وتــطغي فــي دمــاه
وسـمعنــا صــرخــةً في رعــدِهــا
ســوط جــلّادٍ وتــعــذيــب إلــه
أمــرتْــنــا فــعــصــيــنــا أمــرَهــا
وأبــيْــنــا الــذلَّ أن يــغشــى الجبــاه
حكم الــطاغي فكنــا في الـعصــاهْ
وطــردنــا خــلفَ أســوارِ الـحــيــاهْ

* * *

يــا لمنـفـيين ضــلّا فــي الــوعــورْ
دميــا بــالشــوك فيهــا والصخــورْ. .
كـلمــا تـقســو الـليــالــي عــرفــا
روعــة الآلامِ في المنفى الطهورْ. .
طــردا مـن ذلــك الحِـلم الكَـبـيـرْ
للحـظوظِ السـودِ والليــلِ الضــريــرْ
يـقبســان الـنــورَ مـن روحـيْـهــمــا
كلمــا قــد ضنتِ الـدنيــا بـنــورْ

* * *

أنــت قــد صيــرت أمــري عــجبــا
كــثــرتْ حــوليَ أطــيــارُ الــربــى
فــإذا قــلــت لــقــلبــي ســاعــةً
قــم نـغــردْ لــســوى لـيــلى أبــى
حـجبـتْ تــأبــى لـعـيـنـي مــاربــا
غــيــر عــيــنــيــك ولا مــطلبــا

أنتِ من أسدلها لا تدعي
انني أسدلت هذي الحُجُبا
ولكم صاح بي اليأسُ انتزعها
فيرد القدرُ الساخرُ: دعها

يا لها من خطة عمياء لو أنني أبصر شيئاً لم أطعها
وليَ الويل إذا لبيتُها ولي الويلُ إذا لم أتبعها

قد حنت رأسي ولو كل القوى
تشتري عزة نفسي لم أبعها

* * *

يا حبيباً زرتُ يوماً أيكَهُ
طائر الشوق أغنيّ ألمي
لك ابطاءُ الدلالِ المنعمِ
وتجنيْ القادرِ المحتكمِ
وحنيني لك يكويْ أعظمي
والثواني جمرات في دمي
وأنا مرتقبٌ في موضعي
مرهفُ السمعِ لوقعِ القدمِ

* * *

قدم تخطو وقلبي مشبه
موجة تخطو إلى شاطئها
أيها الظالم بالله إلى كم
اسفح الدمعَ على موطئها
رحمةٌ أنت فهل من رحمةٍ
لغريبِ الروحِ أو ظامئها
يا شفاء الروح روحي تشتكي
ظلمَ آسيها إلى بارئها...

* * *

أعـطنـي حـريتـي أطـلقْ يـديّ
انني اعـطيتُ مـا استبقيتُ شيّ
آه من قيـدك أدمى معصمي
لـمَ أبقيـهِ ومـا أبقى عـليّ
مـا احتفـاظي بعهـود لم تصنْهـا
وإلام الأسـر والـدنيـا لـديّ
هـا أنا جفتْ دموعي فـاعفُ عنها
انهـا قبلَك لـم تـبـذلْ لحـيْ

* * *

وهبِ الـطائـر عن عشـك طـارا
جفتِ الـغـدرانُ والـثـلجُ أغـارا
هـذه الـدنيـا قـلوب جَـمَـدتْ
خبتِ الشـعلةُ والـجـمـرُ تـوارى
وإذا مـا قـبس الـقـلب غـدا
من رمـادٍ لا تسلْهُ كيف صـارا
لا تسـلْ واذكـرْ عـذابَ المصطليْ
وهـو يـذكيـهِ فـلا يقبسُ نـارا

* * *

لا رعـى اللّهُ مسـاءً قـاسيـا
قـد أرانـيْ كـلَّ أحـلامي سـدى
وأراني قلبَ من أعبـدُهُ ساخراً من مدمعي سخر العدا
ليت شعري أي أحداث جرت أنزلت روحَك سجناًموصدا
صدئت روحك في عيهبِها وكذا الأرواح يعلوها الصدا

* * *

قـد رأيتُ الكـونَ قـبـراً ضـيقـا
خيّم اليـأسُ عـليـهِ والسكـوتْ

ورأت عيني أكاذيبَ الهوى
واهياتٍ كخيوطِ العنكبوتْ
كنت ترثي لي وتدري ألمي
لو رثى للدمع تمثال صموتْ
عند أقدامك دنيا تنتهي
وعلى بابك آمالٌ تموتْ

* * *

كنت تدعوني طفلاً كلما
ثار حبي وتندتْ مقلي
ولك الحق لقد عاش الهوى
فيّ طفلاً ونما لم يعقلِ
ورأى الطعنة إذ صوبتها
فمشت مجنونة للمقتل
رمت الطفلَ فأدمتْ قلبهُ
وأصابتْ كبرياءَ الرجلِ
قلت للنفس وقد جزْنا الوصيدا
عجلي لا ينفعُ الحزمُ وئيدا
ودعي الهيكلَ شبتْ نارُهُ
تأكلُ الركَّعَ فيهِ والسجودا
يتمنّى لي وفائي عودةً
والهوى المجروحُ يأبى أن نعودا
لي نحو اللهب الذاكي به
لفتة العود إذا صار وقودا

* * *

لستُ أنسى ابداً ساعة في العمر
تحت ريحٍ صفقتْ لارتقاصِ المطرَ
نوّحتْ للذِكَرِ وشكتْ للقمرَ
وإذا ما طربتْ عربدتْ في الشجرِ

هاك ما قد صبت الريـ ـح بـاذن الـشـاعـر
وهي تغري القلب اغرا ء الـنصيـح الفـاجـر

أيــهــا الــشــاعــر تــغــفــو
تــذكــرُ الــعــهــدَ وتــصــحــو
وإذا مــا الــتــأم جــرحُ
جــد بــالــتــذكــارِ جــرحُ

فـتعـلمْ كـيـف تـنسـى وتـعلمْ كـيـف تـمحـو
او كـل الحب فـي رأ يِـكَ غـفـرانٌ وصفـحُ

* * *

هـاك فانـظرْ عددَ الزمـ ـلِ قـلوبـا ونـسـاءْ
فـتـخـيـرْ مـا تـشـاءْ ذهـب الـعـمـرُ هـبـاءْ
ضـل في الأرض الذي ينشـد أبنـاء السـمـاءْ
أي روحـانـيـة تـعـ ـصر من طين ومـاءْ..

* * *

أيــهــا الـريــح أجـلْ لـكـنـمـا
هـي حـبـي وتـعـلاتـي ويـأسـي
هـي في الـغـيـبِ لـقـلبي خـلقـتْ
أشـرقتْ لي قبـل أن تشـرقَ شمسِ
وعـلى مـوعـدهـا أطبـقتُ عـيـني
وعـلى تـذكـارهـا وسـدتُ رأسي

* * *

جنّتِ الـريـحُ ونـادتـ ـه شيـاطين الـظلام..
أختـامـاً كـيـف يحـلو لـك في البـدء الختـام
يـا جريحـا اسلمَ الجر حَ حـبـيـبـا نـكـأهْ
هـو لا يـبكـي إذا الـنـ ـاعـي بـهـذا نـبـأهْ
أيهـا الجبـار هـل تصـ ـرع من أجـل امـرأهْ..

* * *

يا لها من صيحةٍ ماً بعثت
عنده غير أليمِ الذكرِ
ارقت في جنبه فاستيقظت
كبقايا خنجر منكسرِ
لمع النهرُ وناداه له
فمضى منحدراً للنهرِ
ناضبُ الزادِ وما من سفر
دون زادٍ غير هذا السفر

* * *

يا حبيبي كل شيء بقضاءْ
ما بأيدينا خُلِقْنا تعساءْ
ربما تجمعُنا أقدارُنا
ذات يومٍ بعدما عزّ اللقاءْ
فاذا أنكر خلٌّ خلَّه
وتلاقينا لقاءَ الغرباءْ
ومضى كلٌّ إلى غايتِهِ
لا تقلْ شيئا! وقل لي الحظ شاءْ

* * *

يا مغني الخلد ضيعت العمرْ
في أناشيد تغنّى للبشرْ
ليس في الأحياءِ من يسمعنا
ما لنا لسنا نغني للحجرْ
للجمارات التي ليستْ تعي
والرميمات البوالي في الحفرْ
غنّها سوف تراها انتفضتْ
ترحم الشاديْ وتبكي للوتر

* * *

يا نداء كلما أرسلْتُهُ
ردّ مقهوراً وبالحظِّ ارتطم
وهتافاً من أغاريد المنى
عاد لي وهو نُواحٌ وندمْ
رب تمثالٍ جمالٍ وسنا
لاح لي والعيش شجو وظلمْ
ارتمى اللحنُ عليهِ جاثياً
ليس يدريْ أنه حسنٌ أصمْ

* * *

هدأ الليلُ ولا قلب له
أيها الساهر يدري حيرتكْ
أيها الشاعر خذ قيثارتكْ
غنِّ أشجانك واسكبْ دمعتَكْ
رب لحن رقص النجمُ له
وغزا السحب وبالنجم فتكْ
غنِّهِ حتى نرى سترَ الدجى
طلع الفجرُ عليه فانهتكْ

* * *

وإذا ما زهرات ذعرت
ورأيت الرغبَ يغشى قلبها
فترفقْ واتئدْ واعزفْ لها
من رقيقِ اللحنِ وامسحْ رعبَها
ربما نامتْ على مهدِ الأسى
وبكتْ مستصرخاتٍ ربها
أيها الشاعر كم من زهرةٍ
عوقبتْ لم تدرِ يوماً ذنبَها

* * *

متفرقات

ذات مساء

وانتحينا معا مكاناً قصياً
نتهادى الحديث أخذاً وردّا
سألتني مللتنا أم تبدلـ
ـتَ سوانا هوىً عنيفاً ووجدا
قلت هيهات! كم لعينيكِ عندي
من جميلٍ كم بات يهدى ويسدى
انا ما عشت أدفع الدين شوقا
وحنينا إلى حماكِ وسهدا
وقصيداً مجلجلاً كل بيتٍ
خلفَه ألفُ عاصفٍ ليس يهدا
ذاك عهدي لكل قلبك لم يقـ
ـض ديونَ الهوى ولم يرعَ عهدا
والوعودُ التي وعدتِ فؤادي
لا أراني أعيش حتى تؤدّى

رواية

نزل الستارُ ففيمَ تنتظرُ
خلت الحياةُ وأقفر العمرُ
لم يبقَ إلا مقفر تعس
تعوى الذئابُ به وتأتمرُ
هو مسرحُ وانفضّ ملعبُهُ
لم يبقَ لا عينٌ ولا أثرُ

وروايــة رويــت ومــوجــزهــا
صـحـبٌ مضـوا وأحبّـةٌ هـجـروا
عبـروا بهـا .صـوراً فـمـذ عبـروا
ضـحـك الـزمـانُ وقهـقـه القـدرُ

يأس على كأس

- ١ -

أصبحتُ من يـأسي لـو أن الـردى
يـهتـف بي، صحتُ بـه هـيـا
هيـا فما في الأرضِ لي مـطمح
ولا أرى لـي بـعـدهـا شـيـا
مـاذا بـقـائي هـا هـنـا بعـدمـا
نـفضـتُ منـه الـيـومَ كـفـيـا
أهـربُ من يـأسي لـكـأسي التي
أدفـنُ فـيـهـا أمـلي الـحـيّـا
يـا أيهـا الـهـارب مـن جـنـتـي
تـعـال أو هـات جـنـاحـيـا
نـبكيَ شبـابـنـا ونبكـي الـمـنى
وتـرتـمـي بـيـن ذراعـيـا

* * *

- ٢ -

اني على يـأسي وكـأسي كـابي
وعـلى سـرابي عـاكـف وشـرابي
ولقـد فـرغتُ من التعلل بـالمنى
الا وميضـاً في الـرمـاد الخـابي

رمــقــاً يـعــللني بـأنــك عــائــدٌ
يــومــا لقلبي قبــل يــوم ذهــابي
حتى اذا الأقــدار شئن وعــدتَ لي
راجـعتُ نـفسي واتهـمت صــوابي
أأرى شـروقَـك في أفــولِ مغاربي
وأشم عــطرَك في ذبــولِ شبــابي!

* * *

- ٣ -

هات اسقني واشربْ على سر الأسى
وعلى بقــايــا مـهجـة وشـجــاهــا
مهــلا نـديمي! كيف ينسى حبهــا
من ينشــد السلوى على ذكــراهــا
مــا زلت تسقيني لتنسيـني الـهـوى
حتى نسيتْ، فمــا ذكـرت ســواهــا
كــانت لنــا كــأسٌ وكــانت قصــةٌ
هــذا الـحبـاب أعــادهــا ورواهــا
الآن غشــاهــا الضبــابُ وهــا أنــا
خلفَ المــآسي والــدمــوعِ أراهــا
غــال الـزمــانُ ضبابَهــا وحبــابهــا
وتــبــخــرتْ أحــلامُــهــا ورؤآهــا
لا تبكـهــا ذهبتْ ومــات هــواهــا
في القلب متســعٌ غــدا لســواهــا
أحببتُهــا وطــويتُ صفـحتَهــا وكم
قــرأ الـلبيبُ صحيـفــةً وطـواهــا
تلك الـوليـدة لم تــطل بشــراهــا
لمّــا تكـد تــطأ الثرى قــدمــاهــا
زف الصبــاحُ إلى الرمــال نـداءَهــا
وســرى النسيمُ عـشيــةً فـنعــاهــا

عاصفة روح

(الزورق يغرق والملاح يستصرخ)

أين شط الرجاءْ   يا عُباب الهمومْ
ليلتي أنواءْ   ونهاري غيومْ

* * *

أعولي يا جراحْ   اسمعي الديّانْ
لا يهم الرياحْ   زورقٌ غضبانْ

* * *

البلى والشقوبْ   في صميم الشراعْ
والضنى والشحوبْ   وخيالُ الوَداعْ

* * *

اسخري يا حياهْ   قهقهي يا رعودْ
الصبا لن أراهْ   والهوى لن يعودْ

* * *

الأماني غرورْ   في فم البركانْ
والدجى مخمورْ   والردى سكرانْ

* * *

راحتِ الأيامْ   بابتسام الثغورْ
وتولى الظلامْ   في عناق الصخورْ

* * *

كان رؤيا منامْ   طيفك المسحورْ
يا ضفاف السلامْ   تحت عرش النورْ

* * *

اطحني يا سنين مزقي يا حرابْ
كل برق يبينْ ومضه كذابْ

* * *

اسخري يا حياةْ قهقهي يا غيوبْ
الصبا لن أراهْ والهوى لن يؤوبْ

* * *

كبرياء

- ١ -

نداؤك يا فؤادَ كفى نداءَ
أما تنفك تسقيني الشقاءَ
أنا ظمآن لم يلمعْ سرابٌ
على الصحراءِ الا خلتُ ماءَ
وأنت فراش ليلى كل نور
وتبعث كلٍّ برق قد أضاءَ
فؤادي قل لها لما افترقنا
على شجن، وما نرجو اللقاءَ
حبيبتكِ ما شدوت شعراً(!!)
ولكني اعتصرت لكِ الدماءَ
إذا أنا في هواك أضعت روحي
فلست أضيعُ فيك دمي هباءَ
غرامُكِ كان محراب المصلي
كأني قد بلغتُ بكِ السماءَ
خلعت الآدميةَ فيه عني
ولكن ما خلعت به الإباءَ

فلم أركعْ بساحته رياءً
ولا كالعبد ذلاًّ وانحناءَ
ولكني حببْتُكِ حبَّ حرٍّ
يموتُ متى أراد وكيف شاءَ

* * *

- ٢ -

وحبيب كان دنيا أملي
حبه الحرابُ والكعبةُ بيتُهْ
من مشى يوماً على الوردِ له
فطريقي كان شوكا ومشيتُهْ
من سقى يوماً بماءٍ ظامئاً
فأنا من قدح العمرِ سقيتُهْ
خفق القلبُ له مختلجاً
خفقةُ المصباح إذ ينضبُ زيتُهْ
قد سلاني فتنكرتُ لهُ
وطوى صفحةَ حبي فطويتُهْ

* * *

- ٣ -

أقبلتُ للنيلِ المباركِ شاكياً
زمني وقد كثرتْ عليَّ همومي
ومسحتُ كفيْ والجبينَ بمائهِ
علّي أهدىء ثورةَ المحمومِ
وجلست أنشرُ جعبةً معمورةً
بالذكرياتِ جديدِها وقديمِ

لهفي لحب مات غيرَ مدنسٍ
وشباب عمر مرَّ غيرَ ذميمِ
خان الأحبةُ والرفاقُ ولم أخنْ
عهدي لهم وصفحتُ صفحَ كريمِ
أيخيفُني العشبُ الضعيفُ أنا الذي
أسلمت للشوكِ الممضِّ أديمي
وإذا ونى قلبي يدق مكانه
شممي وتخفقُ كبرياءُ همومي
اني لأحمل جعبتي متحديا
زمني بها وحواسدي وخصومي
أحني لعرش الله رأساً ما انحنى
بالذل يوماً في رحابِ عظيمِ

اذكري

اذكري ذاك المساءَ كيف كنا سعداءَ
لم يدعْ عنديَ همّاً ومحا عنك الشقاءَ
ملأ الدنيا صفاءَ عندما شئتِ وشاءَ
أحسن الدهرُ إليْنا بعدما كان أساءَ
كلما أقبلت السحـ ـب فظلَّلن السماءَ
قاتمات غائمات يتهادينَ بطاءَ
لاح نجمٌ من بعيد فتجلى وأضاءَ
وتصدّى قمرٌ را ح على الأرضِ وجاءَ

رسائل محترقة

ذوت الصبابةُ وانطوتْ ... وفـرغـتُ مـن آلامـهـا
لكنني ألـقى الـمنـايـا ... مـن بقـايـا جـامـهـا
عـادت إليَّ الـذكـريـاتُ ... بحشـدهـا وزحـامهـا
فـي لـيـلة لـيـلاء أرّ ... قني عصيب ظـلامهـا
هـدأت رسـائـل حبهـا ... كـالطفـل، في أحلامهـا
فحلفت لا رقـدت ولا ... ذاقـت شهـيَّ منـامِهـا
أشعلت فيهـا النار تـر ... عى في غـزيز حطامها
تـغتـال قـصـة حبنـا ... من بـدئهـا لختـامهـا
أحـرقتُهـا ورمـيت قـلـ ... ـبي في صميم ضرامها
وبكى الـرمـاد الآدمـي ... عـلى رمـاد غـرامـهـا

الغريب

يـا قـاسيَ البعـد كيف تبتعـدُ
انـي غـريـبُ الـديـارِ مـنـفـردُ
إن خـانني اليـومُ فيـك قلت غـداً،
وأيـن مـنـي ومـن لـقـاك غـدُ
إنّ غـداً هـوةٌ لـنـاظـرهـا
تـكـاد فيهـا الـظنـون تـرتـعـدُ
أطـل فـي عـمـقِهـا أسـائـلهـا
أفـيـك أخـفـى خـيـالَـهُ الأبـدُ
ألامس الجـرحَ مـا الـذي صنعتْ
بـه شـفـاهٌ رحـيـمـةٌ ويـدُ
مـلء ضـلوعـي لـظى واعـجبُـهُ
انـي بـهـذا الـلهـيـبِ ابـتـردُ

يـا تـاركي حيـث كـان مجلسنـا
وحـيـث غـنّـاك قـلبـيَ الـغـردُ
أرنـو الى النـاس في جمـوعـهم
أشـقـتـهمُ الـحـادثـاتُ أم سـعـدوا
تـفـرقـوا أم بـهـا احـتـشـدوا
وغـوَّروا هـابـطيـن أم صـعـدوا
انـي غـريـبٌ تـعـال يـا سكـنـي
فـليس لـي فـي زحـامِـهـم أحَـدُ

بعد الفراق

- ١ -

أجـل! أهـواكِ أنتِ مُنى حيـاتـي
وأنـت أحب مـن بصـري وسـمعـي
وهـل أنـسـاكِ كـلا لست أنسى
هـوى قـد كـان إلهـامي ونـبعـي
لبست من التصبـر عنـكِ درعـا
فـهـا أنـا تـنـزعُ الأيـامُ درعـي
وهـا أنـا لست أدري عنـك سـرا
عـرفـتِ محبتي ورأيـتِ دمـعـي
تـلاشـت قـوتـي وغدا فـؤادي
كـأن خـفـوقَـه خلجـاتُ نـزعِ
أبـشـره فـيـرقص فـي ضـلوعـي
وأنـظرُ سـودَ أيـامـي فـأنـعـي
وقـد نضبَ الخيـالُ وغـاض طبعي
ومـات على حيـاض اليـأسِ زرعي
أجـرجـرُ وحـدتي في كـل حشـدٍ
وأحمـل غـربتي فيْ كـل جمـع

- ٢ -

مــزَّقَــتــه فــصــار والله لا يــقـ
ـدر حـتـى أن يـســأل اللَّهَ رفـقـا
لـجـةٌ بـعــد لـجـةٍ كـلـمـا صـا
رع ردت لــه أمــانـيــهِ غــرقـى
فـيلقٌ بـعــد فيـلقٍ حـجـب الـشمـ
ـس ولـم يـبــقِ لـلنــواظـر أفـقَـا
وسـنــانُ الـغــروب تـغــزوه حـمــرا
وسـنــانُ الـعــذاب تــطعــن زرقـا
وجيـوشُ الـظلامِ تــزحفُ زحـفـاً
وثقــالُ الأقــدامِ تسحقُ ســحقــا..

المآب

«خرج الشاعر من مصر مريضاً، ورجع
اليها مكسور الساق يحمل عكازتين، فلما
أشرفت السفينة على بور سعيد استقبل الشاعر
مصر بهذه الأبيات»:

هتفــتُ وقــد بــدت مصــر لـعيـني
رفــاقـي! تلك مـصــر يــا رفــاقـي
أتــدفعني وقــد هــاضت جنــاحي
وتـجـذبنـي وقــد شــدت وثـاقـي
خــرجتُ من الـديــارِ أجـرُّ هـمي
وعــدتُ الى الـديــار أجـرُّ ســاقي

في الأوتوجراف

من ن الى هـ

طلبتِ الكتابةَ يا جنتي
وماذا تريدين أن أكتبا
وما في الجوانح خافٍ عليكِ
وقلبك يعلم ما غيبا
سأكتب أنكِ أنت الربيعُ
وأنكِ أنضر ما في الربى
وأنكِ أنت الجمالُ الفريدُ
وفجرُ الشبابِ وحلمُ الصبا
أهلل باسمكِ عند الصباح
وأطوي على ذكركِ المغربا..

شكوى الزمن

يا ويلتا من عمريَ الباقي هذا سوادٌ تحت أحداقي
هذا بياضُ الشيبِ واعجبي من مغرب في زِي اشراقِ
ويلي على كأسٍ معربدةٍ
وعلى دمٍ في الكأس مهراقِ
وعلى سراب خادعٍ وعلى متألقِ اللمحاتِ براقِ
طاف الزمان به علّى نفرٍ مالوا بهاماتٍ وأعناقِ
صُرعوا وأنت تظنهم سكروا
مات الندامى أيها الساقي
يا دهر لم أشك الكلالَ ولا
ملكتْ خطوبُ الدهر إرهاقي
عذبت أيامي بعِفّتها
وقتلتها بصفاء أخلاقي

يا كم غرست وكم سقيت وكم
نـضـرت مـن زهـر وأوراقِ
مـا حيلتي والأرضُ مجـدبـةٌ
سـيـان إقـلالـي وإغـداقـي
أين الـذين رفعت فـانحـدروا
وبـنـيـتُـهـم بـنـيـان خـلاق
أن الـوفـاءَ بضـاعـةٌ كسـدَتْ
ومـآل صـاحـبِـهـا لإمـلاقِ
إن كنتُ لم أغنمْ فقـد ظفـرا
مـني بـمـغـفـرتي وإشـفـاقي
لـكنني والـجـرح يُلهب لـي
حـسي ويـكـوي كَـي إحـراقِ
هـيهـات أنـسى أنـهم عـبـثـوا
ووفـيْتُ لـم أعبـث بميـثـاقي

كل الورى

كـل الـورى يـدعـون حبـكْ
أنـا الـوحيـد الـذي أحبـكْ
صـدرُك فيـه اضـطرابُ شـوقٍ
يقـرع قـرع العبـابِ جنبـكْ
فـكـيـف تـخـلي بـه مـكـانـي
وتـسـكـن الـغـادريـن قـلبـكْ
لـمـا اعـتـنقـنـا على اشـتيـاقٍ
لمست بـالسـاعـدين خـطبـكْ
تـعـال لا تـعـتـذر لـذنـب
بـقـدر حبي غـفـرت ذنـبـكْ

* * *

طـال عـلى المتعب الـطريق
بـلا حـبـيـب ولا صـديـق
قـد بعـد الشـاطىء المـرجى
والـمـوج لا يـرحم الـغـريـق
في واضـح النور جنـح ليـل
وفي الـرحـاب الفسـاح ضيق
يـا أرجـوان الـغـروب مهـلا
ولـتـتئـدْ أيـهـا الـعـقـيـق
صبغت عمـري فصرت أمشي
عـلى دمـائي الـتي أريـق..

* * *

يـا مسرحـاً والفصول تتـرى
عـليـه مـالي بـك اغـتـرارْ
فـلا بـخـيـر ولا بـشـرِّ
ولا طـوال ولا قـصـارْ
مـا خنت عهـدي لمن تـولى
كـلا ولا خـانـنـي اصـطبـارْ
أيـن الـليـالـي الـتـي تـسـرُّ
بـلا لـقـاء ولا مـزارْ
كـم قـلت ذا مشـهـد يـمـرُّ
ولـم أقـلْ أنـه سـتـارْ

* * *

إن كـان لـلمشـجيـاتِ رسـمُ
إنـي تـمـثـالـهـا الـمـقـامْ
بـلا دمـوع ولا شـكـاة
قـد جمـد الـدمـعُ والكـلامْ
يـا طـالب الحـزن في المـآقي
لا تنشـد الـدمـع في الـرخـامْ

وخـــذهُ مـــن أخـــرسٍ مـــريـــر
مـــن شـفـــه دمـعُـهــا ســـجــامْ
فـهــل فمٌ قـــد بـكى بـكـــائي
مـــن ذا رأى دمـعـــةَ ابـــتـســـامْ

صور شعرية

- ١ -

راقصة

عجباً لعارية كسا — ها الفنُّ حسناً رائعا
سمراء وشتها بنا — نتُه بياضاً ناصعا
شبه الفرائد قد كسيـ — ـن في الغمام براقعا
خبأن نصفا بي الدجى — وجلون نصفا لامعا
من أي وديان الظبا — ء ملاعبا ومراتعا؟
من عبقر، ومن الالمـ — ـب، ومن فنونهما معا
تبدين ريّان الشدي — لنا وخصراً جائعا
وترين كونا يشبه الـ — ـكونَ الرحيبَ الواسعا
متغاير الابداع مخـ — ـتلف المحاسن جامعا
لك خفة الطير المحـ — ـلق طائراً أو واقعا
لك خفة البطل المجـ — ـلي مقبلاً أو راجعا
متمهلاً للخصم حيـ — ـنا للّقاءِ مسارعا

الصنم الجميل

يا قلبي الشاكي المعذ — ب هذه الشكوى لِمَا
حان الفرارُ وآن للمـ — ـسجون أن يتنسما
حان الحسابُ وآن للـ — ـموتور أن يتكلما
يا طفليَ النواح آ — ن اليوم أن تتعلما
أسفي لغالي الدمع تبـ — ـذله لمرتخص الدمى

أفنيتـه ورجعـت حـ   ـتى من دموعك معدما
فـإذا افتقدت الـدمع عـ   ـز فتبكـيـنّ تبسـمـا
تبكي على العرش المصو   غ من المـدامع والـدما
تبكي على الصنم الجميـ   ـل يكـاد أن يتهكـمـا
تبكي تراب الأرض مصـ   ـبوغا بـألـوان السمـا

الليل في فينيسيا

يـا رب مـا أعجب هـذي البـلاد
لا ليـلَ فيهـا! كـل ليـلٍ صبـاح
وكـل وجـه في حمـاهـا ضِمـاد
ومـصـر لا تـنـبـت الا الـجـراح

شكوك

يـا رامي السهم يدري أين مـوضعـه
مـني ويـعلم مـا داريـت مـن ألـمِ
رميتَ في سـاحةٍ مـوسـومـة بـدمٍ
منقـوشـةٍ بنـدوب الحبِّ والنـدمِ
لا يخـدعنَّـكَ منهـا وهي صـامتـةٌ
صمت القبـور فراغُ المـوتِ والعدم
فكم شفـاه جـراحـاتٍ اذا انـطبقت
جـرح الإبـاءِ عليهـا غيـر ملتئـم
فيم انتقـامـك من قلب عصفتَ بـه
لم يبقَ من مـوضـع فيـه لمنتـقمِ
وفيم لـذعـة سخطٍ من جـوى بـرمٍ
تـرمي بجمرتـه في جوف مضـطرم !

النسيان

حـان الـشفـاءُ فـودع الألـمـا
واسـتقبـل الأيـامَ مـبـتـسـمـا
ضيفٌ مـن السـلوان حـل بنـا
حـدبُ اليـدين مبـاركٌ قـدمـا
أو ما ترى الضيفَ الـذي قدمـا
يـطوي الغيوبَ ويـذرعُ الـظلمـا
فـي كـفِـهِ كـأسٌ يـقـدمـهـا
تمحـو العذابَ وتغسـلُ الـندمـا
فـاشـربْ ولا تـرحمْ ثمـالَتهـا
لهفي عليـك شـربتَ أي ظمـا
فيض من النسيان يغمرني   اني لأحمد سيله العرما
مـستسلمـاً لـلمـوج يغـمـرني
فـرحـان حين أعـانقُ العـدمـا

المساء

يـا غـلة المتـلهـفِ الـصـادي
يـا آيتي وقصيـدتـي الكـبـرى
مـاذا تـركـت لـديَّ مـن زادِ
إلا استعـادة هـذه الـذكـرى
يـا لـلمسـاء الـعبـقـري ومـا
أبـقى عـلى الأيـام في خـلدي
شفتـاك شـفـا لـوعـةً وظمـا
وجمـالـك الجبـار طـوعُ يـدي
نمشي وقـد طـال الـطريقُ بنـا
ونـودُّ لـو نـمشـي إلى الأبـدِ

ونــود لــو خلتِ الحيــاة لنــا
كــطريقنــا وغــدتْ بــلا أحــدِ
نبني على أنـقــاض مـاضيـنــا
قصــراً من الأوهــام عمــلاقــا
ونــظل نـنســج مـن أمــانينــا
وشــيــا مـن الأحــلام بـراقــا
وأظــل أسـقيـهــا وتـمــلأ لـي
من مـورد خلف الـظنـون خفي
حتى إذا سكـرت من الأمــلِ
وتـرنحت مــالـت على كـتفـي
حـلفت بــأني مغـتــبد معـهــا
حيث اغتـدت وهواي في دمها
فمسحت بـالـقبـلات أدمـعَهــا
وطبعـت ميثـاقي عـلى فمـهــا

عذاب

ألمي محا ذنبي إليك وكفّرا
هبني أسأت ألم يحنْ أن تغفرا
روحي ممزقةٌ وأنت تركتَها
لمخالب الدنيا وأنياب الورى
روحي ممزقةٌ ولو أدركتها
جمّعت من أشلائها ما بعثرا
أو ليس لي في ظل حبك موضع
أحبو اليه وأرتمي مستنصرا؟
ما كنت أصبر عن لقائك ساعة
كيف اصطباري عن لقائك أشهرا
من بدّل الثغرَ الجميلَ عبوسة
ومضى إلى وجه السماء فكدرا
يا هاته الأقدارا عينك لا ترى
تحت الدجى سأمان ممتنع الكرى
ظمآن، لو باع الأحبةُ قطرةً
بالعمر والدنيا جميعاً لاشترى
اخفى جراحك واستعز بفتكها
غريدك الشادي المحلق في الذرى
يرنو اليك على البعاد ويعتلي
فيجره الجرحُ المميتُ إلى الثرى
قد عاش وهو معذبٌ بإبائه
ولقد يلاقي يومَه مس·كبرا
حتام كتماني وطول تجلدي
يا أيها الجاني عليَّ وما درى
ومتى المآب إلى رحابك مرةً
لأريك جرحي والدما والخنجرا

ملحمة السراب

- ١ -

السراب في الصحراء

السـرابُ الخـؤون والصحـراءُ
والحيـارى المشـردون الظمـاءُ
وليـالٍ فـي إثـرهـن ليـالٍ
سـنـة أقـفـرَت وأخـرى خـلاءُ
قـلّ زادي بـهـا وشـح المـاءُ
وتـولـى الـرفـاق والخـلصـاءُ
كيف للنـازح الحبيبِ ارتحـالي
وجِنـاحـاي السقم والبـرحـاءُ
وجـراحي المستنزفـات الدوامي
وخـطاي المـقـيـدات البطاءُ

ادركي زورقي فقد عبث اليـ ـم به والعواصف الهوجاءُ
والعبابُ العريضُ والأفقُ المو حشُ واللانهاية الخرساءُ
أفق لا يجد للعين قد ضا ق فأمسى والسجن هذا الفضاءُ
سهرت ترقب الصباحَ وعين الـ ـنجم كلّت وما بها إغفاءُ
عجبي من ترقبي ما الذي أر جو ولما يعدْ لقلبي رجاء
وأنـا مـرهـفُ المسـامـع فيـه
لي إلى كـل طـارقٍ إصغـاءُ...

* * *

التقينا كما التقى بعد تطوا فٍ على القفر في السرى انضاءُ
قطعوا شوطَهم على الدم والشو ك وراحوا على اللهيب وجاؤوا
في ذراعي أو ذراعيك أمن وسـلامٌ ورحمـةٌ ونـجـاءُ
وعلى صدرك المعذب أو صد ريَ حصنٌ وعصمةٌ واحتماءُ

كم أناديك في التنائي فترتـ ـد بلا مغنم ليَ الا صداء
وأناديك في دمائي فتنسا ب على حسرةٍ لدي الدماءُ
وأناديك في التداني وما أطـ ـمع إلا أن يستجاب النداءُ
باسمك العذب إنه أجملُ الأسـ ـماء مهما تعددت أسماءُ
لفظة لاتبين تنطلق الأقد ارُ عن قوسها ويرمي القضاءُ

* * *

وهي بين الشفاهِ نايٌ وتغريـ ـدٌ وطيرٌ وروضةٌ غنَّاءُ
وهي في الطرس قصةٌ تذكر الأحـ ـبابُ فيها وتحشد الأنباءُ
صدفةٌ ثم وقفةٌ فاتفاقٌ فاشتياقٌ فموعد فلقاءُ
فقليلٌ من السعادةِ لا يكـ ـمل فيه ولا يطولُ الهناءُ
فحنينٌ فلوعةٌ فاحتراقٌ فجحيمٌ وقودُه الشهداءُ
ما بقائي وأجمل العمر ولّى
وانتظاري حتى يحين الشتاءُ
يطلع الفجرُ مرهقاً شاحب النو
ر عليه الكلالُ والإعياءُ
وبنفسي دب المساءُ وحل الـ
ـليل من قبل أن يحين المساءُ

* * *

زرتني كالربيع في موكب الزهـ ـر له روعةٌ وفيه رواءُ
ولك الوجه أومض الحسنُ فيه
والتقى السحرُ عنده والذكاءُ
وشحوبٌ كظل خمر وللند مان تجلو شحوبُها الصهباءُ
ولك الجيد أتلعا أودع الصا نع فيه من قدرة ما يشاءُ
قدٌّ من مرمرٍ وشعشعه الفجـ ـرُ بوردٍ وصب فيه الضياءُ
وأنا الطائر الّذي تصطبي نفـ ـسي السماوات والذرى الشماءُ
راشني صائدٌ رماني فأدما ني وولّى الجاني وعاش الداءُ
مرحباً بالهوى الكبير، فإن يـ ـبقَ وإن تسلمي يطبْ لي البقاءُ
فهو القمةُ التي تهزمُ المو تَ ولا يرتقي إليها الفناءُ

مرّ يومي كأمسِه مسرحاً تعـ ـرض فيه الحياةُ والأحياءُ
آدم كـالقديم قلباً وتفكيـ ـراً ولكن تبـدل الأزيـاءُ
لم يحـلْ طبعـه ولا ذات يـوم
لـبسـت غـيـر نـفسـهـا حـواءُ
والنضارُ المعبود قُدْسٌ وقربا نٌ وربٌ والشهرةُ الجوفاءُ
والحـطامُ الفـاني عليـه اقتتـالٌ
والأمـانـي بـريـقُـهـا إغـراءُ
وسـفـيـنٌ تـمـر أثـر سـفـيـنٍ
والـريـاحُ الـلذات والأهـواءُ
والـغيـوبُ الـمحـجبـاتُ رحـابٌ
تعبت في رمـوزهـا الـحكـمـاءُ
عنـدهـا المـرفأ المؤمـل والشط
الـمـرجّى والصخـرة الـصمـاءُ..
مرّ يومي كـأمسه وأتى لـ ـيلٌ بهيج تزف فيه السماءُ
قـد جلت فيه عـرسَها، كـل نجم
قـدحٌ يستحم فـيـه الـضـيـاءُ
لم تزل تسكب السلاف وللأقـ ـداحِ فيها تجددٌ وامتلاءُ
لم تزل.. حتى هوّم الحانُ نعسا نَ وأغفى البساطُ والندماءُ
غير نجم في جانب الليل يقظا نَ، له روعة بهـا وجلاءُ
ذاك نجمُ الحبيب مني له الشو قُ ومنه الوميضُ والإيماءُ
كم أغنّيهِ بالحنين كما غـ ـنت على فرعِ غصنها الورقاءُ
وذراعـيَّ في انـتـظارٍ، وصـدري
فيـه بـالضيف فـرحـةٌ واحتفـاءُ
مـوقـداً للغـريب نـار ضـلوعي
فعسى للغـريب فيهـا اهتـداءُ...

* * *

لمَ خليتني وباعدت مسرا كَ ومالي إلى ذراك ارتقاءُ
بـالذي فيـك من سنـا لا تـدعني
فـيـم هـذا الـمـطال والإبـطاءُ

ما تراني وقد ذهبت بحظي
اخطاتني من بعدك النعماءُ
وانتهى بعدك الجميلُ فلا فضـ ـلٌ لمسدٍّ ولا يدٌ بيضاءُ
ومشى الحُسن في ركابك والإحـ ـسان طراً والغرة السمحاءُ
حسنات كانت يد الدهر عندي
فانطوت بانطوائك الآلاءُ

- ٢ -
السراب على البحر

لا القوم راحوا بأخبارٍ ولا جاؤوا
ولا لقلبك عن ليلاك أنباءُ،
جفا الربيعُ ليالينا وغادرها
وأقفر الروضُ لا ظل ولا ماءُ
يا شافي الداء قد أودى بي الداءُ
أما لذا الظمأ القتال إرواءُ
ولا لطائر قلب أن يقر ولا
لمركبٍ فزع في الشط إرساءُ!
عندي سماء شتاءٍ غير ممطرةٍ
سوداء في جنبات النفسِ جرداءُ
خرساء آونة هوجاء آونة
وليس تخدع ظني وهي خرساءُ
وكيف تخدعني البيداءُ غافية
وللسوافي على البيداء إغفاء
أأنتِ ناديت أم صوتٌ يخيل لي
فلي إليكِ بأذن الوهم إصغاءُ
لبيكِ لو عند روحي ما تطير به
وكيف ينهضُ بالمجروحِ إعياءُ

تفرق الناس حول الشط واجتمعوا
لهم به صخبٌ عالٍ وضوضاءُ
وآخرون كسالى في أماكنِهم
كأنهمْ في رمال الشط أنضاءُ
هم الورى قبل إفسادِ الزمان لهم
وقبل أن تتحدّى الحبَّ بغضاءُ
ضاقت نفوسٌ باحقادٍ ولو سلمت
فإنها كسماء البحر روحاءُ...
تألقتْ شمسُ ذاك اليوم واضطرمت
كأنها شعلٌ في الأفْقِ حمراءُ
طابت من الظل، ظل القلب ناحيةٌ
لنا، وقد صَلِيَتْ بالحرِّ أنحاءُ
ما لي بهم، أنت لي الدنيا بأجمعها
وما وعت ولقلبي منك إغناءُ
لو أنه أبدٌ ما زاد عن سنةٍ
ومدةُ الحلم بالجفنين إغفاءُ
أرنو اليك وبي خوفٌ يساورني
وانثني ولطرفي عنك اغضاءُ
إذا نطقت فما بالقول منتفعٌ
وان سكت فإن الصمتَ افشاءُ
وأيما لفظة فالريحُ ناقلةٌ
والشطُّ حاكٍ لها والأفقُ أصداءُ
يا ليل من علم الأطيارَ قصتنا
وكيف تدري الصبا أنا أحِباءُ
لما أفقنا رأينا الشمسَ مائلةً
إلى المغيب وما للبين إرجاءُ
شابت ذوائبُ، وانحلت غدائرُها
شهباء في ساعة التوديع صفراءُ

مشى لـهـا شفـقٌ دامٍ فخـضبـهـا
كـأنـه في ذيـولِ الشـعـرِ جِنـاءُ

* * *

يـا من تنفس حر الـوجـد في عنقي
كمـا تنفس في الأقـداح صـهبـاءُ
ومن تنفست حـر الـوجـد في فمـه
فمـا ارتـويت وهـذا الـري إظمـاءُ
مـا أنت عن خاطـري بالبعـد مبتعد
ولن تـواريك عن عينيّ ظلمـاءُ..

- ٣ -

السراب في السجن

يـا سجين الحيـاة أين الـفـرارُ
أوصـد الليـلُ بـابـه والنـهـارُ
فـلمـنْ لـفـتـةٌ وفـيـم ارتـقـابٌ
ليس بعـد الـذي انتـظرت انتـظارُ
والـتعـلات مـن هـوى وشـبـاب
قـصـة مسـدلٌ عـليهـا الـستـارُ
مـا الـذي يبتغي العليـلُ المسجَّى
قـد تـولـى الـعـوادُ والـسـمـارُ
طـال ليـلُ الغـريب وامتنـع الغمـ
ـض وفي المضجـع الغضا والنـارُ

* * *

وهَب السجنُ بـابـه صـار حـرا
لـكَ لا حـائـل ولا أسـوارُ

وعفا القيدُ عنك كفاً وساقاً
فإذا الأرض كلها لك دارُ
أين أين الرحيل والتسيار
بعدت شقة وشط مزار
والخطى المثقلاتُ باليأس أغلا
لٌ لساقيك والمشيبُ عثارُ
ما انتفاع الفتى اذا عفت الجـ
ـنة واجتاح دوحَها الأعصارُ
عشتُ حتى أرى خمائلَ حبي
تتهاوى كشامخ ينهارُ
تحت عيني ويذبل الحسنُ فيها
ويموتُ الربيعُ والانوارُ
ما انتفاع الفتى بموحش عيشٍ
بقيَتْ كأسُه وطاح العقارُ
وبقاء البساط بعد الندامى
كأس سم بها يدور البوارُ
ما انتفاعي وتلك قافلة العيـ
ـش وفي ركبها اللظى والدمارُ
الدمار الرهيب والعدم الشا
مل واللفحُ والضنى والأوارُ
يا ديار الحبيب هل كان حلما
ملتقى دون موعد يا ديارُ؟
يا عزيز الجنى عليك سلام
كيف جادت بقربك الأقدار
بورك الكرم والقطوف واوقا
ت كأن العناقَ فيها اعتصارُ
كلما أطلقتك كفي استردتك
كما يحفز الغريم الثارُ

آمال كاذبة

لا البـراء زار ولا خيـالـك عـادا
مـا أكـذب الآمـال والـميعـادا
عجباً لحبك يـا بخيلة كيف يخـ
ـلق من جـوانـح عـابـد حُسـادا
إني لأهتف حين أفتـرش المـدى
وأرى الجحـيم لـجـانبـي مِهـادا
آها على الرأس الجميل سلا وأغـ
ـفى مـطمئنـا لا يـحس سهـادا
فرشت له الأحـلام واحتفل الهـدو
ء يـد ومـد لـه الجمـال وسـادا
يـا حبها مـا أنت مـا هـذا الـذي
جمـع الغـريب وألَّف الاضـدادا
كم أشـرئب إلى سمـاك بنـاظـري
مـستلهـمـاً بـك قـوةً وعـمـادا
ولكم أبيتُ على السآمة طـاويـا
في خـاطـري شبحـاً لهـا عـوادا
فأراك تعبث بي كطفـل في السما
ء يـصـرف الأقـدار كـيـف أرادا
ولقـد أقول هـوى كما بـدأ انتهى
فـإذا الهـوى وافى النهـايـة عـادا
مـات الـرجـاءُ مـع المسـاءِ وإنمـا
كـان الـممـاتُ لـحبنـا ميـلاداً
مـاذا صنعت بنـاظـر لا يـنثـني
مـتـطلعـاً مـتـلفـتـاً مـرتـادا
وأنـا غـريب في الـزحـام كـأنني
آمـال اجـفـان حـرمـن رقـادا

ولقد ترى عيني الجموعَ فما ترى
دنيـا تمـوج ولا تـحس عبـادا
فاذا رأيتك كنت أنت النـاس والأ
عـمـار والآبـاد والآمـادا
وأراك كل الزهـر كل الـروض أنـ
ـت لـديَّ كـلُّ خميلةٍ تتهـادى

البعث

يـا جمالا وجـلالا يتدفقْ   رجع البلبلُ أم عاد الربيعْ
بهـر النورُ عيـوني فتـرفقْ   حين تدنو انني لا أستطيعْ

* * *

أيها الورد الذي طاف بنا   أيها الطل الذي بلَّ الظما
لا أراك الله حالي وانا   أطأ الشوك ويغزوني الغما

* * *

يا أماني وحبي وخيالي   لا تضيع لحظة فالعمر ضاعْ
لا أراك الله حالي والليالي   كاسفات ليس فيهن شعاعْ

* * *

قد بلوت الويلَ فيها لا بلوتا   وانا أبدأ يومي بالمساء
وعـرفت الضيق ضيق القلب حتى
لم أجد في الكون ثقباً من رجاء

* * *

لا وربي ليس في الـدنيـا ختـام
حين يغدو البعث نجوى من حبيب
حـين يستـيقظ قـلب مـن منـام
والمنـادي أنت والحب المـجيـب

المنصورة

بـاي معجـزة فـي الحـب نتفقُ
يا قلب لا يتلاقى الفجـرُ والغسقُ

يا قلب انا لقينا اليومَ معجزةً
تكادُ في ظلماتِ الليل تأتلقُ
ظللتُ أسأل نفسي كيف تعشقها
بقيةٌ من بقايا العمرِ تحترقُ
وافيتُها وفلول النور دامية
تطفو وترسب أو تعلو فتعتلقُ
لم أدر حين تبدتْ لي إذا شفقي
ابصرته أو على المنصورة الشفقُ؟
يا من منحت الأماني البيض معذرة
اني بهذي الأماني البيض أختنقُ
أين الهدوء المرجى في جوانبها
اني رجعت وليلي كله أرقُ
أقبلتُ أنشد أمنا في هواك بها
فلم أنل وتولى قلبي الفرقُ
لا بالقلوب ولا الأرواح يا أملي
إنَّا بشيءٍ وراءَ الروحِ نعتنقُ
ويحي على كفكِ البيضاء إذ بسطتْ
عند السلام وويحي حين تنطبقُ
هل يسمع النيلُ اذ سرنا بجانبهِ
والموجُ مجتمعٌ فيه ومفترقُ
صوتاً تماوجَ في روحي فجاوبه
من جانب القلبِ موجٌ راح يصطفقُ
تظل تنهبُ اذني من أطايبه
كأنها من خفايا الغيبِ تسترقُ
يا جنة من جنان الله أعبدها
لن تبعدي ولدي السحر والعبقُ

وقفة على دار

قف يـا فؤادُ على المنازل سـاعـا
فهنـا الشبابُ على الأحبـة ضـاعـا
وهـنـا أذلَّ ابـاءَه مـتـكـبـرٌ
أمـرت عيـونٌ قلبـه فـأطـاعـا
أحسست بـالـداء القـديم وعـادني
جـرح أبيت لـعـهـده إرجـاعـا
ومشىٰ مـع الأمل الـذهول كـأنمـا
طـارت بلبي الحـادثـات شعـاعـا
كثـرت عليّ متـاعبي فمحـونني
ومحـون حتى السقم والأوجـاعـا
يا من هجرت لقد هجرت إلى مدى
فـإلىٰ اللقـاء ولن أقـول وداعـا

الراهبة الباكية

لمن العيـون الغـائـرات خشوعـا
لمن النـواظـر قـد صفت ينبـوعـا
وتكللت بـالـطهـر مؤتلقَ السنـا
وجلت لنـا معنى الجمـال رفيعـا
مهـلاً فتـاة الـديـر والحسن الـذي
تصبـو لـه مهـجُ العبـادِ جميعـا
الحسنُ من حق الـورى وحملتِـه
مستـخفيـا متـأبيـا ممنـوعـا!
في الدير مثواه وفي جنح الـدجى
يتحـدر الحسنُ الشهيـدُ دمـوعـا

يا مؤنس الدنيا فديتك موحشاً
تهتاج وجداً أو تضيق ضلوعا
تتحرق الدنيا عليك وربما
أوقدت نفسك في الظلام شموعا

من ن الى ع

- ١ -

يا شطر نفسي وغرامي الوحيدْ
ما شئتِ يا ليلاي لا ما أريد
يا من رأت حزني العميقَ البعيدْ
داويتِ لي جرحي بجرحٍ جديدْ
هتكتِ عن روحي خفي النقابْ
فلم يزلْ يا ليلَ هذا الحجابْ
حتى مشت كفّاكِ فوق العذابْ
يا ليلَ اني لشقي سعيدْ
عمري سرابٌ في بقايا سرابْ
وكل أيامي المواضي اغترابْ
فاليوم يا ليلاي طاب المآب
في ظلك الرحب الجميلِ المديدْ
فليذهب الماضي البعيدُ السحيقْ
فيه صريعٌ للبلى لا يفيقْ
في جدثٍ يزدادُ ضيقاً وضيقْ
في كفنٍ ضمَّ الشبابَ الشهيدْ!

- ٢ -

ويوم لقياك على سلمِ
في جانب مكتئب مظلمِ
يا عذبة العينين والمبسمِ
وغضة الحسنِ الشهيِّ الفريدْ!
في لحظةٍ يقفز فيها دمي
وتعقدُ الدهشة فيها فمي
من أي كون جئتِ لم أعلمِ
يا نفحةً من نفحات الخلودْ

* * *

هيا ! أجل! هيا إلى أينا؟
لحيث نحكي حلمَ روحينا
لحيث نروي سرَّ قلبينا
فإن فرغْنا من حديث نعيدْ!
أي مكان بهوانا يضيقْ؟
فامضِ بنا، إن زحامَ الطريقْ
في ظل حبينا رحيبٌ طليقْ
وكل ركنٍ طيبٌ في الوجودْ
من أنتِ؟ لا أدري، ولا من أنا
فيا إله الحب ماذا اسمنا
إنّا حبيبان وذا حبُّنا
انّا وليدان، وهذا وليدْ
ومجلس قد ضمنا في الزحامْ
رف على قلبين فيه السلامْ
ترمقُنا فيه ظنونُ الأنامْ
ولا تخلينا عيونُ الحسودْ!

وحين ودعتِ خلال الجموعْ
مشى على أثرك قلبي الوجيعْ
مشى به الحبُّ، وكيف الرجوعَ!
وفي ضميري هاتف: هل تعودْ!!

رثاء الهمشري

الشاعر النابغ الذي انطفأ
نجمه في نضارة الشباب.

لا تجزعوا للشاعر الملهمِ
ما مات لكنْ صار في الأنجمِ
ما كان إلّا زائراً عابراً
لأي سرٍّ جاء لم نعلمِ
والآن قد رُدَّ إلى سربِهِ
في قُدْسِ ذاك الفلكِ الأعظمِ
الآن قد رُدَّ إلى ربه
فتى إلى الخلدِ مشوقٌ ظمي
الآن قد أصبح في قربِهِ
فتى لآفاق السما ينتمي
كان فراشاً حائراً في الدنى
في نورها أو نارها يرتمي
فإن نجا من نارها مرة
فمن لهيب النفس لم يسلم

* * *

لا تجزعوا للشاعرِ الملهمِ
بنضرةِ الأيامِ لم ينعمِ

مـرَّ بهـذا الكـونِ في لحـظةٍ
طـالت كعمـرِ الأبـدِ الأعـظمِ
أي جـلالٍ فـاتـه وصـفُـهُ
وأي حسـن فيـه لم يـرسـمِ
فـان يـكـن ردَّ إلـى حـضـنِـهِ
فـعـودةُ المـغـرمِ لـلمـغـرمِ
ورجـعـةُ القـلب إلى صـدرِهِ
بـالعـطف في احنـائـه يـرتمي
لا تجـزعـوا للشـاعـرِ الملهـمِ
والله مـا نـام مـع الـنـوَّمِ
ولـم ينـلْ منـه أكـول البـلى
وإنـمـا غـاب إلـى مـوسـمِ

الدكتور عبد الواحد الوكيل
وزير الصحة

هي صفحةٌ طويت وحان ختامُ
آسيّ الأساة على ثراك سلامُ
لهفي عليك تسلّمتك يدُ البلى
وانفض عنك إلى النشور زحامُ
الحفلُ منتظمٌ تكامل عقدُهُ
أين العشيَّ خيالُك البسامُ
يتلفتون به كأنك عائدٌ
هيهات في ريب المنون كلامُ
لا صحو من سِنة المنونِ وانما
سهر الخلود عليك حيث تنامُ
يا أيها الآسي العزيز بمضجع
ناءٍ له الإكبار والاعظامُ
أنتَ الطبيبُ وقد بلوت حياته
ومجالُها الأوجاعُ والاسقامُ
جلت الحياة له حقيقتها فما
في ظلها لبسٌ ولا أوهامُ
وله مع القدر الرهيب وقائعٌ
وله مع الموت الملم صدامُ
ووراء ذلك قوةٌ أزليةٌ
خرساءُ عنها ما أميط لثامُ
أي الأساة هو المدلّ بفنه
سبحان من تحنى لديه الهام!
بلدٌ على بلد كأنك ضارب
في الأرض ما يدري لديه مقامُ
فرجعتَ من حمى الحياة لمثلها
حمّى تهد الصرح وهو مقامُ

سفـرٌ على سفـرٍ فهـذي رقـدةٌ
شفي الغليـل بـهـا وطـاب أوامُ.
يلقي الغـريب على جوانبـه العصا
وتـقـر فـيـهـا أعـيـن وعـظامُ
رقـد الصغير إلى الكبير مجاوراً
وتـعـانـق الأحـبـابُ والأخـصـامُ
هجعـوا إلى يـوم النشـورِ وهكـذا
هجعتْ هنـالـك إلفـةٌ وخصـامُ

رثاء الشاعر محمد الهراوي

ألقيت في حفلة تأبينه

هـا هنـا حفـلٌ وذكـرى ووفـاءْ
لبّنـا انـت ملبِّـي الأصـدقـاءْ
يـا لـهـا من غـربـة مـضنيـة
لـيس تـنـجـاب وأيـام بـطاءْ
ذهب المـوتُ بـأغـلى صـاحب
وثـوى في التـرب أوفى الأوفيـاءْ
لست أنسـاك وقـد أقبلت لي
تشتكي غـدر صـديق قـد أساءْ
آه مـن جـرح ومـن قـلـب عـلى
ألم الجـرح انـطوى مـر الابـاءْ
كـلمـا آلـمـك الـجـرح فـأحـ
ـسست بـه لـطّفتـه بـالكبـريـاءْ
أيهـا الشـاكي من الـدهـر استـرحْ
كلنـا يـا أيهـا الشـاكي سـواءْ
الـجـراحـاتُ التي عـانيتَـهـا
لـم تـدعْ أرواحَـنـا إلا ذمـاءْ

بـرم الـعيش بـهـا لم يـشـفـهـا
وتـولى الـدهـر سـأمـان وجـاء
أذن الـمـوت لـهـا فـالـتـأمـت
وشفـاهـا بعـدمـا استعصى الشفـاء
لـسـت أرثـيـكَ أيـرثـى خـالـد
في رحـاب الخلد موفـور الجـزاء
كـيف أرثـيـك أيـرثـى فـاضـل
عـاش بالخيـرات موصـولَ الدعـاء
انمـا الـدنيـا هي الخيـر على
قـلةِ الـخـيـر وقـحطِ الـعـظمـاء
انمـا الـدنيـا فتىً عـاش لـكم
بـاذلاً من قـوتـه حتـى الفـنـاء
فـاذا مـات فـقـد عـاش بكـم
فهـو بـالـذكـرى جـديـر بـالبقـاء
ذلـك الـشـاعـر قـد واسـاكـمُ
وبـكـى آلامَـكـم كـل الـبـكـاء
ذلـك الـشـاعـرُ قـد غـنـاكُـمُ
صـادحاً في ايكِكُم بشـرى الهنـاء
وأولـو الشعـر المصـابيـح التي
حـطمـتـهـن ريـاحُ الـصـحـراء
خـلدت أنـوازُهـم رغـم الـبـلى
وبهـا المدلـج في الليـل استضـاء
سـوف يفنى القـولُ الاّ قـولـهم
ويـمـوت الـنـاسُ الا الـشـعـراء
عـد الـيـنـا نـسـمـة حـائـرة
ذات نـجـوى وحـنـيـن وولاء
ثـم حلق بـجـنـاحـيـن الـى
عـالـم نـحـن لـه جـد ظـمـاء
طِرْ مـطارَ النسـم واتـرك قـدَمـا
ثقلت بـالشـوك في أرض الشقـاء

تكريم السيد ابراهيم عبد الهادي

(وزير الصحة)

خذ من طبيب الحي رأي النادي
واسمع إلى غريد هذا الوادي
اني عن الفئتين قمت وانه
شرفٌ بلغت به أجَل مرادِ
أنا لا أوفي اليوم حقك وحده
لكن أؤدي فيك حق بلادي
يا عائداً تحدو السلامةُ ركبَهُ
بوركت في الغيّاب والعواد
مصر التي بك في اشتدادِ كروبها
عرفتْ فتى الفتيانِ يوم جهادِ
رفت عليك قلوبها وتطلعت
وهفت اليك منابرُ الأعوادِ
أي المحامد فيك لم ترفعْ به
رأساً ولم تتحد كل معادي
وطنيةٌ ملء الفؤادِ وهمةٌ
علوية من حكمة وسدادِ
فلو ان أعواد المنابر قد مشت
لمشت لابراهيم عبد الهادي
أنا ما التفت اليك الا عادني
طيفٌ يراوح خاطري ويغادي
طيفٌ من الماضي الكريم وصفحةٌ
أخذت لها عهداً على الآبادِ
إني به مترنم وبكل ما از
دانت به تلك الصحيفةُ شادي
أيام يجمعنا الشبابُ وكلنا
بالروح والدم والجوارح فادي

السجنُ مثل الأسرِ مثلُ النفي مثـ
ـل القتلِ، تلك قضيةُ استشهاد

تكريم الدكتور علي ابراهيم
في يوبيله الفضي

اليـك أزف في اليومِ الجليـلِ
تحيـاتِ الزميـل الى الـزميـلِ
تـحيـاتٍ يـرفُّ عليـك منـهـا
نـدى الأسحارِ في ظـلٍّ الخميـلِ
سـلامـاً لـلإمـامِ علـيِّ جئنـا
إلـيـه بـالعشيـر وبـالقبيـلِ
نـبـايـع منـه فنـاً عبـقـريـاً
وعقـلاً في العقـولِ بـلا مثيـلِ
تـلفـتْ يـا علـيُّ تـجـد وفـاءً
ومـا احتـاج الـوفـاءُ إلى دليـلِ
أقـول لحـاسبِ الستين مهـلاً
وقعت على الحسـاب المستحيـلِ
إذا أحصيـتَ لـلاجسـامِ عمـراً
فـكيـفَ تعـدُّ أعـمـار العقـولِ
ولـو أن الألـى أنـقـذتَ جاؤوا
يـؤدون القـديـمِ من الجميـلِ
ولـو أن الألـى علمـت جاؤوا
يـؤدون القليـل من القليـلِ
ولو منحـوك عمـرهم جميعـاً
ومـا هـو بـالكثير ولا الجـزيـلِ
اذن لـرأيت عمـرك عمـر نجم
لـه في اللانهـايـة ألف جيـلِ

بـربـك كم وصلت حيـاة قـومٍ
وكـم حـاربتَ من داءٍ وبيـلِ
وكم أنقـذت من أسـر المنـايـا
وكم نضـوٍ شفيتَ وكم عـليـلِ
إذا مـا الموت أبـدى نـاجـذيه
إذا انـطفأت عيـونٌ في الـذبـول
إذا غـامت محـاجـرُهـا ظمـاءً
كمـا غـامت نجـومٌ في الأفـول
فمـا هـو غيـر أن أقبلتَ حتى
تبـدل كـل أمـرٍ مسـتحيـلِ
كـأنـك لمـعُ بـرقٍ في الأعـالي
يـحيـي مقـدم الـغيثِ الهـطولِ
كـأنـك واحـةٌ في القفـر لاحت
رأتـهـا أعينُ الـركبِ الـكليـلِ
كـأنـك جنـةٌ في البيـد تنـدى
بعـذب المـاءِ والـظلِّ الـظليـلِ
ولـو أيـامـك العصمـاء جـاءت
بـكـلِّ أغـر مـزدانٍ حـفـيـلِ
إذن لـطلعن في الـظلمـات بيضـا
من الغـرر الـلوامـع والحـجـول
ولـو أن الـمـآثـرَ ذاتُ قـولٍ
لـقلت تـكلمي وصـفـي وقـولـي
أضـفهـا فـهي أعـمـارٌ أضيفـت
ومـا تـدري لمـاضيـك النبيـلِ
تـعـال أذعْ لنـا سـرَّ الـفجـولِ
ودع صمت الحيي أو الخـجـولِ
سـلالـة عـبـقـرٍ وعشيـر جنٍّ
بعـدتم في الحيـاة عن الشكـولِ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فمـا للشيبِ مـن بـاب إليكم
ولا لُلضعفِ يـومـاً من سبيـلِ
لقـد جهـل الألى حسبوك شيخاً
فـلا تقبل حسـاباً من جهـولِ
أعيـذ صباك كيف يكـون شيخاً
شعـاع سـلافـة وسنـا شمـولِ
ومـا ظفـروا بـأثبت منـك عـوداً
ولا أقـوى وأصلب في الحمـولِ

ولا ظفـروا بـأصفى منـك روحـاً
كـأن مـزاجـهـا من سلسبيـلِ
أرى سحرَ الشبـابِ عليك غضّـاً
وقـاك اللّهُ أنفـاسَ الأصيـلِ
تـعـالى الله كـم من مـعـجـزاتٍ
مـعلقـة بـإصبعـك النـحيـلِ
محيـل القسـوة الكبـرى حنـانـاً
ورافـعـهـا إلـى فـنٍّ جـميـلِ
معـاركُ من دمٍ ام سـاحُ حـربٍ
أسـنتـهـا منـغـمـة الـصليـلِ
يسيـر المبضـعُ الجبـارُ فيـهـا
بـكفـك سيـرَ مـطواعٍ ذليـلِ
معـاركُ كم كسبت بهـا حيـاة
ومـا لك في المـواقـع من قتيـلِ
تقسمـك الـورى قـومـاً فقـومـاً
ومـا لك بـالـورى ضجـر الملولِ
تقضي في مسـائـك ألف أمـر
وتقـطع في نهـارك ألف ميـلِ
وإمـا سـرت عن حفـل قصيـر
فـعن وعـد بـمؤتـمـرٍ طـويـلِ

وأنت أب لذا وأخ لهذا
ومنك لمن وجاك يَدا خليلِ

* * *

نبي الطب أدركنا إذا ما
تطلعت العيونُ إلى رسولِ
فكم في مصر أجسام مراض
بأرواح كأشباح الطلولِ
فيا أسفا إذا تركت فظلت
فرائس للدعيّ وللدخيلِ
عليٌّ لقد ملكت عصاة موسى
فقمْ واضرب بها أفعى الخمولِ
أقول لأعين الطب الحيارى
وقعت من الفخار على سليلِ
أبا حسن سلمت على الليالي
وعش متعت بالعمر الطويلِ

المرحوم انطون الجميل

رئيس تحرير الأهرام[1]

كيف أنسى زمناً كنت به
من أخ أغلى وأسمى من أبِ
ضقت ذرعاً بزماني وكذا
ضاقت الأيامُ والآلامُ بي
رائحاً في لجة طاغية
غادياً في عاصف مضطربِ
قد تغشاني ظلامٌ لا أرى
فيه مغداي ولا منقلبِ
صامداً للظلمِ والظلمُ له
معولٌ يهدمني عن كثبِ
وأنا أدفعُهُ عن منكبي
بيدي حتى تهاوى منكبي
وتماسكتُ فلم يبقَ سوى
كبرياء هي درعٌ للأبي
هتفتْ بي النفسُ فلنمضِ إلى
ذلك الوردِ الكريمِ الطيبِ
إن «أنطون» وما أعظمه
طاهرُ القلب نبيلُ المشربِ
كأس ودٍّ لم ترنق أبداً
وصفت كالذهب المنسكبِ
وندماه على طول المدى
رفقة حفّوا به كالحببِ

* * *

(١) القيت في حفلة تكريم في منزل صديقه الأديب الوزير ابراهيم دسوقي أباطه.

مكتب لا بل بساط عامر
بالمعالي يا له من مكتب
مكتب قد صيغ من عالي
المساعي ونبيل الدأبِ (؟!)
مكتب يُزهى بحُر ماجد
ثابت الرأي سني المأربِ
صائد الدر تراه غارقاً
في صحيفٍ غائصاً في كتب
مصغياً في حكمة، أو مطرقاً
في وقارٍ، سامعاً في أدب
فإذا أدلى برأي تلقه
راح يدلي بالعجيبِ المطربِ
مستفيضاً ببيان جامعٍ
سحر «هوجو» وجلال العربِ.
ذاك «أنطون» وما أروعه
صفحة لا تنتهي من عجبِ
قطرات حسبت من عرقٍ
وهي لو حققتَها من ذهب
أسعد الأيام يوم ضمني
بك في دار كأفق الشهب
كُرِّمت من شرف وارتفعت
بالعلا، وازَّينت بالحسبِ
لدسوقي وما أنسى له
إنه مثلك في الفضل أبي
كيف أنسى فضله وهو الذي
ذاد عني عاديات الحقب
أنتما للمجدِ ذخرا فابقيا
للمعالي، واسلما للأدبِ

عبد الحميد عبد الحق

في حفلة تكريمه بدار الأوبرا

أنت فوق التكريم فوق الثناءِ
جلّ ما قد أسديت عن إطراءِ
يا عظيم الشؤون جلّتْ شؤون
أنت منها في الذروة الشماءِ
يا عظيم الأوقاف جلتْ أمورٌ
عرّفتنا مواقفَ العظماءِ
لم نكرمك للوزارة والمنـ ـصب والمجد والسنا والرواءِ
نحن قوم نهيم بالرجل الكا مل يمضي للأمر دون التواءِ
الرحيب الصدر، القوي على الخطـ
ـب، السريع الهدم، السريع البناءِ
قد رأيناك كالمنار المعلى مثلاً للقوي في الأقوياءِ
ورأيناك في الرجال فريداً فاقتفينا خطاك أي اقتفاءِ
وحببناك ما بنا من نفاق لا ولا في قلوبنا من رياءِ

* * *

أيْ وربي لأنتَ من صور الما ضي ومجد الجدود والآباءِ
وجلال الصعيد والملك في الوا دي عزيز البنود ضافي اللواءِ
قد ينام التراثُ جيلاً فجيلاً غافياً في مجاهلٍ خرساءِ
وتنامُ الروحُ العريقةُ في المجـ ـدِ لتبدو في طلعةٍ سمراءِ
فتراها مصرية السمت والقو ة والعزم والحجى والمضاءِ
قسماً قد غفا الجلال ليصحو
من جديد في وجهكَ الوضاءِ
أيها الكوكب الدؤوب على الدهر
بلا فترة ولا إبطاءِ
تصنعُ الخيرَ واضحاً شبه نجم
ساكب نورَه بعرض الفضاءِ

وتـؤديـهِ خـافـيـاً مـثـل نـجـم
مستتـر خـافٍ خـلال السـمـاءِ
غير أن النفوسَ تعلم مسرا ه وان كان ممعناً في الخفاءِ
وعظيم الفعال يجمل بالافـ ـصاح عنه كالسيف غب الجلاءِ
مـا جـمـال الـربـيـع فـي الـروض ان لـم
يشـدُ طير في الـروضـةِ الغنـاءِ
مـا جمـال السمـاء والبـدر ان لم
يشـدُ سـارٌ في الليلة القمـراءِ؟
واضيـاع النبـوغ في مصـر ان لم
تتـحـدثْ مـنـابـرُ الـخـطبـاءِ
واضيـاع النبـوغ في مصـر ان لم
يَـك تـخـليـده عـلى الـشـعـراءِ
طـاقـة الشعـر طـاقـة الـورد معنى
جـلَّ قصداً وقـلَّ في الاهـداءِ
لست تجـزى بـه أقـل الجـزاء
فـتـقـبـلـه آيـة مُـن وفـاءِ

* * *

كيف ننساك والعفاة على با بك حشد يموجُ بالبأساءِ
الشريدُ الطريدُ والعاملُ المر هقُ يشقى من صبحه للمساءِ
وبيوت هي العريقة في الأمـ ـجاد صارت عريقة في الشقاءِ
لم تطق أن ترى دموعَ اليتامى تترامى على أكفِّ السخاءِ
والأيـامـى كالكأس بـعـد الـنـدامـى
ذكـرت حـظهـا مـن الصـهبـاءِ
وقف الـدهـرُ دونَهم: كـل بـاب
طـرقـوا صم عن ذليـل النـداءِ
غيـر بـاب من المـروءات سمـحٍ
لـك، مـا ردَّ مـرةً عـن نـداءِ
انـظرِ الحفـلَ، داويـاً بـالـدعـاءِ
وانـظر البحـرَ زاخـراً بـالنـداءِ

أنت ورد النبوغ جادت به الدنـ
ـيا لقومٍ إلى المعالي ظماءِ
كلما اطلعت لهم عبقرياً
جعلوا منه معقداً للرجاءِ
حـمـدوا فيـك يـومـهـم واطـمـ
ـأنـوا مـشـرئـبـين لـلغـد المـتـرائـي
كيف نسـاك في المحـامـاة حـرا
طـاهـراً ذيـله عـفـيـف الـرداءِ
وقف المجلس المحيـر يـومـا
مـرهف المسمعين بـالاصغـاءِ
إذ يـرى فيك نـائبـاً وخـطيـبـاً
دامـغـاً بـالحقيقـةِ البيـضـاءِ
مفعمـاً مقحمـاً قـويـاً جـريئـاً
مـاحـقـاً لـلخـصـوم والأعـداءِ

- ٢ -

عبد الحميد عبد الحق

في وزارة الأوقاف

قـل لـوزيـر الحق وهـو الـذي
قـد استقامت في حجـاه الأمـورْ
خـذ مـن مـقـالـي ذمـةً انـنـي
عنهم إلى سـاح المعـالي سفيـرْ
يـا جـاعـل الأوقـاف في عهـده
مـديـنـة والقـفـر فيـهـا قصـورْ
ونـابـشـاً فيـهـا الكـنـوز الـتي
مـرت عليها بـالعفـاءِ العصـورْ
نـبـشـتَ فـيـهـا عـبـقـريـاتـهـا
منقبـا عن كـل قـدر خـطيـرْ
فكـل مـا قيـل ومـا لـم يقـلْ
عن فضلك الجم الغفيـرِ الـوفيـرْ
ممـا جـرى في شفـةٍ عـاجـزاً
ومـا تـوارى في حنـايـا الصـدورْ
من حق عبـد الحق في عـدلـه
لـه - وان يـأبى - إليـه المسيرْ
تـحـيـة لـلأصـل مـردودة
وبـاقـة قـد قـدمـت لـلوزيـرْ
سبحـان ربي قـد رأينـا الـدجى
يجلوه في عهـدك صبـحٌ منيـرْ
مـاشيت هـذا العصـر في سيـره
والعصـر يـعلو بـجنـاح الـنسـورْ
مـا زلت بـالأوقـاف حتى رأت
محـطم القيـد وفـادي الأسيـرْ

كم عيروها بسلحفاتها
فلينظروها بجناحٍ تطيرْ
يا نابشاً فيها كنوز الحجى
من كل وهاجٍ قليل النظيرْ..
من ذهب الدار وآياتها
فتى كبير القلب صافي الضميرْ
له معاني البحر في هدأة
وفيه روح كانسياب الغديرْ
خذ من سجاياه ومن علمه
ما يهب الورد وتطويْ البحورْ.

- ٣ -

عبد الحميد عبد الحق

في وزارة الأوقاف

عش مديداً وجددِ — واعل والمع كفرقدِ
لو رأى الحق عبده — وهو بالحق يهتدي
وعلى الحق رائحاً — وعلى الحق يغتدي
بسط التاج باليد — قائلاً قم تقلدِ
قم تقلدِ — يا أميري وسيدي
وبإيمان ركع — وتسابيح سجدِ
بايع الحق عبده — والبرايا بمشهدِ

* * *

انظر الساح داويا — بالنداء المرددِ
انظر البحر زاخراً — بالشباب المجندِ
حمدوا فيك يومهم — مشرئبين للغدِ
عش مديداً لتبتني — كل صرح ممردِ

فلك الرأي قاطعاً ما به من ترددِ
يهدأ السيف في القراب ويشوى بمرقدِ
ولك السيف ساهراً يقظاً غير مغمد

* * *

خذ بيانا نظمته شبه عقد منضد
ما به من تزلف جل شعري ومقصدي
خالدٌ أنت بالعلى والفعال المسدد
فتقبل على المدى كل شعر مخلد

الشاعر عزيز اباظة

في حفلة تكريمه بمنزل الوزير
الأديب دسوقي أباظة

غيثٌ على القفر حيّانا وأحيانا
يا شاعر الجيل كان الجيل ظمآنا
كنا نعيش من الدنيا على عدةٍ
نبني من الأمل الموعودِ دنيانا
فالآن قد حققتْ ما كان منتظراً
منها وإن لمعت بالوعد أحيانا
جاءت بأروع من هز البيانَ ومن
أعاد مجد القوافي مثل ما كانا
ريحانةُ النيل هزت نفسَها طرباً
وقدمت لأمير الشعر ريحانا
ماذا نقول ونبدي بعدما سبقت
لك الشهادة من تكريم مولانا
أقمت من عبقري الشعر برهانا
وقبلها كنت للأخلاق عنوانا

بـآيـتـيـن: وفــاء لـلتي ذهـبـتْ
وأنت مَنْ حفظ الذكرى ومن صانا
ان التي نصـرت عيشـاً نعمت بـه
وصيـرت بيتـك المعمـور بستـانـا
لو لحظة نحو ذياك الضـريح رنت
عيناك، تلق الهوى لم يختلف شانا:
وآيــة من وفــاء لــلألى سحبـت
عليهم حـادثـات الـدهـر نسيـانـا
عهد الرشيد وعهد المجد في زمن
بـه تـوطـد ملك العـرب سلطانـا
وعهـد بغـداد حيث العيش مؤتلقٌ
يهفــو خمـائــل أو يهتـز أفنــانـا
جـلوتــه وهـــو فتــاك بـجـعـفـره
والسيف يقـطر بغضاءً وعــدوانا
يا للطلاء الذي يكسو النفوس لكم
كسى النفـوس من التزييف ألـوانا
تلك الـطبيعـة لا شيء يغيـرهــا
ينـام فيهـا خيـال الفتـك وسنــانـا
الحـرص يـوقـظه والمجـد يـوقـظه
والويل ان وثب الـوسنان يقـظانا.

* * *

جوزيت عن لغة الفصحى وأمتهـا
عمـراً مديـداً وتكـريمـاً وإحسـانـا

أغنية

أنتِ

أنتِ إن تؤمني بحبي كفاني
لا غرامي ولا جمالكِ فاني
أجدب الهجرُ خاطري وخيالي
وأجف النوى دمي ولساني
فتعاليْ روّي الظما في عيوني
أجنوني لقطرة من حناني
طال والله في تنائيك ذلي
ووقوفي على ديار الهوانِي
أي روح أحسه أي سر
في جناحيك كلما ظللاني
أي روح أحسه أي سحر
سكبت فيّ هاته العينان
لكأن الرميمَ ما تبعثان وكأن النشورَ ما تسكبانِ
وكأني محلقٌ في سماءٍ ومطلٌ منها على الأكوانِ
مستعز بما منحت قويٌّ أجمع الكونَ كلَّه في عناني

الابراهيميات

«لصاحب المعالي دسوقي أباظه فضل على الأدب والأدباء،
فهو أبو النهضة الأدبية الحاضرة ما في ذلك من منازع،
هذا فوق فضله على ناظم هذا الديوان، الذي يجد أنه في
الأبيات القليلة التالية لا يعبر إلا عن جزء ضئيل مما يعتلج
في خاطره من الشكر والمحبة وعرفان الجميل».

- ١ -

في حفلة تكريمه في دار الأوبرا . .

منىً نلتها كانت لأنفسنا منى
تلفت تجد مصرا بأجمعها هنا
وما بعجيب موطن البدر في العلى
وما بجديد أن يرى الأفق مسكنا
ولكن قلب الحرِّ تعروه نشوةٌ
فيثني على الآلاء وضاحة السنا
إذا أخذ البدرُ المنيرُ مكانه
تملك آفاق السما وتمكنا
إذا الملك المحبوب قدر سيداً
وعن رأيه في الفضل والنبل أعلنا
فعن ثقة ممن يحب ويحتبى
وإيمانُ قلب بات بالحق مؤمنا
سلاماً مليك النيل أنت ربيعه
وانك مغنيه وفي ذاتك الغنى
فذلك تكريم الربيع لروضة
جلاها الاباطيون وارفة الجنى
أجل! روضة صارت لكل عظيمة
وللفضل والآداب والعلم موطنا
وميدان سباقين للمجد والعلى
إذا اشتجرت أخرى الميادين بالقنا
من الأدب العالي اذا راح سيد
غدا آخر نحو اللواء فما ونى

* * *

عصي القوافي سار نحوك مسرعاً
ولبَّاك من أقصى الفؤاد وأذعنا

وأنت الذي فك القيود جميعها
عن الشعر تأبى أن يهان فيسجنا
اذا المعدن الصافي دعا الشعر مرة
بذلنا له من أجود الشعر معدنا

* * *

دسوقي إذا أقللت فاقبل تحيتي
فما أنا شاديهم ولا خيرهم أنا
ولكنني صوت المحبين كلهم
ومن روضك الغالي وبستانهم جنى
فراشٌ على مصباح مجدك حائم
وأي فراش من جلالك ما دنا
واني صدى الهمس الذي في قلوبهم
فدعني أقم عما يكنّون معلنا

في جامعة أدباء العروبة

- ٢ -

يا ربيعاً جمل الله به
روضة الدنيا ووقاها الخريفْ
وشعاعاً مده الله على
هذه الأمة من مدن وريفْ
أيها النعمة لا حدّ لها
نحن من نعماك في ظل وريفْ
يا شريف النفس والقلب لنا
فيك صافي القول والشعر الشريفْ
يا أبا الرقة لا تعدلها
رقة الوالد ذي القلب العطوفْ

رقــة تــنــزل مــن عــليــائــهــا
كشعــاع البـدرِ بــالضـوء اللطيفْ
يـتـمـنـى الـشـعـرُ فـيـه غـايـةً
وهـو عنهـا عـاجـزُ البـاع ضعيفْ
كـلـمـا حـاولـهـا أعـجـزه
قصـر الطرف عن الصـرح المنيفْ
أيهـا المصباح صـرنـا حـولـه
كفـراش حـام بـالنـور يـطوفْ
أيـهـا الأيـك غـدونـا حـولـه
نسماً في الأيك مـوصول الحفيفْ
أنـا من غنـاك عنهم فـاستمـع
من أغـاريدِ الـربى نجـوى الأليفْ

في ندوة الوزير
الأديب ابراهيم دسوقي أباظه

- ٣ -

وزير الطيب الحر الجليلا   تقبّله هوى حراً نبيلا
يقيم على الحوادث لا يبالي   ويأبى في العوادي أن يميلا
ولا يدري الزمانُ له اختلافا   ولا يدري الرياء له سبيلا
على الأدب الرفيع ووارديه   بسطت الخير والظل الظليلا
ومـا لـلقـائلين عليـك فضـل
فقـد جئنا نـرد لـك الجميـلا
قطفت لك القـوافي طوق شعـري
فعـذراً ان قـطفت لـك القليـلا
وددت بـأن أطيـل لـك القـوافي
فـيمـنعـنـي حيـاؤك أن أطيـلا

وزيري الطيب الحر الجليلا وقفت عن الرفاق هنا رسولا
أعيد لك الذي يطوي فؤادي وفخراً أن أعيد وأن أقولا
أقول لجاهلٍ معنى المعالي إلامَ يظل جاهلكم جهولا
دسـوقـي لا الـوزارة قـربتـنـا
ولا قـامـت عـلى صـلة دلـيـلا
عشقنـا فيـك أخـلاقـاً وفضـلاً
تـقـبـلـه هـوى حـرا نـبـيـلا

تعزية لمعاليه
في بعض السراة الأباظيين

- ٤ -

ان السـراة الأباظيين قـد عـظمـوا
عن طوق ندٍّ وعن تحليق اضـداد
تخـطف القدر الجـاري أحـاسنهم
بصيـر في المـنـايـا أو بنـقـاد
كم صحت والعين تذري الدمع في أسف
على الجواهر في كف الردى العادي
الا رقى لـلأبـاظيين تـحفـظهـم
على الحـوادث من أنظار حسـاد!

في منزل الشاعر
وقد تكرم الوزير بزيارته

- ٥ -

بأي لفظ يفيك شعري
شرفت قدري وزنت داري
أما كفى برُك المواسي
فزدتني روعة المزار
أقسمت بالشمس في ضحاها
أقسمت بالبدر بالدراري
بفضلك الماحق الدياجي
كأنه واضح النهارِ
فيك من البحر كل معنى
فمن سمو إلى وقارِ
وأنت صدرُ العباب رحباً
وبسمةُ الشط والمنارِ
كأن هذا الجميل يترى
من طيب غادٍ ولطف سارى
موج من البر ذو اتصال
بلا هدوء ولا قرارِ
غمرتني بالجميل حتى
لجت قوافيَّ في العثارِ
أنقذني البحر غير أني
غريق فضل بلا قرارِ
كنت ندى في رياض عيشي
وكنت غيثاً على القفارِ
لقيت ضنكا من الليالي
فمن غمارِ إلى غمارِ

قـد طـال عتبي على الـليـالي
وطـال لـلراحـم انـتـظاري
صفحتُ عن كـل مـا أسـاءتْ
حـق لـهـا الـليـلة اعـتـذاري

في حفلة الربيع
التي أقامتها جامعة أدباء العروبة

- ٦ -

أميـر الفضـل فضلك بيت شعـر
عُـلاك نسجنٍّ معنـاه الـرفيعـا
إذا كـان الـضيـاءُ نـسيـجَ فـنٍّ
سنـاه يمـلأ الكـونَ الـوسيعـا
فحـولـك حيثمـا تمشي وتسعى
قصيـدٌ عـامـرٌ غمر الـربـوعـا
تـكلم حـيثـمـا تمضي مـبينـاً
ومـا عـرف البيـانُ ولا البـديعـا
حبيـت سنـاك اتبعـه بشعـري
وفـخـراً أن أكـون لـه تـبيعـا
مـدحتـك جهـد مقـدرة القـوافي
فضقـت بهـا مـقصِّـرة جـميعـا
أتـعـصـاني مـغـردة بـنفـسـي
مـعـودة هنـالـك أن تـطيعـا!
أقـول لهـا وقـد كلت قصـورا
رويـدكِ، واهـدئي لن نستـطيعا
يـراك النـاس حيث تـرى عـظيماً
كـريمـاً في تـسـامحـه وديعـا

وأنـت الـنـهـر دفـاقـاً قـويـاً
اذا مـا هَمَّ لم يـملكْ رجـوعـا
يفيضُ على الـربوعِ جـلال نعمي
ويغشى من حـوائلـهـا المنيعـا

مظلمة

- ٧ -

أنا لا أظل، وكل شيـ   ـىء مستمـد من جلالـكْ
فـي قـاتم مـحلولـك   سدّت علي به المسالكْ
ان لم تضعني في سنا   ك حمدت حظي في ظلالكْ
ان لم تضعني في يميـ   ـنك فالتفت لي في شمالكْ
الرأي رأيك ليس في ا   لأوقاف شيء غير ذلك
يا أحكم الحكماء لا يفـ   ـتى وفي الأوقاف مالكْ

شكر واعتذار

- ٨ -

أبـي ! أخي! كـعبـة آمـالـنـا
أكـرمـتـنـي أكـرمـك الـلّهُ
أعجب مـا في الشكـر أني أمـرؤ
بـيـانـه عـنـدك يـعـصـاهُ
يـا مـن يـرى الـقـلبَ وشـكـواه
ويـعـلـم الـشـعـر ونـجـواهُ
كـم شـاعـر مـنـطقـه خـانـه
فـاغـرورقـت بـالـشـعـر عـيـنـاهُ -

ما أكرم الخلق وأسماه
وأعذب الطبع وأصفاهُ
انك فردٌ دون ثانٍ ولن
يرى لهذا النبل أشباهُ
عفوك عن حال فتى متعب
بات على الأشواك جنباهُ
طال به الليل على حيرة
وامتد كالموجة يغشاهُ
يسائل الليل على طوله
عن ذلك الليل وعقباهُ
والنور أين النور؟ هل غاله
ماحٍ محا الفجرَ وأخفاهُ؟
قد كدت لولا ثِقة لا تهي
وخشية الله وتقواهُ
أقول جف البر لا ديمة
تهمي ولا المزنة ترعاهُ
حتى رأيت الخير في طلعة
تحمل لي الخير وبشراهُ
في لمعة تومض في فرقد
في فلك أنت محياهُ
حمدت ربي وعرفت الرضى
يا رحمة الله ونعماهُ

بطل الأبطال

الشهيد عبد الحكيم الجراحي

بطل الأبطال من أرض الهرمْ
لبس الغار وجلّى وغنمْ
كيف تذرون عليه دمعكم
وهو وضاحُ المحيا يبتسمْ
كيف يبكي منكم الباكي على
عَلَمٍ لف شهيداً في عَلَمْ
يا شباب النيل فتيان الحمى
وحماة الدار أشبال الأجمْ
زعموكم أمة هازلة
كذب الزاعمُ فيما قد زعمْ
تتحداهم على طول المدى
ثورة نكراء شبت تلتهمْ
ومقال الدهر عنا في غد
وحديث المجد عن عبد الحكمْ
كم أغر في بواكير الصبا
ناضر يسحب أذيال النعمْ
طبعه الجود فلما هتفت
مصر تدعوه تناهى في الكرمْ
قدم الروحَ اليها ومشى
ثابت الخطوةِ جبارَ القدمْ
كلفتهُ اليقظةُ الكبرى بها
همة ترعى وعيناً لم تنمْ
جشمته خطة دامية
وعرة المسالك حفت بالألمْ

يـجـد الـمـوتُ بـهـا لـذتـه
ويـرى الـعـار إذا الـمـرء سـلِمْ

* * *

يـا لهـذي الجنـة الفيحـاء كم
فـتـحـت قـبـراً لـبـاغٍ قـد ظلم
يصبـح الصبحُ على هـذي الربى
فـإذا الـورد ضـحـوك فـي الأكَمْ
فـإذا أمسى الـمـسـاء انـقـلبـت
فـوهـة شعـواء تـرمي بـالـحمَمْ
لـست تـدري إذ تـراهـا ظـمئت
فـروى الأحـرار واديـهـا بـدمْ..
ذاك لـون الـورد أم لـون الـردى
الجـاثم أم لون الحميم المضـطرم!
يـا شبـاب النيـل فتيـان الحمى
وحـمـاة الـدار أشـبـال الأجـم
حـطمـوا القيـد الـذي حـطمكم
واجـعـلوا أمـتـكـم فـوق الأمـم
وإذا اسـتـشـهـد مـنـكـم بـطل
جـاده الـغـيـث وحـيـتـه الـديم
ولـقـد أدى لـمـصـر ديـنـه
ذلـك الفـادي، ووفى بـالقسـم..

مصر

- ٢ -

أجلْ إن ذا يوم لمن يفتدي مصرا
فمصر هي المحرابُ والجنةُ الكبرى
حلفنا نولي وجهنا شطر حبِّها
وننفدُ فيه الصبرَ والجهدَ والعمرا
نبثُّ بها روحَ الحياةِ قويةً
ونقتل فيها الضنكَ والذل والفقرا
نحطم أغلالاً ونمحو حوائلا
ونخلق فيها الفكرَ والعمل الحرا
أجل إن ماءَ النيلِ قد مرَّ طعمُه
تناوشه الفتاكُ لم يدعو شبرا
فدالت به الدنيا وريعت حمائم
مغردةٌ تستقبل الخيرَ والبشرى
وحامت على الأفق الحزين كواسرٌ
إذا ظفرت لا ترحم الحسنَ والزهرا
تحط كما حط العقابُ من الذرى
وتلتهم الأفنانَ والزغبَ والوكرا
فهلا وقفتم دونها تمنحونها
أكفاً كماء المزنِ تمطرها خيرا
سلاماً شباب النيل في كل موقفٍ
على الدهر يجني المجدَ أو يجلبُ الفخرا
تعالوا نشيّدْ مصنعاً رب مصنعٍ
يدر على صُناعنا المغنمَ الوفرا
تعالوا نشيّدْ ملجأ، رب ملجأ
يضم حطامَ البؤسِ والأوجهَ الصفرا

تعالوا لنمحو الجهلَ والعللَ التي
أحاطتْ بنا كالسيل تغمرُنا غمرا
تعالوا فقد حانتْ أمورٌ عظيمةٌ
فلا كان منا غافلٌ يصم العصرا
تعالوا نقلْ للصعب أهلا فإننا
شبابٌ ألفنا الصعبَ والمطلبَ الوعرا
شبابٌ اذا نامت عيونٌ فإننا
بكرنا بكورَ الطير نستقبل الفجرا
شبابٌ نزلنا حومةَ المجدِ كلنا
ومن يغتدي للنصر ينتزعُ النصرا

حب على الصحراء

أحبكَ ما حييتُ وأنتَ حسبي
فجربْ أنت قلباً بعد قلبي
ويا أسفاً على صحراءِ عمري
جفاها بعدك المطرُ الملبي
نهاري في لوافحِها سرابٌ
وليلي من أباطيلٍ وكذبِ
وفي أذنيَّ من شفتيكَ عتبٌ
إذا أنبا ساعةً اضجعتُ جنبي
وتلك قوافلُ الأيامِ تترى
تمر علي سرباً بعد سربِ
عوابسُ لا يطل سناك منها
ولم ألمحْ مطالعَه بركب
فإن غفلتْ عيونُ الحظِّ عنا
وصرت - ولم أكن أدري - بقربي
تبينّي فتلك خيامُ حبي
واني موقدٌ لك نار قلبي

القافلة الصغيرة

قافلة صغيرة يقتادها زعيمها وقد أوشكت على الفناء بينما زعيمها يجيل النظر هنا وهناك باحثاً عن راحة أو ظلّ أو ماء.

تعـالَ سـلِ القـبيـلةَ والجـمـالا
لأيـةِ غـايـةٍ شـدوا الـرحـالا
وكيف تـبـدلـوا أرضـاً بـأرضٍ
وكيف تـغيـروا حـالا وحـالا..
تـطلعـتِ العـيـونُ لـعـل مـاءً
يتـاحُ على الهـواجـرِ أو ظـلالا
ومـدّ الشيـخُ في الصحـراء لحـظاً
كلحظ الصقـر في الآفـاق جـالا
كـأن بـنيـه سـقـمـا أو هـزالاً
خـيـال جـر هـيـكـلهُ خـيـالا
أقـافـلة الـحـيـاة أريـتـنيـهـا
فـلم تـرَ مثـلهـا عـيـني مثـالا
أجل هي نحن في الدنيا حيارى
ومـا نـدري لـقـافـلةٍ مـآلا
رأيتُ حيـاتَنـا كم من غـريب
عـلى جنـبيـه بـالإعيـاء مـالا
وكـم من سـائـلٍ لـم يـلقَ ردا
وقـد سـأل الهـواجـرَ والـرمـالا
فـإن تجب القفـار عليـه يـومـاً
تـردّ لـه سـوافـيهـا الـسؤالا

* * *

أقـافـلة الـحـيـاة أريـتـنيـهـا
خـيـالا أو ضـلالا، أو محـالا

عاصفة

صــورةٌ للبحــر أم صــورةُ نفسٍ
عنـدمـا النفس من اليـأس تثورُ
قـد علا المـوجُ وقد عـز التأسي
لـم يعـدْ إلا عـبـابٌ وصـخـورُ
زلـزل الـبـحـرُ عـلى راكـبـه
مـثـلمـا زلـزل قـلبٌ ضـجـرُ
سـفـر صـار عـلى طـالـبـه
ركبُ ضنـك، والمنـايـا سفرُ..

* * *

غـرَّب الحظُّ كمـا مـال الشراعْ
هكـذا الأعمـار في الـدنيـا تميـلْ
وسرتْ في الجـو أشباحُ الـوداع
وتنــادى كـل شيء بـالـرحيـلْ

* * *

أإذا اشـتـد على الـقلب الـبـلاء
أإذا جــار عــبــابٌ وتــنــاهــى
تعصف الأمـواجُ عصفـاً بـالـرجـاء
كيـف ننسى أن للكــون إلهـا...

عينان

طوى السنين وشق الغيبَ والظلما
برقٌ تألق في عينيك وابتسما
يا ساري البرق من نجمين يومضُ لي
ماذا تخبىءُ لي الأقدارُ خلفهما
أجئتَ بي عتبات الخلدِ أم شركا
نصبتَ لي من خداع الوهم أم حلما؟
كأنني ناظرٌ بحراً وعاصفةً
وزورقاً بالغد المجهولِ مرتطما
حملتني لسماءٍ قد سريت لها
بالروحِ والفكر لم أنقل لها قدما
شفّت سديماً ورَقّت في غلائلَها
فكدت أبصر فيها اللوحَ والقلما
رأيت قلبين خط الغيبُ حبهما
وكاتبا ببيان النورِ قد رسما
وسحر عينيكِ إني مقسم بهما
لا تسألي القلبَ عن إخلاصه قسما
واهاً لعينيكِ كالنبعِ الجميل صفا.
وسال مؤتلقُ الأمواجِ منسجما
ما أنتما؟ أنتما كأسٌ وان عذُبت
فيها الحمامُ ولا عذر لمن سلما
لمّا رمى الحبُّ قلبينا إلى القدر
له المشيئةُ لم نسألْ لمن ولما
في لحظةٍ تجمعُ الآباد حاضرها
وما يجيء وما قد مر منصرما
قد أودعتْ في فؤاد اثنين كل هوىً
في الأرضِ سارتْ به أخبارُها قدما

كلاهما ناظرٌ في عين صاحبهِ
موجا من الحب والأشواقِ ملتطما
وساحة بتعلّات الهوى احتربت
فيها صراعٌ وفيها للعناق ظما
يا للغديرين في عينيك إذ لمعا
بالشوق يومضُ خلفَ الماءِ مضطرما
وللنقيضين في كأسين قد جمعا
فالراويان هما والظامئان هما
بأي قوسٍ وسهم صائب ويدٍ
هواك يا أيها الطاغي الجميل رمى
يرمي البريء في آن وأعجبه
ان الذي في يديه البرءُ ما علما
وكيف يبرئني من لست أسأله
برءاً وأوثر فيه السهدَ والسقما
لو أن للموت أسبابا تقربني
إلى رضاك لهان الموتُ مقتحما
إن الليالي التي في العمر منك خلتْ
مرت يبابا وكانت كلها عقما
تلفتَ القلبُ مكروبا لها حسرا
وعض من أسف ابهامَه ندما

ايمان

قدرٌ أراد شقاءنا
لا أنت شئت ولا أنا
عزَّ التلاقي والحظوظُ
السودُ حالت بيننا
قد كدت أكفر بالهوى
لو لم أكن بكِ مؤمنا!!!.

اليها

أيهـا المـاضي الـذي أودعتـه
حفـرةً قـد خيم المـوتُ بهـا
أيهـا الشعـر الـذي كفنتـهُ
مقسمـا لا قلتُ شعـرا بعـدهـا
أيهـا القـلب الـذي مـزقتُـه
صـارخـا: عهـدك يـا قلب انتهى
قسمـا مـا مـات منكـم أحـد
انـهـا رقـدةُ يـأسٍ إنـهـا
آه لـو قـام رسـولٌ ضـارعٌ
أو شفيـعٌ منكـمُ ويمضي لـهـا
آه مـن يخبـرهـا عـن طـائـر
نـسـي الأوكـارَ إلا وكـرهـا!

بعد الحب

أرى سمـائي انحدرتْ وانـطوتْ
لا تحسبي النجمَ هـوى وحـدهُ
فيـا نجـوم الـليـل لا نجم لي
ولا أرى لـي أفـقـاً بـعـدهُ

أنوار المدينة

ضحكتْ لعينيَّ المصــابيــحُ التي
تعلو رؤوسَ الليــلِ كــالتيجــان
ورأيتُ أنــوارَ المـدينـةِ بعـدمـا
طـال المسيــرُ وكلَّتِ القــدمـان
وحسبتُ ان طـاب القـرار لمتعب
فـي ظـل تحنـانٍ وركـن أمـان
فـإذا المدينـة كـالضباب تبخـرتْ
وتكشفتْ لي عن كـذوبِ أمـاني
قـدرٌ جرى لم يجـر في الحسبانِ
لا أنتِ ظـالمـة ولا أنـا جـاني

خمر الرضا

يــا حبيبي اسقني الأمـانيّ واشــربْ
بـوركتْ خمرةُ الـرضـا وهي تسكبْ
بـورك الكـأسُ والحبـابُ الـذي يـر
قصُ في الكأس والشعاعِ المـذهبْ
نضبت رحمــةُ الـوجـودِ جـميـعـاً
وبــكَ الــرحمــة التي ليس تنضـبْ
وإذا ضــاقـت السمــاءُ بشـجـوي
فــالسمــاءُ التي بـعينيـكَ أرحـبْ
كـم تمـنيـتُ والـصــدور تـجـافيـ
ـنـي وتـزورُّ والــوجــوه تـقـطـبْ
كـم بمـنيـت صــدرك البـر يـرتـا
حُ على خفقـهِ الـطريـدِ المعـذبْ
هــات وسّـدني الـحـنــان عـليــه
جسـدي متعـب وروحـي مـتـعـب

* * *

في حفلة تكريم
الدكتور ناجي صاحب الديوان

(سان جيمس ١٩٣٤)

يا صفوة الأحباب والخلانِ
عفواً إذا استعصى عليَّ بياني
الشعرُ ليس بمسعفٍ في ساعةٍ
هي فوق آي الحمدِ والشكرانِ
وأنا الذي قضّى الحياةَ معبراً
ومرجعاً لخوالج الوجدانِ
أقف العشية بالرفاق مقصراً
حيران قد عقد الجميل لساني
يا أيها الشعر الذي نطقت به
روحي وفاض كما يشاء جناني
يا سلوتي في الدهر يا قيثارتي
ما لي أراكِ حبيسةَ الألحانِ..
أين البيان وأين ما علمتني
أيام تنطلقين دون عنانِ
نجواك في الزمنِ العصيب مخدرٌ
نامت عليه يواقظُ الأشجانِ
والناسُ تسأل والهواجسُ جمةٌ
طبٌّ وشعرٌ كيف يتفقان؟
الشعرُ مرحمةُ النفوسِ وسرُّهُ
هبةُ السماءِ ومنحةُ الديانِ
والطبُّ مرحمةُ الجسومِ ونبعُه
من ذلك الفيض العلي الشانِ
ومن الغمامِ ومن معينٍ خلفَهُ
يجدان إلهاما ويستقيانِ

يـا أيـهـا الحـب المـطهـر لـلقلو
بِ وغـاسـل الأرجـاس والأدرانِ
مـا أعـظم النجوى الـرفيعـة كلمـا
يـشـدو بهـا روحـان يـحـتـرقـانِ
أنفـا منْ الـدنيـا وفي جسـديهمـا
ذلُّ السـجيـن وقسـوةُ السـجـانِ
فـتـطلعـا نحـو السمـاءِ وحلقـا
صعـدا إلى الآفـاق يـرتـقيـان
وتعـانقـا خلف الغمـامِ واتـرعـا
كـأسيْهـمـا من نـشـوةٍ وحـنـانِ
أكتبْ لـوجـه الفن لا. تعـدلْ بـهِ
عرضَ الحياة ولا الحـطام الفـاني
واستلهمِ الأمَّ الـطبيعـةَ وحـذَهـا
كم في الطبيعة من سري معـاني
الـشعـرُ مملكـةٌ وأنـت أميـرُهـا
مـا حـاجـة الـشعـراء لـلتيـجـانِ
هـومـيـر أمَّـره الـزمـان بنفسـه
وقـضت لـه الأجيـال بـالسـلطانِ
اهبطْ على الأزهـار وامسـح جفنَهـا
واسكبْ نـداكَ لـظامىء صـديـانِ
في كـل أيـكٍ نفـحـةٌ وبكـلِّ رو
ضٍ طـاقـةٌ من عـاطـر الـريحـانِ

غصن صغير

رأيتِ غصناً صغيراً　　مــنــوراً ونــضــيــرا
أرق مــا تشتهي الـنفـ　　ـسُ مــنــظراً وعبيــرا
جـذبتُه جـذب عنفٍ　　قد كاد يذوي الزهـورا
فـلم يثنً لـجـذبي　　وكــان غصنــاً صبــورا
لـكـنـنـي لــم أدعْـهُ　　حتى عــلا مــســرورا
وارتــد يضربُ وجهي　　ضــربــاً عنيفــاً مثيــرا
وعــاد ينشــر في الأيـ　　ـك ذا الحديثَ الاخيرا
تضـاحك الأيـكُ جذلا　　نَ شـامـتـاً مســرورا
ضحكُ الذي بعد صبر　　قــد فــاز فــوزاً أخيــرا

دعابات

حفلة عرس
في منزل الوزير الأديب دسوقي أباظه

(الدعابة موجهة إلى صديقنا الشاعر

النابغ الأستاذ محمود غنيم).

دعــوتَ فــلبيــنــا ودارُك كــعــبــةٌ
بهــا انعقد الإخـلاصُ والحبُّ طُوَّفـا
خـميـلتُنــا تـهفــو إلـيـهــا قـلوبُـنــا
وأي فـؤادٍ لـلخــمـيــلةِ مــا هـفــا
بنــوك الألى تحنــو عليهم تعــطفــا
وتــرعـــاهــم بــراً بـهــم مــتــلطفــا:
إذا خلعــوا يعض الــوقــاء فسعـهم
فمثلك عن مثـل الذي صنعـوا عفـا

هنا اطرح الأعباء مثقل كاهل
وخفف من وقريه من تخففا
فما على الفضل الأباظي طامعا
وأغرق في الجود الأباظي مسرفا
فيا ندوة السمار هل من مسجل
يدوّن إعجاز القرائح منصفا
ليشهد أن الشعر شيء مشى بنا
مع الطبع جل الطبع أن يتكلفا
وفي دمنا يجري به متواصلا
مع النفس الجاري وينساب مرهفا
فهل ناقل عني الغداة وناشر
مقالة صدق قد أبت أن تحرّفا
حديث غنيم والردنجوت والذي
جرى بيننا ما كنت بالحق مرجفا

* * *

بصرت به والصحن بالصحن يلتقي
فلم أر أبهى من غنيم وأظرفا
تراءى له لحم فلم يدر عنده
تديك من بعد الطوى أم تخرفا
وأومأ لي؛ باللحظ يسألني به
أتعرفه أومأت باللحظ مسعفا
وقدمته للديك وهو كأنما
يطير إليه واثبا متلهفا
غنيم! أخونا الديك! قدمت ذا لذا
فهذا لهذا بعد لأي تعرفا
وما هي إلا لحظة وتغازلا
وقد رفعا بعد السلام التكلفا
فمال على الورك الشهي ممزقا
ومال على الصدر النظيف منظفا

جــزى الله أسنــانــا هنــاك عتيقــة
ظللن على الصحن الأبــاظي عكفـا

* * *

تعيــر نــاجي بــالــردنجــوت جــاءه
معـاراً فغـامرْ واستعـرْ أنت معـطفـا
وأقسم لــو أن الــردنجــوت نلتــه
وجـاد بـه من جــاد كـرهــا وسلّفـا
لـقـلّبتــه ظـهــرا لـبـطن مـحيــرا
بــه تحسبن الـوجــه من عبط قفــا
رأيتــك والعــدس الأبــاظي قــادم
كمـا انتفض المحموم بشـر بـالشفـا
ونـاهيـك بــالعـدس الأبــاظي منـظر
عــظيم كمـا هيــأت للعين متحفــا
عـلى أنــه مــا جــاء حتى رأيتــه
توارى كطيف لاح في الحلم واختفى
فـلله مـن لـفظ بـبــطنــك راســب
قــريـر ومعنــاه بـرأســك قـد طفــا

* * *

قِفا نبك أو نضحك على أي حالـة
قفَـا صـاحبي اليــوم من عجب قفـا
كأنَ صحّاف الدار في عين صاحبي
غــوان كستهن المحــاسن مــطرفــا
اشــار لاحــداهــن إذ بــرزتْ لــه
ونـاجتـه عن بعــد وأبـدت تعـطفـا
«تســائلني من أنـت وهي عـليمــة»
وهـل بفتى مثلي على حالـه خفـا؟
سـأخبـرهـا من أنت! انـك شــاعـر
قنـوع إذا مـا الخيــر جـاء تفلسفـا

ومن أنت حتى تـرفض النعمـة التي
اتـيحـت وتـأبى مـثلهـا مـتقـشـفـا
فتى حـالـه غلبٌ وآخـره الـطوى
وخـطتـه عـريٌ ومشـروعـه الحفـا

هجو

في من اسمه عبد الحميد

رجـل أرى بـالله أم حَـشَـرَةْ
سـبحـان مـن بعـبيـده حـشَـرَهْ
يـا فـخـر داروين ومـذهـبـه
وخـلاصـة الـنـظريـة الـقـذرةْ
أرأيت قـرداً في الحـديقـة قـد
فـلت أنـشـاه عـلى شـجـرهْ؟
عبـد الحميـد اعلم فـأنت كـذا
مـا قـال داروين ومـا ذكـرهْ
يـا عبـقـريـاً في شنـاعـتـه
ولـدتـك أمـك وهي معتـذرهْ.

هجو شاعر

أيها الحي وما ضـر الـورى لـو كنت متـا
أوَ شعـر! ذاك لا بـل حجـر ينـحت نـحتـا
تـلقم النـاس وتـرمـيـ ـهم بـه فـوقـا وتحتـا
صحت من يأسي لما بـركيك الشعـر صحتـا
آه يـا قـاتـل يا سفـ ـاك ! حتى أنت حتى!

الخريف

يـا حبيبي غيمـة في خـاطـري
وجفـوني وعلى الأفق سـحـابـهْ
غـفـر اللّهُ لـهـا مـا صـنـعـت
كلمـا شـاكيتهـا تنـدى كـآبـهْ
صـرخ الـقفـرُ لـهـا منـتـحِبـاً
وبكى مستعـطفـاً ممـا أصـابـهْ
فـأصـمّ الـغـيـثُ عـنـهُ أذنَـهُ
مـا على الأيام لـو كـان أجـابـهْ

* * *

كثـر الهجـرُ على القلب فـهـل
مـن سـلو أو بـعـاد يـرتـضـيـهِ
أنـت فجـرٌ مـن جمـال وصبـا
كـل فـجـر طـالـع ذكّـرنـيـهِ
كـيـف جـانـبـتـك أبـغـي سـلوةً
ثـم نـاجيـتـك في كـل شـبـيـهِ
أيـهـا الـسـاكـن عـيـني ودمـي
أين في الـدنيـا مكـان لست فيـهِ
عـنـدمـا أزمـعَ ركـب الـعـمـر
رحـلةً نـحـوَ الـمـغـاني الأخـرِ
ظـهـرت تـجـلوك كـفُّ الـقـدرِ
صـورةً أروعَ مـا فـي الـصـورِ
تـتـراءى في الـشـبـاب الـعـطر
نـفحـةً تـحمـل طـيبَ الـسحـرِ
وقـف الـعـمـرُ لـهـا مـعـتـذراً
وثـنـى الـركـبُ عـنـانَ الـسـفـرِ

* * *

عندما أقفرتِ الدنيا جميعاً
لحتَ لي تحمل عمراً وربيعا
إن يكن حلماً تولى مسرعاً
أجمل الأحلام ما ولى سريعا
إن يكنْ ما كان دَيْناً يقتضيْ
خلني أدفعه عنك دموعا
قد شريناه عزيزاً غالياً
إن تكن بعتَ فإني لن أبيعا

* * *

يا ندامى الحب سُمار الهوى
سكبوا لي السهدَ في ذاك الشراب
ارقوني أجرع السقم وبي
صفرة الكأس وأوهام الحباب
كلما تقبل أيام المنى
تنجلي النعماءُ عن ذاك السراب
وترى أياميَ الحيرى على
عرسها الضاحك أحزان الضباب

* * *

لم أقيدك بشيء في الهوى
أنت من حبي ومن وجدي طليقْ
الهوى الخالص قيد وحده
رب حر وهو في قيد وثيقْ
مزّقت كفيك أشواكُ الهوى
وأنا ضقت بأحجار الطريقْ
كم ظمي بظمي يرتوي
وغريق مستعين بغريقْ

* * *

يا ليالي العمر ما سر الليالي
البطيئات المملات الطوالِ
مسرعات مبطئات ولها
خفة الموت وأثقال الجبالِ
كاسفات البال عرجاء المنى
عاثرات الحظ شوهاء الظلالِ
عجباً للعمر يمضي مسرعاً
للمنايا بسلحفاة الملال (؟!)

* * *

يا قماري الروض في أيك الهوى
جفّتِ الروضةُ من بعد النديمْ
حل بالأيك خريفٌ منكرٌ
وظلال قاتماتٌ وغيومْ
ماتت الروضةُ إلا طائفاً
من هوى حي على الذكرى يقومْ
فإذا أنكر ما حل بها
فر يبغي سربَه بين النجومْ
شاهت الدنيا وجوهاً ورؤىً
وتولاها سهومٌ ووجومْ
يا عذارى الحسن في ظل الصبا
كل حسن بعد ليلاي دميمْ
يا نعيم العيش في ظل الرضا
آه لو أعرف ما طعم النعيمْ
أنكر الجنةَ قلبٌ ضجرٌ
أبدي النار موصول الجحيمْ

* * *

طالما موهتُ بالضحك فما
غيَّر التمويهُ رأياً لك فيا

كلما تنظر في عيني ترى
سريَ الغافي ومعناي الخفيا
وترى في عمق روحي زهرةً
قد سقاها الحزنُ دمعاً أبديا
ويراهُ الناسُ طلا وترى
أنت دمعاً غائماً في مقلتيا

* * *

يا فؤادي ما ترى هذا الغروبْ
ما ترى فيه انهيار العمرِ؟
ما ترى فيه غريقاً ذا شحوبْ
يتلاشى في خضم القدرِ؟
ما تراها اتأدتْ قبل المغيبْ
ورمتْ من عرشها المنحدرِ
لفتةَ الحسرةِ للشط القريبْ
قبل أن تسقط خلف النهرِ...

* * *

يا فؤادي قاتل اللّهُ الضجرْ
وعذابي بين حل وسفرْ
ما ترى قنطرةً من بعدها
راحة ترجى وبال يستقرْ
ذلك الجرح وما أفدحه
ما عليه لو إلى السلوى عبرْ
قد طواه اليوم في بردته
وأتى الليلُ عليه فانفجرْ

* * *

مرَّ يومي فارغاً منك ومن
أملِ اللقيا فما أتعسَ يومي
أنت يومي، وغدي أنت، وما
من زمان مرّ بي لم تكُ همي!

آهِ كم أغـدو صغيـراً، حـاجتي
لـكَ كـالـطفـل إلى رحمـةِ أمٍّ
ولـكم أكبـر بـالـحب إلـى أن
أغتـدي مستشـرقـاً آفـاق نجمِ

* * *

أي سـرٌّ فيـك إني لـست أدري
كـل ما فيـك من الأسـرار يغـري
خـطرٌ ينسـابُ مـن مفـتـر ثغـر
فتنـة تـعصـف من لـفتـة نـحـرِ
قـدر يـنسـج من خصـلة شعـر
زورق يسبـحُ في مـوجـةِ عـطرِ
في عبـاب غـامض التيـار يجـري
واصـلاً مـا بين عينيـك وعمـري

* * *

ذات لـيـلٍ والـدجى يـغمـرنـا
أتـرى تـذكـر إذ جـزنـا المـدينةْ؟
كـلمـا روعـت مـن نـار شـجٍ
حـر مـا يصلى تلمست جبـينَـهْ
بيـدٍ شفـافـة مثـل النـدى الـرطـ
ـب تعيـد النـار بـردا وسكينـه
أيـهـا الآسـي لـنـاري هـذه
مـا الذي تصنـع بالنـار الـدفينه؟

* * *

أخـيـالاً كـان هـذا كـلُّهُ
ذلـك الجسـر الـذي كنـا عليـه؟
والمصـابيـح التي في جـانبيـه
ذلـك النيـل ومـا في شـاطئيـه؟

وشـعـاع طـوفت فـي مـائـه
وظـلالٌ رسبت في ضفـتيـه
وحـبيـب وادع في سـاعـدي
ووعـود نلتهـا من شفتيـه؟

* * *

رب لحن قص في خـاطـرنـا
قصةَ الحادي الذي غنّى سهادَهْ
وكـأن الـصـمـت منـه واحـةً
هيأتْ من عشبِها الرطبِ وسادَهْ
هـا أنـا عـدت إلى حيث التقينا
في مكـان رفـرفت فيـه السعادَهْ
وبـه قـد رفـرف الصمتُ علينـا
إنَّ في صمت المحبين عبـادَهْ

* * *

رفـرف الصمتُ ولكن أقبلتْ
من أقاصي السهلِ أصداءٌ بعيدَهْ
تتهـادى فـي عبـابٍ سـاحـر
مرسـلٍ للشطِّ أمـواجـاً مـديـدَهْ
كـم نـداء خـافت مـبـتـعـد
تشتهي أذنُ الهـوى أن تستعيـدَهْ
عـاد منسـابـاً إلى أعمـاقـهـا
هـامساً فيها بأصـداءٍ جديـدَهْ

* * *

رفـرف الصمتُ ولكن هـا هنـا
كـل مـا فيـك من الحسنى يغني
آه كـم من وتـر نـام على
صدر عـودٍ نـومَ غـاف مـطمئنِ
وبـه شتى لحـون من أسـى
وحـنـيـنٍ وأنـيـنٍ وتـمـنـي

رقد العاصفُ فيه وانطوتْ
مهجةُ العودِ على صمتٍ مرنِ...

* * *

هذه الدنيا هجيرٌ كلُّها
أين في الرمضاء ظل من ظلالكْ
ربما تزخر بالحسن وما
في الدمى مهما غلت سر جمالكْ
ربما تزخر بالنور وكم
من ضياء وهو من غيرك حالكْ
لو جرت في خاطري أقصى المنى
لتمنيتُ خيالاً من خيالك

* * *

أنا إن ضاقت بي الدنيا أفيءْ
لشوانٍ رحبةٍ قد وسعتنا
إنما الدنيا عبابٌ ضمنا
وشطوطٌ من حظوظٍ فرقتنا
ولقد أطفو عليه قلقاً
غارقاً في لحظة قد جمعتْنا.
كلما تترى المعاني أجتلي
خلف معناها لأسرارك معنى

* * *

ما الذي صبك صباً في الفؤادْ
ما الذي إن أقصِه عنيَ عادْ
طاغياً يعصفُ عصفاً بالرشادْ
ظامئاً سيان قرب وبعادْ
ساهر العينين موصول السهادْ
ما الذي يجري لهيباً في الرمادْ

مـا الـذي يـخلقـنـا مـن عــدم
ما الذي يجري حياةً في الجمادْ

* * *

كـم حبيـب بـعــدت صـهـبـاؤه
وتـبـقـت نـفـحــةٌ مـن حــبـبِـهْ
في نسيــجٍ خــالـدٍ رغم البلى
عـبث الـدهــرُ ومــا يـعبـث بِـهْ
مــا الـذي في خصلة من شعــره
مــا الــذي في خــطه أو كُـتـبِـهْ
مــا الــذي فــي اثــرٍ خــلّفـه
مـنْ أفــانين الهــوى أو عـجبِـهْ

* * *

مــا الــذي فـي مجلس يـألفـه
عـقــد الـحـبُّ عـليــه مــوعــدَهْ
ربـمــا يـبـكـي أسـى كـرسـيُّـهُ
إن نــأى عنــه وتبكي الـمــائـدَهْ
ربـمــا نـحـسـبـهــا هـشـتْ إذا
عــائــدٌ هش لـهــا أو عــائــدَهْ
ربـمــا نـحـسـبـهــا تـسـألـنـا
حـيـن نـمـضـي أفـراق لـعــدَهْ؟

* * *

كم أعـدت لك سـتراً في الخفاء
وتــوارت عـن عـيــون الـرقـبــاء
كـم أعــدت نفـسهــا وانـتــظرت
واستـوت مـوحشـة تحت السمـاء؟
وهي لــو تملك كفـا صــافـحت
كـفّــك الحـلوةَ في كــل مـســاء

وهي لـو تملك جـوداً بـذلت
كـل مـا تملك كفٌّ من سخـاء

* * *

رب كـرم مـده الـليـل لـنـا
فتـواثبـنـا لـه نبغي اقتـطافَـهْ
وعـلى خـيـمـتـه أسـوده
عـربي الجـود شـرقي الضيـافَـهْ
وجـد الـعـرس على بـهـجتـه
وسـنـاه دون ورد فـأضـافَـهْ
ثـم وارت يـدَه جـنـيـةٌ
وطـوتـه بأسـاطيـر الخـرافَـهْ...

* * *

أرج يـعـبـق فـي أنـحـائـه
حملتـه نحـو عـرشينـا الـريـاحْ
كـل عـطر في ثنـايـاه سـرى
كـان سـرّاً مضمـراً فيـه فبـاحْ
يـا لهـا من حقبـة كـانت على
قِـصَـرٍ فـيـهـا كـآمـاد فسـاحْ.
نـتـمـنى كـلـمـا طـابتْ لـنـا
أن يـظل الليـل مجهـول الصبـاحْ

* * *

يـا فؤادي العمـر سفـرٌ وانـطوى
وتـبقـتْ صفـحـة قـبـل الـنـوى
مـا الذي يغـريك بـالـدنيـا سوى
ذلـك الـوجـه، وذيـاك الهـوى

* * *

العائد

أجـرْ غـربتـي أيهـا الـعـائـدُ
فـقـد ملّنـي الـداءُ والـعـائـدُ
أجـرْ غـربتي فبـلادي الهـمـوم
ولـيـلٌ بـطيء الخـطى راكـدُ
تـقـاسمـني فـي نـواك الـديـار
وأنـتَ لـي الـوطـن الـواحـدُ
محيـاك داري ومنـك نهـاري
إذا ضمـك الصـدرُ والسـاعـدُ

* * *

أجـرْ شفتي من عـذاب الـظمـا
أمـا أذن الـلّهُ أن تـرحـمـا!
أتمعن في الهجـر حتى تـرانـا
بكينـا دمـا واحتـرقنـا فمـا؟
ولـي رمقٌ صـنتُـهُ كـي أراك
فـاشـفـقْ على رمقي ريثـمـا
إذا طـلـب الـحـبُّ بـرهـانَـهُ
من المـوت لبَّيتُ كي تعلمـا..

* * *

لـيـاليّ مـرت هـبـاء عـقـيمـا
فهـل تتـوالى البـواقـي سـدى؟
أسـائـل جـرحيَ عمـن جنـاهُ
وارنـو فـاسـتـخـبـر العودا
فمـا اطلعـوا اليـوم بـالبشـريات
ولا عـللوا بـالتـلاقـي غـدا...
فـلمـا تـنـكـرَ حتـى المـحـب
تـلفـت أسـألُ عـنـك الـعـدا

* * *

سلام على غائب عن عيوني
حملت حطامي إلى دارهِ
وقلت لقلبي تمهل بنا
وخبىء شقاءَك أو دارهِ
تناسَ الأسى ها هنا أو يقال
حملتَ الظلامَ لأنوارهِ...
أتغدو إلى عتبات النعيم
بلفحِ الجحيم وإعصارهِ!..



الطــائر الجـــريــح



زازا

أنا وحدي في البيدِ حيرانُ هائمْ
فمتى تذكرُ القفارُ الغمائمْ
رحمةً يا سماء إن فمي جفّ
وحلقي عن المواردِ صائمْ
غاض نبع المُنى ولم يبقَ حتى
ومضة الحلم في محاجر نائمْ
أيها الطاعم الكرى ملء جفنيـ
ـك وجفني من الكرى غيرُ طاعمْ
أبكني واستبِد بي واقضِ ما شا
ء لكَ الحسنُ فيَّ واظلِمْ وخاصمْ
غير هذا النوى فإن لياليـ
ـه ظلالٌ من المنايا حوائمْ
تضمحلُّ الحياةُ فيه وتنهدُّ
كأن النهارَ معْولُ هادمْ
لا تكلْني لذلك الأبد الأسـ
ـود في قاع مُزبدِ اللُّج قاتمْ
لا تكلني لِهُوَّة تعصف الأشـ
ـباحُ في جوفها وتعوي السمائمْ
لا تكلْني إلى جناحِ عُقابٍ
في ضلوعي مَحلّق الرعبِ جاثمْ
لا تكلْني لضائع في حنايا
ها غريب في مهمهٍ من طلاسمْ
يسأل الزهرُ والخمائلُ والأنْـ
ـوارُ عن تِربها الضحوك الباسمْ
ذاق ما ذاق في الصبابة إلا
ذبحة الروح وانفصال التوائمْ

إن تَعُـدْ محسنـاً إليّ فعُـد بي
للعهـود المقـدسـات الكـرائمْ
وإذا مـا رأيتَ عـزميَ ينـهـا
رُ فثبِّتْ بـالـذكـريات الـدعـائمْ
جئتني في الخريف والروضُ عـارٍ
فكسوتَ الربى عـذارى البـراعمْ
وأجـال الـربيـع أخضـرَ كفّيـ
ـهِ ليمحـو اصفـرارَه المتـراكمْ
رحلة للنجـوم لـم تـك أوهـا
مـاً وبعضُ النعيمِ أوهـامُ حـالمْ
آه كـم لـيـلة أراجـع أيـا
مي أعُـدُّ العُلى وأُحصي العظائمْ
وحسبت الخسـران فيها فكـان الـ
ـغبنُ عنـدي زمـانيَ المتـقـادمْ
قبـل أن نلتقي فلمـا تـلاقيـ
ـنا عـرفت الغنى وذقت المغـانمْ
حيثمـا أغتـدي فـإن الـدراري
مـلءُ روحي وفي خيـالي بـواسمْ
إن أبِـتْ جـائعـاً فـثمّـة زادي
أو أبِتْ معسـراً فثمّ الـدراهـمْ
وعجيبٌ قد كنت لي حسد الحسا
د فيهـا وكـنت أنت التمـائـمْ
بـالـذي صنتُ عهـدَه لم أخنْـهُ
ومتى خـانتِ الأكفُّ المعـاصمْ؟
والـذي حكمـه كـأقـدار عينيـ
ـك فما منهما ولا منـه عـاصمْ
أيُّ صـوتٍ من الغيـوب ينـاديـ
ـني فـأطوي لـه الـدُّنى والمعـالمْ
قـدر مـشعـلٌ عـلى شـفـةٍ تـد
عو فأخـطو على اللظى غيرَ نـادمْ

وفـؤادي يحــومُ بــالـنــار لا يحـ
ـفــل أنـي على الـمنيَّــة حــائمْ
الهـوى مصـرعي وكم من حِمـامٍ
كــان بــابــاً إلى الخلود الــدائمْ
وطــريـقــاً مـن الأسـنّــةِ والـشــو
كِ روتْ أرضَـه الدمـوعُ السـواجمْ
شهــد اللّهُ مــا قضيــتُ الليــالـي
نــاعمَ الجنب فـوق مهدٍ نــاعمْ
أيُّ جَيشيــك مغـرقي ليلي الــطا
غي أم الشـوق وحدهُ وهـو عارم؟
آهِ مِـن رُبـمــا ومــن أمــلٍ يُـمْـ
ـســكُ نفسي رجـاء يــومٍ قــادم
قد تجيءُ الأنباءُ من شاطىء النيـ
ـل غــداً والمبـشــراتُ النســائمْ
وتكــونُ النجـاةُ في القمــر الســا
ري على زورقٍ من النــورِ حــالمْ

بقايا حلم

آهِ مــن وجْــدك بــالـهــاجــر آه
تـتـمــنـى أن تــراه؟ لــن تــراه!
خــدعَـتْنــا مـقـلتــاهُ خــدعـتْنــا
وجـنـتــاه خــدعــتـنــا شــفـتــاهْ
والــذي من صـوتــه في مسمعي
وخيــالـي غــادرٌ حــتـى صــداهْ
حــلم مــرَّ كـمــا مــر ســواه
وكــذا الأحــلام تمضي والحيــاهْ

* * *

أيـن يــا لـيــلاي عـهــد الـهــرم
أيـن يــا لـيــلاي حـلو الـكـلِم؟
هــامســات بيـن أذني وفــمـي
ســاريــاتٍ غــرداتٍ فــي دمــي
كــلمــات عــذبــة مــعــســولـة
ضـيِّـعــت وارحــمــتــا لـلقــسـمِ
ذهـبـت مـثــل ذهــاب الـحــلم
إنـنـي أعـلـم مــا لـم تــعـلمـي

* * *

كيف صــدَّقنـا أضــاليلَ الهــوى
بنُهى طفــل وإحـســاس صبـي؟
حسبُنــا منــه سـمــاء لـمـعـتْ
فــوق رأسيـنــا وكــوخ خـشـبـي
حــلم ولّــى ووهــم لــم يـدُم
مــا تـبقّـى غـيــر خـيط ذهـبـي!

* * *

ذات يـوم فـي أصيـل فـاتـن
ذابت الشمسُ فسالت ذهبا
كست النيلَ نُضاراً وانثنَتْ
تغمر الصحراء نخلاً وربى
ما على الجيزة أن قد أبصرتْ
شفقي معتنقاً فجر الصبا
قد رأتنا مثل طيفَيْ حلمٍ
ما عليها أقبلا أم ذهبا!

* * *

قلتُ هيا! قلتِ نمشي سرْ فما
من طريق طال لا نذرعهُ
قلتُ والعمر بعيني كالكرى
وأنا في حلم أقطعهُ
جمع الدهرُ حبيباً وامقاً
بحبيب وغداً ينزعهُ
أطريقان: طريق دونه
في حياتي وطريق معهُ؟

* * *

كلما خلَّى حبيبي يده
لحظة قلت وحبّي أبقِها!
أبقها أنفض بها خوف غدٍ
وأحسَّ الأمن منها وبها
أبقها أشدُدْ بها أزري إذا
ضعُف الأزرُ أو العزمُ وهى
أبقها أومنْ إذا لامستها
أن حبي ليس حلماً وانتهى

في ظلال الصمت

ها أنا عدت إلى حيث التقينا
في مكان رفرفت فيه السعادهْ
وبه قد رفرف الصمت علينا
إن في صمت الحبيبين عبادهْ
ربْ لحنٍ قص في خاطرنا
قصةَ الساري الذي غنى سهادهْ
وكأنَّ الصمتَ منه واحةٌ
هيَّأتْ من عشبها الرّطبِ وسادهْ

* * *

صمتَ السّهلُ ولكن أقبلتْ
من ثنايا السهل أصداءٌ بعيدهْ
كلُّ لحنٍ في هدوءٍ شاملٍ
تشتهي النفسُ به أن تستعيدَهْ
يتهادى في عُبابٍ ساحرٍ
باعثٍ للشطّ أمواجاً مديدهْ
فإذا ما ذهب الليلُ بها
تزخرُ النفسُ بأصداءٍ جديدهْ

* * *

هدأ الليلُ هنا لكنني
كنت في حسنك بالصمت أُغني
كلُّ لحنٍ لجبٍ يغشى دمى
لعب العازف بالعود المُرنّ
ناقلاً للنّهر والسهل معاً
قصةٌ يشرحُها عنك وعني
قصة الشاعر والحسن إذا اسـ
ـتبقا للخلد في حومة فنّ

* * *

ما الذي في خصلة راقدة
ما الذي في خطِّه أو كتبِهْ؟
ما الذي في أثرٍ خلّفه
منْ أفانين الهوى أو عجبه
ما الذي في مجلس يألفه
عقد الحب عليه موعده
ربما يبكي أسىً كرسيُّه
إن نأى عنه وتبكي المائده
ولقد نحسبها هشّت إذا
عائد هشّ لها أو عائده
ولقد نحسبها تسألنا
حين نمضي أفراق لعِدّه؟

* * *

كم أعدَّت نفسها وانتظرت
واستوت موحشة تحت السماء
وهي لو تملِك كفّاً صافحت
كفَّكِ الغضّة في كل مساء
رُبَّ كرم مدَّه الليل لنا
فتواثبنا له نبغي اقتطافهْ
وعلى خيمته حارسه
عربي الجود شرقي الضيافهْ
وجَد العرس على بهجته
وسناه دونَ وَرْدٍ فأضافهْ
ثم وارته غيابات الدّجى
كخيالٍ من أساطيرِ الخُرافهْ

* * *

أرجٌ يعبقُ في جُنحِ الدّجى
حملته نحو عَرْشَيْنا الرياحْ

كلُّ عطرٍ في ثناياه سرى
كان سِرّاً مُضمراً، فيه فباحْ
يا لها من حقبة كانت على
قِصَرٍ فيها كآماد فساخْ
نتمنى كلما امتدتْ بنا
أن يظل الليل مجهول الصباحْ

* * *

أنا إن ضاقت بيَ الدنيا أفيءُ
لثوانٍ رحبةٍ قد وسِعتنا
إنما الدنيا عُبابٌ ضمَّنا
وشطوطٌ من حظوظ فرَّقتنا
ولقد أطفو عليه قلِقاً
غارقاً في لحظةٍ قد جمعتنا
ومعاني الحسن تترى وأنا
ناظرٌ فيها لمعنىً خلف معنى
هذه الدنيا هجيرٌ كلُّها
أين في الرمضاء ظلٌّ من ظلالكْ
ربما تزخر بالحسن وما
في الدُّمى مهما غلت سحر جمالكْ
ولقد تزخر بالنور وكم
من ضياء وهو من غيرك حالكْ
لو جرت في خاطري أقصى المنى
لتمنيت خيالاً من خيالكْ!

* * *

قلت لليل الذي جلَّلنا
والذي كان على السرِّ أمينا
أين يا قلبيَ مَنْ قلبي اجتبى
لهواه واصطفاه لي خدينا؟

لم أكن أطمع أن ترحمني
بعد أن قضّيت في الوجد السنينا
لم أكن أطمع أن تُضمِر لي
آسياً يُبرىءُ لي الجرح الدفينا
لم أكن أعلم يا ليل الأسى
أن في جنحك لي فجراً جنينا

* * *

أيها اللائذ بالصمت كفى
وأدِر وجهَك لي وانظرْ طويلا
لا تمِل واسخرْ من الدنيا إذا
شاءت الأيام يوماً أن تميلا

* * *

ما الذي مكّن في القلب الودادْ
ما الذي صبّك صبّاً في الفؤادْ؟
ما الذي ملّك عينيك القيادْ
ما الذي يعصف عصفاً بالرشادْ؟
ما الذي إن أُقصهِ عنيَ عادْ
طاغياً سِيّان قربٌ أو بعادْ؟
ما الذي يخلقنا من عدم
ما الذي يُجري حياة في الجمادْ؟

* * *

كم حبيب بَعُدت صهباؤه
وتبقت نفحة من حبَبهْ
في نسيج خالدٍ رغم البلى
عبث الدّهرُ وما يعبث به

* * *

أين سلطاني ومجدي والذي
حبُّه مجدٌ وسلطانٌ وعزّه؟

أيـن إلـهـامـي ونـوري والـذي
أيقظَ القلبَ إلى البَعْثِ وهَـزِّه؟

* * *

نأى عني

قـد نـأى عني الـذي يـرحمني
والـذي يـفـهـم آلامـي وروحـي
والـذي أعـبـد مـنـه غُـرَّةً
كندى الأزهار في الوجه الصبيحِ
والـذي أشـتَـمُّ مـنـه غـاديـاً
عبقَ الأنداءِ في الوادي الصدوحِ
آه يـا هـنـد جـراحي كـثُـرَت
فتعـاليْ ضمـدي أنتِ جـروحي!

قصة حب

مـرت حـيـاتـي دون أمـنـيـةٍ
وتـقـلّبـت مَـللا عـلى مـللِ
حتـى لـقـيتـكِ ذات أمـسـيـة
فعـرفت فيـكِ مـطالـع الأمـل

* * *

طـافـت بـي الأيـامُ واحـدة
لـم تلقـني فـرحـاً ولا جـزعـا
وتـمـرّ فـارغـة وحـاشـدة
وقـد استـوت ضِيْقـا ومتـسعـا

* * *

والعمرُ سارَ كأنه العدمُ
سقمي به عندي كعافيتي
فأذقني ما لم يذقه فمُ
من أي كأس كنت ساقيتي؟

* * *

ما هذه الدنيا التي اقتربتْ
فيها المنى والظلُّ والثمرُ؟
تجتاز وامضة فمذ وثَبَتْ
وثَبَ الهوى وتمهَّلَ القدرُ!

* * *

قدماك ما انتقلا على درج
حاشاك بل خطرا على ثبجِ
كسفينة خفّت على اللجج
نَشوى بما حملت من الفرَجِ!

* * *

في مظلم متعرج كابٍ
والليل تغزوني جحافلهُ
دقّت يدُ النعمى على بابي
والعيش خابي النجم آفلهُ

* * *

يا للمقادير الجسام ولي
من ظلمها صرخات مجنون
باكي الفؤاد مشرّد الأمل
وقف الزمان وبابه دوني

* * *

مزّقتِ ظلمة كل ديجورِ
وأنت ما قد كان منه عصًى

وفتحتِ مصراعيه للنور
ما كنتِ إلا ساحراً وعصا

* * *

ماءٌ ضربتُ الصخر فانبجسا
وجرى الغداةَ زلالُهُ العذبُ
أيقول دهري إن ما يبسا
هيهات يرجع عودهُ الرطبُ

* * *

صيّرت دعواه لتفنيدِ
وحطّمته وهزمت حجّتهُ
وأعدتِ ما قد جفّ من عودي
مخضوضراً وأقمت صعدتَهُ!

* * *

يا من رأت طللاً كتمثالِ
يستعرض العمرَ الذي مرَّا
وكأنه في رسمِهِ البالي
ندم الأسيف ودمعة حرَّى

* * *

ورد ذوى أو طائر صمتا
العمر مثل الظلّ منتقل
الناس لا يدرون من ومتى
والناس إن علموا فقد جهلوا
ما خطبهم في روضة حالت
أو صوّحت أفنانها الخضُل

* * *

نزل الربيع بها فنضّرها
وأحالها بشبابه لحنا

ومشى الشتاءُ لها فغبّرها
وأحالها لفظاً بلا معنى

* * *

هذا حديثٌ يشبه السِّحرا
هيهات أفرغ من روايتهِ
شفق المغيب جعلته فجرا
وبدأت عمري من نهايتهِ

* * *

إني لطيرٌ حائر باكِ
قد كانتْ الأحزانُ فلسفتي
ذابت حناناً يوم لقياكِ
وجرت أغاريداً على شفتي

* * *

يا من طويت عليه جارحتي
وسألت عنه الأنجمَ الزّهرا
وضربت في الصحراء أجنحتي
أستلهم الكثبانَ والقفرا

* * *

والماء أنهَل حيثما كانا
والبرق أتبع حيثما لمعا
فأرى صفاءَ الوردِ غيمانا
والمطلقُ المجهولُ ممتنِعا!

* * *

بقية القصة

كـلاّ ولا لـغـة لـه إلا الـذي
قـد جـال في عينيـك أو عينيّـا
أو لفظة جمدت على شفتيكِ من
فـزَع كمـا مـاتت على شفـتيّـا
أو حسـرة مني إليـك وحسـرة
مـرتـدة من نـاظـريـك إليّـا

* * *

لا أنـت نـائـيـةٌ ولا أنـا نـاء
إني لـديـك مقيَّـدٌ بـوفـائي
بعض الهوى يُسدى كمنّة منعم
وجـمـيـلةٌ دَيـنٌ رهـين قـضـاءِ
ويقـلُّ عمرُ الـدهـرِ تـوفيَـةً لمـا
أسـدَيتـهِ بجـمـالـكِ الـوضّـاءِ
عُمر الزمـانِ فِدىً لسـاعـة ملتقى
سمحت بهـا الأقـدارُ ذات مسـاءِ

* * *

أنتِ التي علمتِني معنى الحيـا
ة حبيـبـةً ونـجـيَّـةً وصـديقـا
أنكـرتُ معنـاهـا بغيـركِ واستـوت
وتشـابهـت سعـة علـيَّ وضيـقـا
وودت لـو غـالَ الخلائقَ غـائـلٌ
مفنٍ أو اشتعـل الصبـاحُ حـريقـا
وسلمتِ أنتِ فـأنتِ أدنـاهم إلى
روحي وأبعـدهم عليَّ طـريقـا!

* * *

لا تسـألـيني عن غـدٍ لا تسـألي
فغـداً أعـود كمـا بـدأتُ غـريبـا
هتـك الستـار مقنَّـع حسنـاتـه
يخفين خـلف ريـائهـن الـذِّيبـا
كـان التـلاقي بيـننـا كفَّـارة
لـلدهـر عـن آثـامـه لـيتـوبـا
فلتـذهب الحسنـاتُ غيـر كـريمـة
سـأعُـدُّهُنَّ على المتـاب ذنـوبـا!

* * *

أرنـو وحيـداً للمكـان الخـالـي
كـأسي وكـأسك فـارغـان حِيـالي
مـرَّ المسـاء مـخيَّبـا فتسـاءلا
وتلفَّتـا لـكِ في المسـاء التـالي
حـتى إذا مـلاَّ تـرقُّـب عـائـد
يُـحيـي ويبـعـث ميّـت الآمـال
بَكيـاكِ بـالحبّ الحـزين وربمـا
بكت الكؤوسُ على النديم السالي!

* * *

أرنـو إلى الصهبـاء غـام شعـاعُهـا
وامتـد نحـو النفس ظـل جنـابهـا
وكـأنمـا روحي هنـاك حبيسـةٌ
تـطفو وتـرسب في خطوط حَبـابها
وكـأن راهبـة هنـاك سـجينـةٌ
مغمـورة بـدمـوعهـا وعـذابهـا
ظلّت تقيم على الشمـوع صلاتهـا
حتى تـلاشى النـور في محـرابهـا

* * *

كم ذكريات في الحياة عزيزة
مرَّت عليَّ فكنتِ أغلاهنَّ
حتى إذا عفتِ الصبابةُ وانقضى
ما بيننا أقبلت أسألهنَّ
وسألت عنك العمر ماضيه وحا
ضره فكان العمر أنتِ وهنَّ
والله ما غدَر الزمانُ وإنما
هانت عليكِ الذكرياتُ وهُنَّا!

* * *

يا زهرة عذراء تنشرُ عطرَها
وتذيعُ في جفن الضُّحى أحلامها
لاقيتُها والريحُ تجمعُ شملَها
والسُّحْبُ تجمع برقَها وغمامَها
عانقتها ظمآن أشربُ راحها
واستقطرتْ قلبي لتملأ جامَها
فإذا الرياح نزعنها عن خافقي
ضمَّت على أنفاسه أكمامَها

* * *

حلم كما لمع الشهابُ توارى
سدلت عليه يد الزمان ستارا
وحبيس شجوٍ في دمي أطلقته
متدفقاً ودعَوتُه أشعارا
ووديعة رجعت فما خطبي إذا
رُدَّ الذي كان الزمانُ أعارا؟!
قد كان قلباً فاستحال على المدى
لحناً تناقله الرواةُ فسارا!

* * *

يا حِصنيَ الغالي فقدتُكِ وانطوى
ركني وأقفر موئلي وملاذي
نعطي أخذ في الحديث ومقلتي
مسحورةٌ بجمالك الأخَّاذِ
والدهر يغريني فأُعرض لاهياً
فيظل يفتنُني بتلك وهذي
والدهر يَهزل والغرام يجدُّ بي
ما كنتِ ساخرة ولا أنا هاذي

* * *

هل كان عهذكِ قبل تشتيت النوى
إلا مخالسة الخيال الطارقِ؟
إشراقة وطغى عليها مَغرب
غيران يخطفها كخطف السارقِ
أو لمعةٌ لم تتشدْ ذهبتْ بها
دكناء مدَّتْ كفها من حالقِ
وكأن ثغرَك والنوى تعدو بنا
شفقٌ يلوحُ على نضيد زنابقِ

* * *

شفتاكِ في لجٍّ الخواطر لاحَتا
كالشاطئين وراءَ لُجٍّ ثائرِ
لهما إذا التقتا على أغرُودةٍ
خرساء في ظلِّ الجمالِ الساحرِ
إسعادُ ملهوفٍ ونجدةُ غارقٍ
وعناقُ أحبابٍ وعَودُ مسافرِ
وبراءةُ الملكِ المتوجِ حُسنه
بجمالِ رحمنٍ وطيبةِ غافرِ

* * *

صحب الحياة فآذه استصحابُها
ركبٌ على طرقِ الحياةِ كليلُ
خدعت ضلالاتُ الحياةِ تبيعَها
والدربُ وعرٌ والطريقُ طويل
فتلفّتَ الساري لعلّ لعينه
يبدو صباحٌ أو يلوحُ دليل
فبدا له نورٌ وأشرق منزلٌ
ألِقٌ ورفت جنةٌ وخميل

* * *

لكِ في خيالي روضةٌ فينانةٌ
غنّى على أغصانِها شاديها
يحمي مغارسَها ويرعى نبتها
راعٍ يجنّبُها البلى ويقيها
فإذا النوى طالت عليَّ وشفّني
جرحي وعاد لمهجتي يدميها
نسق الخيالُ زهورَها وورودَها
فقطفتُها وشممتُ عطرَكِ فيها!

* * *

بعض الهوى فيه الدمارُ وإنما
بعضُ النفوس على الدمار حراصُ
فيكون فيه القيد وهو تحرّر
ويكون فيه الموت وهو خلاصُ
آمنت بالحب القوي وحتمه
ما من هواي ولا هواكِ مناص
إن كان داء فالسقامُ دواؤه
أو كان ذنباً فالمآب قصاص!

* * *

أصبحتُ والدنيا وداع أحبَّةٍ
ودموع خلّان وحزن رفاقِ
فسخرْتُ من صرخاتِهم وبكائهم
لا دمع إلا الدمع في أحداقي
لا صوت إلا صوت حبك في دمي
أُصغي له وأراه في أطواقي
متدفقاً مثل العُباب ومزبداً
متفجراً كالسيل في أعماقي!

* * *

ساهراتُ أحلامَ الظلامِ وكلها
أشباحُ هجرٍ أو طيوف وداعِ
مرّت مواكبُه عليَّ بطيئةً
وإلى الفناء مشينَ جِدَّ سِراعِ
حتى إذا سَفكَ الصباحُ دماءَهُ
وهوى قتيلُ الليلِ بعد صِراعِ
أبصرتُ في المرآة آخرَ قصتي
ونَعى بها نفسي إليَّ الناعي!

* * *

يا ربِّ أرسلتَ الأشعَّةَ ها هنا
وهناك تشرقُ في الحمى والدُّورِ
ومن الشموسِ دفينةٌ في خاطري
مخبوءةُ الأضواء طيَّ شعوري
وأحِسُّ في نفسي نقاءَ سمائِها
أصفى برونقِها من البَلُّورِ
يا ربِّ أودعتَ الضحى في مهجتي
وأنا الذي أشقى بهذا النورِ!

* * *

خاطرة

نـارٌ مـن الـشـوقِ إثـرَ نـارْ
فـلا هـدوءٌ ولا قـرارْ
إنـك لـي مـبـدأ وَعَـوْدٌ
مـنـك إلـى صـدرك الـفِـرارْ
يـا مـرفـأ الـروحِ لا تـدعْني
بـلا دلـيـلٍ ولا مـنـارْ
مـوجٌ وريـحٌ وزحـفُ لـيـلٍ
فـمـن دمـارٍ إلـى دمـارْ
إن أنـت أخـلفـت وعـد حـبـي
لـم تـؤونـي فـي الـديـارِ دارْ
وليسَ لي في الهـوى اصـطبـار
ولـيـس لـي دونـك اخـتـيـارْ

ظلام

لا تقـلْ لي ذاك نجمٌ قـد خبـا
يـا فـؤادي كـلُّ شـيءٍ ذهـبـا
ذلـك الكـوكبُ قـد كـان لعيني
الـسـمـاواتِ وكـان الـشُّـهـبـا
هـذه الأنـوارُ مـا أضـيـعـهـا
صِـرْن في جنبي جـراحـاً وظبى
كلمـا أهـدت شعـاعـاً خـلَّفت
بـعـده سجنـاً ومـدَّت قُـضُـبـا

* * *

قلت أسلوكِ وكـم مـن طـعـنـةٍ
بـالـمُـداراة وبـالـوقـتِ تـهـونْ

فـإذا حـبُّـكِ يـطغى مُـزبـداً
كـدفـوق السيـل طُغيـان الجنـونْ
وكـذا تـمضي حيـاتي كـلهـا
بـيـن يـأس ورجـاء وظـنـونْ
مـا عـلى الهـجـر معـينٌ أبـداً
وعـلى النسيـان لا شـيء يُعيـنْ

* * *

ذلـك الحب الـذي فُـزت بـهِ
لا أبـالي فيـه ألـوان المـلامَـهْ
ذلـك الـشطُّ الـذي ذُقتُ بـه
بـعـد لُـجٍّ أمـنـاً وسـلامَـهْ
إنـه مـزّق قـلبـي قـسـوةً
وسقـاني المرَّ من كـاس الندامَهْ
صـار نـاراً ودمـاراً فـي دمـي
وصـراعـاً بـيـن قـلبٍ وكـرامَـهْ

* * *

ذلك الحب الذي علمني
أن أحبَّ الناس والدنيا جميعا
ذلـك الحب الـذي صـوَّر من
مُجـدِب القـفـر لعينيَّ ربيـعـا
إنـه بـصّـرني كـيف الـورى
هدموا من قـدسه الحصن المنيعا
وجـلا لي الكـونَ في أعمـاقـه
أعيُنـاً تـبكـي دمـاءً لا دمـوعـا

* * *

لـم تُعنيـني عـلى صـرف النـوى
آه لـو كنتِ على الـدهـرِ أعنتِ!

قــدرٌ نــكّس مـــنـي هــامــتـي
آذن الــدهــر بـبَـيــنٍ وأذِنــتِ
وعـجـيـبٌ أمــرُ حبٍّ لـم يَـهُـنْ
هــو لـو هــان على نفسي لهُنتِ
لـهفَ قـلبيّ لـهفــة لا تـنقـضـي
كنت دنيــاي جميعـاً كيف كنتِ؟

* * *

كنتِ في بــرجٍ من الــنــور على
قمــة شـاهقــة تغــزو السحــابـا
وأنــا مـــنــك فَــراشٌ ذائــبٌ
في لُجَين من رقيقِ الضــوءِ ذابا
فَــرِحٌ بــالــنــورِ والــنــارِ مــعــاً
طــارَ لـلقمَّــةِ مـحـمــومــاً وآبـا
آب مــن رحــلتِـهِ مــحــتــرقــاً
وهــو لا يـألــوكَ حبّاً وعتــابـا!

* * *

بــرئَتْ نفسي من الحـقــدِ ولم
أُخف ضغنــاً لـكِ بين العَبَــرات
إن يــومــاً واحــداً اســعــدنــي
جمــعَ الأفـراحَ طُــرّاً من شتـات
وهــو عمــرٌ كــامــلٌ عشتُ بــه
كــلُّ أعمــارِ الــورى مجتمعــات
لستُ أنســاكِ وقــد علمْـتِـنـي
كيف يحيــا رجـلٌ فــوق الحيــاة

* * *

افرحي ما شئتِ يــا روحي افرحي
أنشـدي مــا نقلتــه الـطيــرُ عني!

واغنمي نفح الصّبا وانتقلي
في الصِّبا الممراحِ من غصنٍ لغصن
وعلى أيْكِكِ ناغي كل من
مرَّ بالأيكِ ونادي كلَّ خِدْنِ
لن يُحبّوكِ كحبي! لن ترَيْ
ضاحكاً مثلي ولا حزناً كحزني!

* * *

يا كتاب الحُسنِ جَلَّت آيةٌ
من جمالٍ وكمالٍ وشباب
زعموا أنيَ قد خلّدْتُها
بأغانيَّ وألحاني العِذاب
ما أنا شادٍ ولكن قارئٌ
سوَراً من ذلك الحسنِ العُجاب
لم أزل أقرأ حتى سجدوا
وجعلتُ الخُلدَ عنوانَ الكتاب

* * *

يا ابنة الأصدافِ والبحرُ أبي
قبل أن يُلقي بي الموج هنا
سائلي الأعماق عن غوّاصها
أنا صيّادُ لآليها أنا!
إن هجَرْنا القاعَ والليلَ إلى
قممٍ شُمٍّ وعشنا في السَّنا
فبنا الأمواجُ والصخرُ وما
برِحَ العاصف في أعماقنا!

* * *

عاصفٌ عاتٍ تمنيت له
هدأةً أين له ما تطلبينْ

اسـألـي عـن مـقـلة مـخـلصـة
خبّـأت رسمـكِ في جفـن أميـنْ
سهـرتْ تـرعـاك مهـمـا لقيتْ
في سبيـل العهـد والـودِّ المكينْ
أقـسـمتْ لا تـسـأل الـنـومَ ولا
تـطلبُ الرحمةَ منه بعض حينْ!

* * *

بـعـدمـا غـوَّر نجـمـي ودلـيـلي
مـا مسيـري دون تـربٍ وخليـلِ؟
في طـريق الشـوكِ والصخـر وفي
شُعَب الإرهـاقِ والكـدِّ الـوبيـلِ
الـغـريـبـان عـليـهـا الـتـقـيـا
يستعينـان على الـدربِ الـطويـلِ
مـا انتفـاعي بحيـاتي بـعـدمـا
سـاقكِ التَّيَّـارُ في غيـرِ سبيلي؟

* * *

يـا لـجهـل اثـنيـن أقـدارهـمـا
آه يـا لـيتـهـمـا قـد عَـرَفـا!
مـا الـذي نصنـعُ بـالـعيش إذا
مـا صحـا القلبُ غـريبـاً وغفـا؟
مـا الـذي نصنـع بـالـعيش إذا
مـا الـسبـيـلان عليـه اختلفـا؟
مـا الـذي نصنـع بـالـعيش إذا
صـار تـذكـاراً فـأمسى أسفـا؟

* * *

عـنـدمـا تُقـفـرُ دارٌ مـن رفـاق
وتحسُّ السـمَّ في كـاسٍ وسـاقِ

عنــدمــا يكـشِف بـؤسٌ وجهــهُ
سـافِـرَ اللعنـةِ مفقــودَ الخـلاقِ
عنــدمــا تُمسي بـظلٍّ عــالـقــاً
وبخيط الــوهمِ مشـدودَ الــوثــاقِ
يــا فـؤادي انــظرْ وفـكـرْ وأفـقْ
أيُّ قيــدٍ لـكَ بــالأحبـابِ بــاقِ؟

* * *

كـلُّ جِـدٌّ عَبَثٌ والـدهـرُ ســاخـرْ
وخبيءُ الســر للعـينين ظــاهــرْ
أدَّعــي أنــي مــفــيــم وغــداً
ركبي المضنى إلى الصحراء سائرْ
عنـدمـا صــافحتُ خـانتني يــدي
ووشى خـافٍ من الأشجان سافـرْ
كــذَبَتْ كـفٌّ عــلى أطــرافـهــا
رِعشـةُ البعدِ وإحســاسُ المسافـرْ!

* * *

يــا ديــاراً يــومـهــا من شُـحُـبٍ
وغــيــوم وضــبــاب أُفــق غــدْ
كــل نـبـت عــبـقـريٍّ أطْـلعـتْ
جـعلت مـنـه طعــامــاً لـلحسَـدْ
أَخْلَفَ الميـثــاقُ مـن كــان بهــا
كــل آمــالــي فـلم يـبـقَ أحــدْ
ضــاع عــمــرٌ وحــصــاد وغــدا
من هشيم كــل مــا كنت أعِــدْ!

* * *

ثُم بنــا والكـون جهم كــالـدجى
نـتلمّسْ مـن جحـيـمٍ مـخـرجــا

وانــجُ مــنــه بــبــقــايــا رمَــقٍ
أو حــطام وقــلــيــلُ مَــنْ نــجــا
لا تُــدِرْ رأيــاً بــه أضْــيَــع مَــن
في لــظاهُ مستعينٌ بــالــحِجــا
واســألِ الــرحمنَ أن يُصْلحَ عهــ
ــداً كسيــحــاً وزمــانــاً أعــرجــا

* * *

عــشتُ وامــتــدَّتْ حــيــاتــي لأرى
في الثرى من كان قبلاً في القممْ
انــهــيــارُ الــمــثُــلِ الــعــلــيــا وإنـ
ـكــارُ آلاءٍ وكُــفــرٌ بــالــقِــيَــمْ
مَــن يكــنْ عَضَّ بــنــانــاً نــادمــاً
فــأنــا قــطَّعتُ إبــهــامَ الــنــدَم
وإذا انــحطَّ زمــانٌ لــم تــجــدْ
عــالــيــاً ذا رفــعــةٍ إلا الألــمْ!

* * *

ضِــحــكــةٌ ســاخــرةٌ هــازلــةٌ
وخــيــالٌ تــافــهٌ هــذي الحــيــاهْ
هــذه الأكــذوبــةُ الكبــرى الــتي
خُــدِعَ النــاسُ بهــا وا أسفــاه!
ذلَّ فــيهــا الــمــالُ والجــاهُ إلــى
أن غــدا أحقــرهــا مــال وجــاه
نــحمــدُ اللَّهَ عــلى أنّــا بــهــا
لــم نصُــنْ من ذِلــةٍ إلا الــجبــاه

* * *

عــبَثــاً أهــرُب مــن نفســي ومــن
ذلــك الــســاكن روحــي والبــدنْ

مـن لقـلبٍ مسـتــطار الـلُّبّ مَـن
كـلمـا عــاوده الـتـذكـارُ جُــنّ
أيـنمـا أمـضـي فـحـوْلي ذِكَـرٌ
وحـبـيـبٌ ومـكـانٌ وزمـنْ
وربـيـعٌ دائـمُ الـخـضـرةِ فـي
روضـةِ الـنفسِ وطـيـرٌ وفـنـنْ

* * *

قـصـةٌ خـالـدةٌ لا تـنـتـهـي
وهي مـا كـان لهـا يـومُ ابتـداءِ
أنـا لا أدري مـتـى كـان ولا
أين عـنـد اللّهِ أسـرارُ اللقـاءِ
حينمـا لاحَ شِهابٌ في سمـائي
أسـمـرُ الـنـورِ رفـيـعُ الخُـيَـلاءِ
عـبـقـريٌّ مُـوحشٌ مـنـفـردٌ
مـتـعـالٍ قَـلِقُ الأضـواءِ نـاءِ

* * *

هـو في الأفقِ بعيـدٌ وهـو دانِ
هـو لي نفسي وروحي وكيـاني
مخـطيءٌ من ظَنَّ أنّـا مُهـجتـانِ
مخـطيءٌ من ظَنَّ أنّـا تـوأمـانِ
هـو شـطْرُ النّفسِ لا تـوأمُـهـا
هـو منها هـو فيهـا كـل آنِ
نـحنُ نـبضٌ واحـدٌ! نـحـن دمٌ
واحـدٌ حتى الـردى متحـدانِ!

وحيد

إني على كـأسي أعيـد السنين
وأبعثُ الماضي البعيـدَ الـدفينْ
وحدي وقد أقسمتُ لن تعرفي
وما الذي يجديك لو تعرفينْ؟
وما الذي يُجدي طعينَ الهوى
لَمْسُكِ يا هندُ جراحَ الطعينْ
أصبحتُ لا أدري شربتُ الطلى
عند بكائي أم شربتُ الأنينْ

* * *

كم أزرع السّلوانَ في خاطري
وكيف ينمو في مَحيلٍ جديبْ؟
بالخمر أسقيه وفي مسمعي
إرنانُ باكٍ وتشاكي حبيبْ
الجامُ يبكي لوعةً ام أنا
جامي غريبٌ وفؤادي غريبْ
وا حيرتي تُرى أصُبُّ الطِّلى
أم أنني فيه أصبّ النحيبْ؟

* * *

يا إلفَ نفسي لم يكن هاهنا
همٌّ لإلفٍ وسلوٌّ هناكْ
لم يَجْرِ همسٌ لك في خاطرٍ
إلا جرى عندي كأني صداكْ
ولم أكن أعرفُ لي مدمعاً
إلا الذي تذرفُه مقلتاكْ
أصونُ حزني لك حتى اللقا
وأحبسُ الفرحَةَ حتى أراكْ

* * *

إن كنتُ غنّيتُ فإني الذي
وقفتُ ألحاني على سَرْحَتِك
حَبَستُ هذا الصوتَ لم ينطلقْ
إلا على حزنكِ أو فرحتِكْ
خمائلُ الروضِ بأعطارها
لم تَشْجَني إلاّ على نفحتِكْ
أنكرتُها طُرّاً ولم أعترفْ
إلاّ بطيبٍ جاء من جنّتكْ!

* * *

وَافرَحي اليومَ بحريَّتي
بأيِّ ليلٍ مدلهمٍّ أطير
رُدِّي على قلبي قيودَ الأسير
وذلك الصبحَ الوضيءَ المنيرْ
كم شُعَبٍ لاحتْ فلم تختلفْ
لأيِّها نغدو وأنّى نسيرْ
بعد سِني الأنوار خلّفتِ لي
جهم المساعي وخفِيَّ المصيرْ

* * *

علمتِ حالي؟ لا وحقِّ الذي
صيَّرني أشفق أن تعلمي
هيهات تدرين انطلاقَ الهوى
كجمرةٍ نضّاحةٍ بالدمِ
هيهات تدرين وإن خِلتِه
وثبَ الهوى الضاري وفتكَ الظمي
وصارخاً كبحتُه في فمي
وطاغياً كبّلتُه في دمي

* * *

لا أنت تــدرين ومــا مــن أحــدْ
بـــواصف حسنَكِ مهمــا اجتهــدْ
أو بــالـغٍ ســرٌّ الـذكــاءِ الــذي
يـكــادُ في لـحــظِكِ أن يتّقِــدْ
أو مــدرك عمق الـمعــاني التي
فـي لمحــةٍ عــابــرةٍ تـحـتـشــدْ
أو فــاهــم فن الـصـنــاع الــذي
أبـدع الاثنين : الحِجا والجسدْ

أطلال

يا من بواديهِ حَطَطْتُ الرحالْ
ورحَّبتْ بي وارفاتُ الظلالْ
بذلتَ أقصى ما يكون القِرى
وما تمنّى طامع من منالْ
بسطتَ كالآباد عمر المنى
لطامع في لحظاتٍ قِلالْ
بنيتُ محرابيَ لم أتخذْ
ديناً سوى حبّك في كل حالْ
أمهلْ فؤادي ساعة ريثما
أخلعُ عن عيني قِناعَ الخيالْ
أمهلْ فؤادي ساعةً ريثما
أخلعُ عن قلبي سرابَ الضلالْ
فهذه الصحراءُ عريانةٌ
ممتدَّةٌ خانقةٌ كالملالْ
خليعةُ الطبعِ على كُثبها
عربدةُ الريحِ وكفرُ الرمالْ
هيهات للقلب صلاة بها
ولا عليها معبد وابتهالْ
خلعتُ إيماني على شكِّها
وبدَّدتْه الساريات الثِّقالْ
نادتنيَ الصحراءُ وهْي التي
آدَتْ جحيمي في السنين الطوالْ
تُريد سرِّي إن سرِّي هنا
في مُغلقٍ أسرارُه لا تنالْ
قالت بهذا الصمت ما لم يُقلْ
وقلت بالزفرات ما لا يُقالْ

ذنبي

أيكون ذنبي أن رفعـ
ـتُك وارتفعت إلى السماء؟
وعلى جناحك أو جنا
حي قد رقيتُ إلى الصفاء
إن كان حقّاً أو خيالاً
فهو وَثْبٌ للضياء
وتحرُّرٌ مما جناه
طينُ آدم في الدماء
أيكون ذنبي أن جعلـ
ـتُكِ فوق عرش من سناء
وجثوت في محراب قُدْ
سِكِ عابداً هذا الرُّواء
أيكون ذنبي أنني
بك أحتمي من كل داء
وأراك عافيتي فأضْـ
ـرعُ طالباً منكِ الشفاء
أيكون ذنبي أن أرا
ك لخاطري قَبَساً أضاء
وأحسّ وحيَكِ من علٍ
لي دونَ أهل الأرض جاء
أيكون ذنبي أن يُنا
ط بك التعلُّل والرجاء
وإليك شكوى القلب نجـ
ـوى الروحِ أجمع والنداء
أيكون ذنبي أن أحـ
ـبّكِ لي من الدنيا وِقاء
فإذا رضيتِ فإن نعمـ
ـتَها ونقمتَها سواء؟

أيكون ذنبي.. أي ذنـ
ـب صار لي إلا الوفاءْ
إني عشقتكِ ما طلبـ
ـتُ على محبّتيَ الجزاءْ
مَن همُّه هَمّي سيحـ
ـمل من حبيبٍ ما يشاءْ
ولقد يُساءُ فما يرى
من حُبِّه أحداً أساءْ
قد كان عندي عزّه
بصبابتي ولي احتماءْ
إن لانَ عودي للخطو
ب شدَدتِ أزري باللقاءْ
أنسيتِ كيف نسيتِ يا
دنيا على الدنيا العفاءْ!
يا للهوى لا صَبح لي
ألإ هواكِ ولا مساءْ
أشوامخُ الأحلامِ والـ
ـمثُلُ الرفيعةُ كالهباءْ؟

الطائر الجريح

أيُّ جــوادٍ قــد كـبــا وأيُّ سـيـفٍ قــد نـبــا
تـعـجـبـتْ زازا وقــد حقٌّ لهــا أن تـعـجـبــا
لمــا رأتْ فيَّ شـحــو ب الشمس مالت مغربا
وهي التي زانت مشيـ ـبي بــأكـالـيــل الصِّبا
وهي التي قــد علّمتـ ـني حين ألقى النُّـوبـا
كيف أداري النابَ إن عضَ وأخفي المخلبـا
لاقـيتُـهـا أرقصُ بشـ ـراً وأغــنــي طــربــا
وهي التي تهتــك ستـ ـرَ القلب مهمـا انتقبا
لا مـغـلقــاً تـجـهــله يــومــاً ولا مُـغـيّـبــا
في فـطنةٍ تومضُ حتّـ ـى تستشفُّ مـا خبـا
رأتْ وراء الصدرِ طيراً قــلـقــاً مـضــطـربــا
في قفصٍ يحلمُ بالأفـ ـقِ فـيلقـى القُـضُـبــا
إنَّ زمــانــاً قــد عفـا وإنَّ عــمــراً ذهــبــا
وصيّرتْهُ طــارقــا تُ السقمِ وَقـراً متعبا
ورنّـقــتْ مـوردَهُ أنّى لـه أن يَعـذُبـا؟
إني امــرؤٌ عشت زمـا ني حــائــراً معـذّبــا
عشت زمــاني لا أرى لـخـافـقـي مـنـقـلبـا
مســافـراً لا قــوم لي مـبـتـعــداً مـغـتــربــا
مـشــاهــداً عَـلّيَ في مـســرحِــهِ أن ارقـبــا
روايــة مُــلّت كـمــا مُــلَّ الــزمــانُ ملعبــا
وظـامئـاً مهمــا تُتَـحْ مــواردُ أن أشــربــا
وجــائـعــاً لا زادَ في دنيــاي يشفي السغبــا
فــراشــة حــائـمــة على الجمــال والصبــا
تعــرَّضت فــاحـتــرقت أغـنيــة عـلـى الــربـى
تنــاثــرت وبـعـشــرت رمــادهــا ريــح الصَّبــا
أمشي بمصبــاحي وحيـ ـداً في الــريــاح متعبــا
امــشــي بــه وزيـتُــه كــاد بــه أن ينضبــا

وشد ما طال الصرا ... ع بيننا واحربا
ريحُ الحنايا تقتضيـ ... ـني نسماتي الخُلّبا
وليس بالأحداث فيـ ... ـما قيل أو ما كتبا
كالعمر والسقم إذا ... تحالفا واصطحبا
لولاك ما قلت لشي ... ء في الوجود مرحبا
ولم أجد ركناً غنيّـ ... ـاً بالحنانِ طيِّبا
أنتِ التي أقمت مر ... فوعَ البناءِ من هَبا
وإنني الصخرُ الذي ... أردتِ أن لا يُغلبا
ويضرب البحرُ عليـ ... ـه موجَه منتحبا
علمتِ يأسي وجنو ... ني وجهلتِ السببا
يا أملي إنك يأ ... سُ القلب مهما اقتربا
يا كوكباً مهما أكن ... من بُرجه مقرَّبا
فإنه يظل في السَّـ ... ـمْتِ البعيدِ كوكبا
وأين مني فلك ... قد عزّني مطَّلبا
ليس إلى خياله ... إلا السهاد مركبا
أستبطئُ الريحَ له ... وأستحثُّ الكتبا
ولو طريق حبّه ... علي القتاد والظُّبا
وقيل للقلب هنا المـ ... ـوتُ فعُدْ تسلم أبى
إني امرؤٌ عشتُ زما ... ني حائراً معذّبا
لا أحسِب الأيام فيـ ... ـه أو أعُدُّ الحِقبا
ضقتُ بها كيف بمن ... ضاق بها أن يَحسبا
تغيّرتْ واختلفتْ ... وسائلًا ومطلبا
وارتفعتْ وانخفضتْ ... طرائقاً ومأربا
سلوت على الحالين حُمْـ ... ـلاناً بها وأذؤُبا
وشاكلتْ لناظري ... سهولَها والهُضُبا
دخلتها غِرّاً وعد ... ت فانياً مجرِّبا
لا أسأل الأيام عن ... أعمالها معَقِّبا
إن كان هذا الدهر فيـ ... ـما جرَّه قد أذنبا
فإنه تاب وأدَّ ... ى وعدَهُ المرتقبا

لقـاكِ مـاحٍ للذنـو ب كيف لي أن أعتبا
ضممتُ عطفَيْك غدا ة الروع أبغي مهربا
كم خفتُ من أن تذهبي وخفتِ من أن أذهبا
كـأن طفـلاً خـائفـاً في أضلعي حلَّ الحُبى
يضرب ما اسْتطاع على جدرانها أن يضربا
يكـافـحُ الأمـواجَ أو يصـرعُ جيشـاً لجبـا
إن بَعُـد الشطُّ فقـد آن لـه أن يـقـرُبـا
أنتِ الحيـاةُ والنجـا ةُ والأمـانُ المجتبى

القمة

يـا أيُّها العـالي الغفـورُ الصفـوحْ
هـل ترحم القمَّـةُ ضعْف السُّفـوحْ
تـاجُـك في النـور غـريقٌ وفي
عـرشـك غبِّي كـل نجمٍ صَـدُوحْ
وأيـن هـامـات الـربى نُكِّسَتْ
من هـامـةٍ فـوق مُنيفِ الصُّـروحْ؟
وأيـن أوراقٌ خـريـفـيّـةٌ
أرْجَحَهـا الشـكُّ فمـا تستريـحْ
مـن بـاسـقٍ راسٍ بـه خـضـرَةٌ
ثـابتـةُ الـرأي على كـل ريـحْ
بَـرِئْتَ من هـذي الـوهـادِ التي
نَغْـدُو على أنّـاتِهـا أو نـروحْ
وأيـن فـي مـبـتـسـمـات الـذرى
برق الأماني من وميض الجـروحْ؟
أصغ لهذي الأرضِ واسمعْ لما
تشكـو، لمن غيـرك يـومـاً تبـوحْ؟

تطفو على طوفان آلامها
وأين في آلامها فُلْكُ نوح
أروع شيء صامت في العُلى
أفصح مفْضٍ بالبيان الصريحْ
يعيِّر الأرضَ إذا أظلمتْ
بما على مفرقِه من وضوح
هل تسخرُ الحكمةُ مما بنا
من نزواتٍ وعنانٍ جَموحْ
حمْقى، قُصارى كل غاياتنا
عزمٌ مَهيضٌ وجناحٌ كسيحْ
أُعيذ عدل الحقِّ من ظلمنا
فكم على القِيعان نسْر جريحْ
ونازح من قِممٍ في علٍ
أوطانه كل سموق طروحْ
أنت له كل الحِمى المرتجى
وكلُّ مبغاه إليك النزوحْ
ما النسر إلا راهبٌ في العُلى
محرابُه وجهُ السماءِ الصبيحْ
وقلبها السَّمْح فما حطَّه
على الثرى الجهم الدميمِ الشحيحْ
على الثرى حيث تسابيحُه
نوح الحزانى ونداء القروحْ
مبتهلٌ باك بدمع الأسى
على الليالي وسقيم طريحْ
ما أتعس الأرضَ بعُبَّادها
تبْهجُ من أخلاطِهم ما تُبيحْ
قد أنكرَ الهيكلُ زوَّارَه
وأصبح الديرُ غريبَ المُسوحْ
لم يعرف الجسمُ خلاصاً به
من كدرةِ الطين ولم تنجُ روحْ

يـا سيِّـد القـمّـةِ أنصِـتْ لـنـا
لا يعــرفُ الأشفـاقَ قلبٌ مُشيــخْ
وانــظرْ إلى السِّكين فـي سـاحــةٍ
قـد زمجـرتْ فيهـا دمـاء الـذَّبيـخْ
واسكبْ نَــدَى الحبِّ بـأفــواهِنــا
كـم مـن بَـكِـيٍّ وظَـمِـيٍّ طـليــحْ
فــربـمــا يُشــرقُ بـعــد الضّــنى
وجــهٌ مــليــح وزمــانٌ مــليــحْ!

أيها الغائب

أيهـا الغــائبُ العــزيــزُ الـنــائي
فَسَــدَتْ ليلتي وضــاع هـنــائي
قَمَــري أنت ليس لي منك بــدٌّ
في اعتكــار السحــائبِ السّــوداءِ
هــذه الشُّــرْفــةُ التي جمـعتـنــا
يــا حبيبي بــوجـهِــك الــوضّــاءِ
ســألتْ عنــك فــالتفـتُّ إليـهــا
وبـنـفــســي كــوامــنُ الـبُــرَحَــاءِ
قــائـلاً صَــهْ! بـاللّهِ لا تسـأليني
فكــلانــا من دونِـهــا في عـنــاءِ
أين ذاك الوجهُ الـذي يُرسـلُ النو
رَ ويُــوحِي إشـراقُــه بــالصّفــاءِ؟

أين غد

يـا قـاسيَ البعـدِ كيف تبتعـدُ
إنـي غـريـبُ الـفـؤادِ مـنـفـردُ
إن خـانني اليوم فيك قلت غـداً
وأيـن مـنـي ومـن لـقـاكَ غـدُ؟
إن غـداً هـوَّةٌ لـنـاظـرهـا
تكـاد فيـهـا الـظنـونُ تـرتعـدُ
أُطـلُّ فـي عـمـقـهـا أُسـائـلـهـا
أفـيـك أخـفـى خـيـالـه الأبـدُ؟
يا لامسِ الجرحِ ما الذي صنعتْ
بـه شـفـاهٌ رحـيـمـةٌ ويـدُ؟
مـلء ضلوعي لـظىً وأعـجـبـه
أنـي بـهـذا الـلـهـيـبِ أبـتـردُ
يـا تـاركي حيث كـان مجلُسنـا
وحيـث غـنّـاك قلبـيَ الـغـردُ
أرنـو إلى النـاسِ في جمـوعهمُ
أشقتهمُ الـحـادثـاتُ أم سعِـدوا
تفـرقـوا أم همُ بهـا احتـشـدوا
وغـوَّروا في الـوهـادِ أم صعـدوا؟
إنـي غـريبٌ تـعـال يـا سكـني
فليس لي فـي زحـامهـم أحـدُ!

شك

تَشُكِّين في حبِّي؟ لـك الحقُّ إنني
جـديرٌ بهـذا الظُّلم والـريبِ والشّـكِّ
خليقٌ بـأن تَنْسي هـوايَ فتنـطوي
سعـادةُ أيـامي التي ذُقْتُهـا منـكِ
إذا أنـا لم أذْكـرْكِ في كـل لحظةٍ
وقصّـرتُ لم أسألْ ثـوانِيَهَـا عنـكِ
إذا أنـا لم أبْـذُلْ شجـايَ وعبْـرَتي
على كل وقتٍ ضائعٍ كنتُ لا أبكي
فـلا حبَّ عنـدي أستلذُّ بـه الجـوى
بما فيه من سقمٍ وما فيهِ من ضنكِ
أليـلايَ حُبِّي فيـك حُبٌّ مُـوَحِّـد
تَنـزَّهَ عن ريبٍ وجـلَّ عن الشِّـركِ
تـبقـى بقـاء الـقلب ينبضُ دائـمـاً
ولـيس لـسلوانٍ ولـيس إلـى تـركِ

ليلة

وليلة بـات من أهـوى ينـادمني
مـا كـان أجمله عنـدي وأجملها
بتنـا على آيـة من حسنـه عجَبٍ
كتـابـه من خفـايـا الخلدِ أنـزلهـا
إذا تسـاءلتَ عمّا خلْف أسطرهـا
رنـا إلـيَّ بعـينـيـه فـأوَّلـهـا
مصـوِّبـاً سهمـه مُستشـرقـاً كبـدي
مستهـدفاً مـا يشاء الفتـك مقلتهـا

يا للشهيدة لم تعلم بمصرعها
ما كان أظلم عمنيه وأجهلها
حتى إذا لم يدَعْ منها سوى رمق
عدا على الرمق الباقي فجندلها
وصدَّ عنها وخلّاها وقد دميَتْ
في قبضةِ الموتِ غشّاها وظللها
وحان من ليلة التوديعِ آخرها
وكان ذاك التلاقي الحلو أوّلها
ضممْتها لجراحاتي التي سلفتْ
إلى قديمِ خطايا قد غفرتُ لها!

في الباخرة

أحبُّ أجلْ أحبُّ كأن نبعاً
سماويّاً تفجّر في دمائي
لقد طاب الوجودُ بحالتيه
شقائي فيك أجمل من هنائي
وليلي فيك أحسن من نهاري
وصبحي فيك أجمل من مسائي
فمفترقان فيه إلى لقاء
وملتقيان حتى في التنائي
أميمةُ إن عمرَ الحبِّ حقاً
لأعجب آية تحت السماءِ
فما أدري لأيهما ثنائي
ثوانيه السِّراع أم البطاءِ
أهذا الحلم يمضي شبه لمحٍ
أم الأبدُ المديدُ بلا انتهاءِ؟

أتفكيري هناك أم انتظاري
لأروعِ هالةٍ حولَ البهاءِ
وأزهى من تثنّى في حُليٍّ
وأبهج من تهادى في رداءِ
وأسنى من تخطّر في دلالٍ
وأطهر من تعثرَ في حياءِ
سيذكر ملتقانا النيلُ يوماً
غداة تُعَدُّ أيامَ الصفاءِ
وحيدٌ غير أني في زحامٍ
من الآمالِ تترى والرجاءِ
إلى أن لاح عرشُ النور مني
قريباً والهلالُ إلى اعتلاءِ
فمؤتلقٌ على أفقٍ بعيدٍ
ومنعكس على فضيٍّ ماءِ
كذلك أنت في فكري وروحي
سناك مع الهلال على سواءِ
وطيفٌ عبقر في خيالي
وحيد الذات مختلف الرُّواءِ!

سر بي

أحبك فوق ما عشقتْ قلوبٌ
ولا أدري الذي من بعدِ حبي
وأعلم أن كُلّي فيك فانٍ
وعيني فيك ذائبةٌ وقلبي
وأعلم أن عندك من يُنادي
خفيّاً هاتفاً وأنا الملبي

وأعلم أن حبي ليس يشفى
وبعدي ليس يُجديني وقربي
ولما لم أجدْ للحبِّ حلاّ
هتفتُ به كما يرضيك سِر بي!
وخذني حيث هند لا تسلني
لأية غايةٍ ولأيِّ دربِ!

الفراق

يا ساعة الحسراتِ والعبراتِ
أعَصَفتِ أم عصف الهوى بحياتي؟
ما مهربي ملأ الجحيم مسالكي
وطغى على سُبُلي وسدّ جهاتي
من أي حصنٍ قد نزعت كوامناً
من أدمعي استعصمن خلف ثباتي
حطّمتُ من جبروتهن فقلن لي
أزِفَ الفراقُ فقلت ويحكِ هاتي!

* * *

أأموت ظمآناً وثغركِ جدولي
وأبيتُ أشربُ لهفتي وولوعي
جفّت على شفتي الحياةُ وحلمها
وخيالها من ذلك الينبوعِ
قد هدّني جزعي عليك وادّعي
أني غداة البَين غير جَزوعِ
وأريد أُشبِعُ ناظريَّ فأنثني
كي أستبينَك من خلالِ دموعي!

* * *

هـان الـردى لـو أن قلبـك دارِ
أأمـوتُ مغتـربـاً وصـدرك داري؟
يـا من رفعتِ بنـاءَ نفْسي شـاهقـاً
متـهـلّلَ الجـنبـاتِ بـالأنـوارِ
اليـوم لي روحٌ كـظلٍّ شـاحـبٍ
في هيكـلٍ متـخـاذلِ الأسـوارِ
لو في الضلوع أجلتِ عينكِ أبصرتْ
مُـنهـارة تبـكـي عـلى مـنـهـارِ!

* * *

لا تسـألي عن ليل أمسِ وخـطبِهِ
وخـذي جـوابَـكِ من شقيٍّ واجمِ
طـالت مسـافتُـه عليّ كـأنهـا
أبـدٌ غليظ القلب ليس بـراحـمِ
وكـأنني طفـلٌ بهـا وخـواطـري
أرجـوحـة في لجّهـا المتـلاطمِ
عـانيتُهـا والليـل لعنـةُ كـافـرٍ
وطـويتُهـا والصبـحُ دمعـةُ نـادمِ

ليلة العيد

اليـوم منك عـرفت سر وجـودي
وعـرفت من معنـاك معنى العيـدِ
مـا كنت بـالفـاني وسـرُّك حـافـظي
وبـمقـلتيـكِ ضـمِنْتُ كـل خلودي
الآن أعـرفُ مـا الحيـاة وطيبُـهـا
وأقـول لـلأيّـامِ طبتِ فـعـودي!
عـاد الـربيـعُ على يـديـكِ وأشـرقتْ
روحي وأورقَ في ربيعِـك عـودي!

كذب السراب

الـبـحـر أسـألُـهُ ويـسـألـنـي
مـا فـيـه مـن ريٌّ لـظامئـهِ
مـتـمـرِّدٌ عـاتٍ يـضـللنـي
كـذِبُ السَّرابِ على شـواطئِهِ

* * *

كم جـال في وهـمي فـأرّقـني
أربٌ وأيـن الـفـوز بـالأربِ؟
وسـرى بـأحـلامي فعـلّقـهـا
فـوق السُّهى بلوامـعِ الشهـبِ

* * *

في يـقـظةٍ مـني وفـي وسـنٍ
صَـرْحٌ بـذروتِـهـنّ مـتّـحـدِ
الفجـرُ والسحـرُ المخضّبُ من
لَـبِـنـاتِـهِ والـقـمـةُ الأبـدِ

* * *

واهـاً لـضـافي الـظلّ وارفِـهِ
قضّيتُ عمـري في تـوهّمِـهِ
لـمـا طلعتُ على مـشـارفِـهِ
أيـقـنـتُ أني فـوق سُـلّمِـهِ

* * *

ومن العجائب في الهوى اثنان
لـم يضـربـا لـلحبِّ مـيعـادا
ومـحـيِّـرُ الأفـهـامِ لـحـظان
قَـرآ كـتـابَـهـمـا ومـا كـادا

* * *

سـارا فمـذ وقف الهـوى وقفـا
يـتبـادلان الـشـوقَ والشـغـفـا
عـرف الهـوى أمـراً ومـا عـرفـا
مَن ذلـك الـداعي الـذي هتفـا

* * *

قَـدَرٌ عـلى قـدرٍ تـلاقِـيـنـا
كـلُّ الـذي أدري وتـدريـنـا
أنّـا أطـعـنـاهُ مُـلَبِّـيـنـا
من أنت؟ من أنـا؟ من يُنَبِّينا؟!

أنت

إن كـنـتِ عـارفـةً وواثـقـةً
وبـعمـق هـذا الـحبِّ آمـنـتِ
فـثـقـي بـأنـكِ قِـبْـلتي أبـداً
وصـلاةُ روحـي حيثمـا كـنـتِ

إن كان لي في الدهر أمنيةٌ
مَنشودةٌ أمنيَّتي أنتْ

قيثارة الألم

إن حان لحنُ الختامْ
صار النشيدُ دعاءْ
مرّ الهوى في سلامْ
فلنفترق أصدقاءْ
سرٌّ وراء الظنونْ
أظلّني وأضاءْ
لم أدرِ ماذا يكونْ
ولم أسَلْ كيف جاءْ

* * *

ما بين ضحكِ الرياحْ
وقهقهات الغيوبْ،
ولّى خيالٌ وراحْ
وحلّ ظلٌّ غريبْ

* * *

يا ذنبُ فات المتابُ
لما تحطّمَ صرحي
ما لي عليها عتابُ
إني أعاتبُ جرحي

* * *

وهذه قيثارتي
ذاتُ الشجى والأنينْ

وهـذه أوتـاري
أصـرتِ لا تـطربـينْ؟

* * *

يـا كـم شـدوتُ بـلحـنـي
مـا بـين حـزنـي ودمـعـي
مـا بـالـه طـيٌّ أذنـي
لـكنْ غـريـبـاً لسـمـعـي

حلم الغرام

لا حـبَّ إلا حـيث حبـلٌ ولا أرى
لي غيـر ذلـك مـوطنـاً ومقـامـا
وطـني عـلى طـول الـليـالـي دارهُ
مهمـا نـأى وهـواي حيث أقـامـا
والأرضُ حين تـضمُّـنـا مـأهـولـةٌ
لـحـظاتُـهـا مـعـمـورةٌ أيّـامـا
لا فـرق بين شَمـالِهـا وجنـوبِهـا
فـهمـا لـقلبي يحـمـلان سـلامـا
وهمـا لعـهـدي حـافـظان وقلّمـا
حفظ الـزمـانُ لمـهجـتيـن ذمـامـا
وإذا بكيـتُ فقـد بـكيـتُ مخـافـةً
من أن يكـون غـرامُـنـا أحـلامـا
ولـربـمـا خـطرَ النّـوى فـبكـيتُـهُ
من قبـل أن يـأتي البعـادُ سجـامـا

ثلاث سنين

ثـلاث سـنيـن أم ثـلاث لـيـالِ
هي البـرق أم مرَّتْ كلمحِ خيالِ؟
ومـا كان هـذا العمـرُ إلا صحـائفاً
تـلاشتْ ظـلالاً رُحْن إثـر ظـلالِ
ومـا كـان إلا أمس لـقيـاك إنـه
لأثبتُ مـا خطّ الـزمهانُ ببـالي
ومـا العمـر إلا أنت والحب والمنى
ومـا كان بـاقي العمر غيرَ ضـلال!

عدنا وعدت

عُـدنا وعـدتِ وعـادتْ إن الـحـظوظَ أرادتْ
وبـالعجـائب جـاءتْ ومـا بـذاك غـريبَـهْ

* * *

إن الغـريبَ التنـائي فـإن فيـه شـقـائي
وإن أردت دوائـي داوي الهـوى ولهيبـه

* * *

أنت المـنى والـعبـادهْ وليس عنـدي زيـادَهْ
يـا هند هـذي شهـادَهْ لـو أنـهـا مـطلوبَـهْ

* * *

وأنـت مني كـنفـسي هـواك يـومي وأمسـي
وأنتِ جهـري وهمسي صـديقـةً وحـبـيبَـهْ

المقعد الخالي

همٌّ أناخ فمـرّ انجلى
وخلا مكانُك ـ لا خلا!
ليل الحياة وكان ليـ
ـلي في الهواجسِ أطولا
كم لحظةٍ في الصدر نا
شبةٍ كجزّازِ الكلا
كالرّمْسِ فارغةٍ وإن
حفلت بإيجاشِ البلى
في إثر أخرى لم تكن
إلا كجرداءِ الفلا
بَرَّحْنَ بي من وحشةٍ
وقتلتهُن تململا
وجُنِنّ من قلقي عليـ
ـك وكيف لي أن أعقلا؟
قد رِشْنَ لي سهماً يحا
ول من يقيني مقتلا
فتعرّض الماضي الجميـ
ـلُ بوجهِهِ متهللا
فلوى عناني فالتفـ
ـتُّ فلم أجد لي مَوئلا
إلا دروع اليأسِ إنّ
اليأسَ أيسرَ محمِلا
يقتادني فأردُّهُ
عن خاطري وأقول لا!
يا هندُ إن يكُ قلبُك الـ
ـوافي تغيّرَ أو سلا
وحصدتُ آمالي فإنّ
الموتَ أرحمُ منجلا

رحلة

نقلتُ حيـاتي والحيـاة بنـا تجـري
من الحلمِ المعسـولِ للواقعِ المرِّ
فيـا منتهى فنّي إلى منتهى الهـوى
على ذروةٍ بيضـاءَ في النور والـطهرِ
عـرفتـك عـرفـان السمـاء ولـم تكنْ
سوى همسات النجم ما جال في صدري
وغامت خطوطُ السفحِ حتى نسيتها
وحتى توارى السفح من عالم الذكر
وفي القممِ الشّمّـاءِ حلّقتُ حـائمـاً
وأنبتَ فِي أعلى شـواهقهـا وكـري
ولـم يبـقَ إلا أنت والـجنّـةُ الـتي
زرعنـا وكلّلنـا بيـانعـة الـزهـر
ولم يبـقَ إلا أنت والـنسمـةُ التي
تهبُّ من الفـردوسِ مسكيَّةَ النشـر
ولم يبـقَ إلا أنت والـزورقُ الـذي
تـرنّـحَ منسـاباً على صفحـة النهرِ
فيـا منتهى مجدي إلى منتهى الغنى
غنىَ الروحِ بعد الضّنكِ والذلِّ والفقرِ
أعيـذك أن أغـدو على صخـرة لَقىً
وكنتِ مِجَنّي في مقـارعـةِ الصخـرِ
أعيـذك بعد التـاجِ والعرشِ والـذي
تـألّقَ من مـاسٍ وشعشـع من تبرِ
أعيـذك من ردّي إلى سَفـهِ الثـرى
وحِـطّتِـه بين الأكـاذيـبِ والغـدرِ
أعيـذكِ أن تنسي ومن بـات نـاسيـاً
هـواه فـأحـرى بـالنهى عقم الفكـرِ
فيـا ا ا اك، من حلمٍ عجيب ورحـلةٍ
تعدَّتْ نطاقُ الحلمِ لـلأنجمِ الزُّهـرِ

ويـا لـك من يـوم غـريب وليلةٍ
عَفتْ وغفتْ عن ظلم روحين في أسر
ويـا لـك من ركن خَفِيٍّ وعـالـمٍ
خَفِيٍّ غـنيٍّ بـالـمفـاتـنِ والسـحـرِ
ويـا لـك من أفقٍ مـديـد ومـولـد
جـديـد لقلبينـا ويـا لـك من فجـرِ
عـرفتـك عـرفـان الحيـاة أحسّهـا
وأبصـرَها من كـان يخطو إلى القبـرِ
عـرفتـك عـرفـان النهـار لمقلةٍ
مخضّبةِ الأحلام حـالكـةِ الـذعـرِ
رأت بـك روحَ الفجـرِ حين تبيّنتْ
بيـاضَ الأمـاني في أشعّتِـهِ الحُمـرِ
بيَ الجرحُ جرحُ الكونِ من قبل آدمٍ
تغلغلَ في الأرواحِ يَدْمي ويستشري
تـولّتـهُ بـالإحسـانِ كفٌّ كـريمـةٌ
مقـدّسـةُ الحسنى مبـاركـةُ السـرِّ
فـإن عدتُ وحـدي بعد رحلتِنـا معاً
شريداً على الدنيا ذليلاً على الدهـرِ
رجعت بجـرحي فـاغـرَ الفمِ دامياً
أداريـه في صمتٍ وما أحـد يـدري
هـو العيشُ فيه الصبرُ كاليـأس تارةً
إذا انهـارتِ الآمالُ واليـأسُ كالصبـرِ
عـرفتكِ كـالمحـرابِ قـدسـاً وروعـةً
وكنتِ صلاةَ القلب في السرِّ والجهرِ
وقـد كان قيـدي قيـدَ حبِّـكِ وحـدَهُ
أنـا المرءُ لم أخضـعْ لنهيٍ ولا أمرِ
وأعجبُ شيء في الهوى قيدُكِ الذي
رضيتُ بـه صِنْـواً لإيمـاني الحـرِّ
بَـرِمْتُ بأوضـاعِ الورى كـل أمـرهمْ
وسيلةُ محتـاجٍ ومسعـاةُ مضـطرٍّ

برمتُ بأوضاعِ الورى ليس بينهمْ
وشائج لم توصَلْ لغايٍ ولا أمرِ
إذا كان ما استنُّوا وما شرعوا القِلى
فذلك شرعُ الطين والحمَإِ المَزرى
تمرّدتُ لا أُلوي على ما تعوّدوا
ونفسي بهذا الشرع عارمةُ الكفرِ
وهبْ ملَكي الغالي الكريمَ وحارسي
تخلى فما عذرُ الوفاءِ وما عذري؟
عشقتُكِ لا أدري لحبيَ مبدءاً
ولا منتهى حسْبي بحبِّكِ أن أدري
إذا شئتِ هجراناً فما أتعس المدى
من النورِ للّيلِ المخيِّمِ للحشرِ!

شعرة

وشعرةٍ خطفتُها كأنني قطفتُها
ملكتُ ملكَ الدهر وحـ ـدي حينما ملكتُها
إذا الرياحُ نازعتـ ـني أمرَها ضممتُها
بقبضتيَّ خائفاً إذا اعتدتْ رددتُها
وفي مكانٍ ليس في بالٍ جَرى خَبأتُها
خبأتُها حيث إذا جُنَّ الهوى رأيتُها
حبستُها قرب عيو ني إن أشَأْ نظرتُها
كأنما في بصري ومقلتي أخفيتُها
هذي لديَّ صورةٌ من حالنا جلوتُها
أنت كهذي الشعرة السـ ـمراء مذ عرفتُها
أقسم بالحب وها تيك السنين عشتُها
كأنني في جنّة الـ ـفردوسِ قد قضيتها

يوم الجمعة

أصبحتُ يوم الجمعه ذا غربة ما أضيعهْ!
منفرداً لا خلٌّ لي وأينَ مَنْ قلبي معهْ؟
ضاقت بي الأرضُ فما في فُسحة الكون سَعَةْ
أقطع يومي مُبْطئاً كأنني لن أقطعَهْ
إني امرؤٌ يُفضي إلى أزمانه المرقَّعَهْ
يَلُمُّ من شتاتها بجهده ما وَسِعَهْ
فلا يصيبُ غير ما روَّعَهُ وفزَّعَهْ
ولا يُصيبُ غير ما أمَلَّهُ وصدَّعهْ
يا هند من يُعيد لي آماليَ المزعزَعَهْ؟
وإنّ يوماً واحداً حِبالُه مُقطّعهْ
فكيف لو مرّ بنا ثلاثةٌ أو أربعهْ؟
قلبي خلا من نسمةٍ مشرقةٍ مُرَصّعهْ
طالَعَهُ اليوم بها كأنه قد ودَّعهْ
إن عاشه دونك يا هند تمنّى مصرعهْ

تعلة

هكذا كلُّ جميلهْ ليس لي في الغدر حيلهْ
أنْجُ منها وامضِ عنها أخذتْ قلبكَ غيلهْ
بعد هاتيك الليا لي المطمئنّات الظليلهْ
بخلت ليلاك حتى بالتعلّات القليلهْ
لم تدَعْ للقلب من طو ل التباريح وسيلهْ
لم تدع للقلب ما يشـ ـفي من الوجد غليلهْ
لم تدع إلا رفيفاً من نسيمٍ في خميلهْ
وخيالاتٍ يُداوي طيفُها نفسي العليلهْ
والرسالاتِ اللواتي والأكاذيبَ النّبيلهْ

من لي؟

أناشدك الهوى هل أنتِ مثلي
نهاري فيكِ أشجانٌ وليلي
زمانٌ لا يفارقني عذابي
ولازمني الشقاءُ به كظلّي
كأن الليلَ أصبح لي مداداً
أسطّر منه آلامي ويُملي
حياتي فيه قفرٌ بعد قفر
وعمري فيه كالأبدِ المُملّ
أبعد جوار هندٍ والأماني
أكابد جيرةَ النجمِ المُطلّ
أحبكِ لا أملُّ لقاكِ يوماً
ومن لي بالذي يُدنيكِ من لي؟
أحبكِ لست أدري سرَّ حبي
وعلمي فيه أشقاني كجهلي
أقول لعلّ هذا الدهرَ يصفو
ويا أسفاه لو تُغني لعلّي
أحاول سلوةً وأرى الليالي
بغيرِ هواكِ لي هيهات تُسلي

في لبنان

قلبٌ تقسّم بين الوجدِ والألمِ
هل عند لبنانَ نجوى النيلِ والهرمِ؟
أشكو جوايَ إلى الروحِ التي احتضنتْ
ناري وضمّتْ إلى أسقامِها سقمي
وقاسمتني الهوى حتى إذا رحلتْ
ألقت فؤاديْ بضنكِ غيرِ مقتسمِ

ميثاقُنا أسطرٌ من مدمعٍ ودمٍ
يا طاهر النفحة اذكرْ طاهرَ القَسمِ
يا من أعاتب دهري إذ أودِّعُهُ
وما عتابي على الأقدارِ والقسمِ
إنّ النوى غربَتُهُ وهي عالمةٌ
أني رجعتُ أُداري النارَ بالضرمِ
ورنّحتْ بعده خطوي وما عرفت
من عثرة الحظِّ أم من عثرةِ القدمِ
خَلَتْ وران عليها الصمتُ وانقلبتْ
كأنما لَفّها ثوبٌ من العدمِ
بالله أيامَنا هل فيكِ منتَفعٌ
ونحن من سَأمٍ نمشي إلى سَأمٍ؟
وما أُرقِّع ثوباً فيك منخرقاً
لكن أرقِّعُ جُرحاً غيرَ ملتئمِ

في شم النسيم

أنت يا من جعلت روض حياتي
مهدَ وردٍ إليكِ وردكِ رُدّا
آيةُ الورد أنه نفحةٌ منـ
ـكِ ومن عطركِ العبيرَ استمدّا
هذه باقةٌ من الورد تجثو
مَلكٌ في الرياض أصبح عبدا
يا جمال الجمال من خلّد الحسـ
ـن جميعاً في نظرةٍ منك تَنْدى؟
يا صباح الصباح من يَمْلكُ الأضـ
ـواء وصفاً أو الفرائد عَدّا؟
ليس بدعاً يا وردة العمر أن كا
نت لمغناك وردة الروض تُهدى

لا تـظني ورداً يكـافـيء ورداً
أنـت أغلى حسـنـاً وأكـرم وردا
غيـر أني وإن عجـزت عن التقـ
ـدير حاولت مـا تمكّنتُ جهـدا
بـاعـثـاً لـلوفـاء ورداً ولـلقـلـ
ـب إلى أعـمـق الـسـرائـر ودّا
وإلى العيـد أنت عيـدٌ لأيّـا
مي جميعـاً أنت الحبيبُ المُفـدّى

في العيد

أفْـديْ نـهـاراً طـلعـتِ فـيـه
نـجمَ جـمـالٍ ونـجمَ سـعـدِ
إنـي لـهـذي الـعـيـونِ عبـدٌ
والـدهـرُ إمـا رضيتِـ عبـدي
إن كـان عـيـدٌ بـه وورد
فـأنـت عيـدي وأنـت وردي
يـا خير من مـرَّ في وجـودي
إنـك كـلُّ الـوجـودِ عنـدي
عـنـدي خـفـيٌّ من الأمـانـي
أضعـافَ مـا جئتُ فيـه أبـدي
مـعـذرةً في الـقـليـل إنـي
والله أعيـا الكـثيـر جُـهـدي
يـا فتـنـتي والـهـوى ديـونٌ
حـسـبـيَ أنـي لـه أؤدّي
ما أنت من أنت هل مجيبٌ
على سؤالٍ بغير ردّي
لـم يـخـلق الله مـن جـمـالٍ
يـلقُّـه فـي سَـنِـيٍّ بُـردِ

حسنٌ قُصاراه من شفاءٍ
عطرُ ثناءٍ وطيْبُ حمد
ويخلق الله معجزاتٍ
يجمعها كلّها بفردِ
بسحر عينيكِ كيد باغٍ
وسحر عينيك للتحدّي...

رثاء كلب صغير

قالت «لميكي» سِرْ بنا نمشي لحاجتنا الهُوَيْنى
فأطاع مسروراً كعا دته ولم يسأل لأيْنا

* * *

فيم السؤال وكل شيءٍ طيِّبٌ من أجلها
وبنفسه حبٌّ قُصاراه الحياةُ بظلها

* * *

ماذا تغيّر عزّة أو ذلّة في حبها
سارت وكلٌّ متاعِهِ في أن يسير بقربها

* * *

يستاف نعلَيْها ويأ بى في الوجودِ مُنافسا
فإذا تخيّل دانياً من تربها أو لامسا
يختال مِلْءَ نُباحِهِ زَهْواً ويخطرُ حارسا!

* * *

عجباً له ولزهوه ما يصنع الواهي الصغيرْ؟
ما يصنع النابُ الضعيـ ـفُ وما يُخيفُ ولا يُجيرْ؟

* * *

لكنّ «ميكي» لا يبا لي أن يموت فداءها
في وثبه هيهات يسـ ـأل ما يكون وراءها

* * *

الأمـرُ كـلُّ الأمـر أن يـغـدو يـدافـع دونهـا
والنفس تُنكـر في الضحـ ـيَّـة عقلهـا وجنـونهـا

* * *

من ذلـك الـظلُّ المـلا زم في الحياة وفي الطريقْ؟
الـمـخـلـصُ الـوافـي إذا عَـزَّ المـنـادمُ والـرفـيقْ

* * *

مـن قـلبُـه صـافٍ وديـ ـدنُـه الـولاءُ الـمـطلقُ
فـكـأنـمـا فـيـه الـولا ء سـجـيَّـةٌ تـتـدفـقُ

* * *

وإذا أُسِـيءَ فـإن أسـ ـمى الحبّ أن يُبدي رضاءَهْ
والصفـح عند ذوي القلو بِ البيضِ من قبل الإساءَهْ

* * *

مهمـا نـظرت لـه نـظر ت إلى مَعِينٍ من حنـان
يُفضي إليـك بسـره الـ ـذَنَبُ الصغيـر ومقلتـان!

* * *

لا بـأس إنْ هـنـد جفت وقـست ألـيـست ربَّتـه؟
أقْـصَـتْـهُ ثـم تـلفَّـت تـرجـو إلَـيـهـا أوْبـتـه

* * *

زَجَـرتْـه أو نهـرتـه أو كفَّتْ عـلى جُـرْمٍ يـده
فـهي الـتي لـم تَـنْـبَـسْـهُ والأكـل مـلءُ المـائـده

* * *

وهـو الـذي في بعـدهـا لم يـألُهـا طـولَ ارتقـاب
يقـظان ينتـظر المـآب وَثَوى يُرَاقبَ خَلْفَ بَـاب

* * *

هند التي اتَّخذته من دون الخلائق إلْفها
بحثت عن الإلْف الصغـ ـير فلم تجدْه خلفها

* * *

ميكي! وما ميكي ومصر عُه على الدنيا جديد
نفسٌ يذوب وصرخةٌ تدوي هنالك من بعيد

* * *

وتلفَّتت هندٌ لمو ضعه تغالب وَجْدَها
لا شيءَ. قد سارت برفـ ـقته وترجعُ وحدها

* * *

خرجت به جذلانَ يضـ ـحك مثلما ضحك الصباح
فكأنما خرجت به ليُلاقيَ القَدَر المُتاح

* * *

سارتْ به صبحاً وعا دت بالمواجع والدموع
يغدو الحزينُ على الأسى وأشقُّ شَطْرَيْه الرجوع

* * *

خطاب

قَبَّلْتُ خطَّك ألْفا
ولم أدَعْ منه حرفا
قد كنتِ توأم قلبي
وكنتِ في الغيبِ إلفا
يا هند ما الحسن إني
أُجِلُّ حسنَكِ وصفا
رأيتُه بخيال
على جمالك رَفَّا
وكيف أخفي اشتياقي
ما بيننا ليس يَخْفَى!

آه

آهِ مـن مَـيَّـة آهٍ ثـم آه
وحـبيـبٍ سـحـرتـنـي مـقـلتـاه
لـو تمنّيتُ قُبَيْـل المـوت مـاذا
أتـمـنـى؟ قلت تـقـبيـل ثـراه!
أتـمـنـى الـمـوت مـن مقـلتِـهِ
مـا الـذي يمنـع أن أشتـاق فـاه
آهِ مـن مَـيَّـة آهٍ ثـم آه
وحـبيـبٍ عـزّني الـيـوم لـقـاه!

في ليلة غارة

يـا ميَّةَ الحسنـاء هل يغـزو الهوى
قلبيْـن مـا كـانـا على ميعـادِ؟
لا شيءَ إلا أن ذُكـرتِ فهـزّني
طـربٌ وبـات على الحنين فؤادي
وظـللتُ أحلم والـتفتُّ لسـاعـةٍ
تـدنـو إلـيَّ بـطيفـكِ الـميَّـادِ
يـا مَيُّ إني قـد مُنيت بـظلمـةٍ
والليلُ يجثم فـوق صـدر الـوادي
فـأنـرتِ لي قلبي وصـرتُ كـأنمـا
هـذا السـوادُ الجَهْمُ غيـرُ سـوادِ

سمراء المحفل

مَلَكي ومحـــرابي وقـد　　سَ فـؤاديَ المتبتِّلِ
لمن الجمال الفخمُ ير　　فُلُ في الغلائلِ والحُلِي؟!
متـألبـاً في خـاطـري　　متـألقـاً في المحفـلِ
إقبلْ بما ولّت بـه الد　　ـنـيـا وهـاتِ وعـللِ
وابسط جناحكَ فوق قلـ　　ـبـيْنـا الـغـداة وظلّلِ
طِرْ حيث شئتَ فإن دنو　　تَ لنـاظـري فتمهـلِ
واهاً لهذي الطلعةِ السـ　　ـمـراءِ عنـد المجتلي
بغـلائـل الأضـواءِ وشّـ　　ـتْهـا رقـاقُ الأنمـلِ
وشّت بشـاشتُهـا نضـا　　رةُ وجهـك المتهـلّلِ
فكـأن طفلَ الفجـرِ نـا　　مَ على وسادةِ جدولِ!

روض الحسن

في أيِّ روضٍ من رياضِكِ أمرحُ
وبـأيِّ آلاءٍ لَـدَيـكِ أُسَـبِّـحُ؟
ثـمـرٌ على ثـمـرٍ وإن المُـجْتـنى
ليحار من عذب الجنى مـا يطرحُ
بـالشعـر أم بـالـمقـلتيـن معـلّقٌ
من نَـاظـريْ وخـواطـري لا يبـرحُ
تلك المحاسن في نُهايَ جميعُهـا
رفّـافـةٌ ومـغـرَداتٌ صُـدَّحُ
فـإذا غفـوتُ فـإنني أُمسي بهـا
وعلى مغـانيهـا الفـواتنِ أُصبـحُ

قلبي الثاني

أحببتُ ميَّـة حبّـاً لا يُعـادلـهُ
حبٌّ وأفنيتُ فيهـا العمـرَ أجـمعَـهُ
أحبُّ عمري الذي في قربِ ميٍّ وما
قـد مرَّ من دونهـا مـا كـان أضيعُـهُ
يـا ميُّ يـا قلبيَ الثـاني أعيش بـهِ
وإن يـكنْ فـوق ظـنّي أنّـني معـهُ
يـا بضعـة من كيـان الصبِّ نـابضـةً
بـكـل حُبٍّ بـه الـرحـمن أودعـهُ

ما أضيع الصبر

مـا أضيع الصبـر في جُـرحٍ أداريـهِ
أريـد أنْسَى الـذي لا شيء ينسيـهِ
ومـا مجانبتي من عـاش في بصـري
فـأينمـا الـتفـتتْ عـيني تـلاقيـهِ!

ما حيلتي

ما حيلتي يا هند وجهك لاح لي
بـأنـوثـةٍ جـبّـارةِ الـطغـيـانِ
يـا هنـدُ أين رجـولتي وعـزيمتي
في قـرب وجـهٍ سـاحـرٍ فتّـانِ؟
وأنـا حـزينٌ ظـامئٌ قـد جـدَّ لي
وِردٌ وراء مَـعِـيـنِـهِ شـفـتـانِ!

يا نسيم البحر

يـا نسيم البـحـر ريـانٌ بـطيب
ما الذي تحملُ من عطر الحبيبِ؟
صـافحتني مـن نـواحيـك يـدٌ
تمسـح الدمعةَ عن جفن الغريبِ
وتـلقّـاني رشـاشٌ كـالـبـكـا
وهـديرٌ مثـلُ مـوصـول النحيبِ

ذات ليلة

بيـن سـهـدٍ وعـذاب وضـنـى
مـرَّ ليـلي، ذاك حـالـي وأنـا
أسـألُ الأنجمَ عن حـالِ المنى
يـا حبيبي كيف صـارت بيننـا
كيف أمسى يـا حبيبي عـهـدُنـا
بعـدمـا طـاب هـوانـا، ودنـا
كـلُّ مـا كـان عـبيـداً، ورنـا
كـلُّ نجمٍ من سمـاوات السنـا!
آه لـو يـنـظر حـالـي الآن آه
حينمـا ضـاقت بـآلامي الحيـاه
نـدم النجـمُ على غـالـي سنـاه
ورأى كـيـف انـطويـنـا فـطواه

الى هند

غـرامـكِ لـي مـعـبـدٌ طـاهـرٌ
دعـائـمُـهُ شُيِّـدتْ مـن ولـوعي
تـعهـدتُ محـرابَـه بـالـوفـاء
وأوقـدتُ فيه الهـوى من شمـوعي
جـوانبُـه من دمـوعيَ قـامتْ
وأضـلعُـه بُنِيـتْ مـن ضـلوعي
ومن ذا رأى هيكـلاً في الـوجـودِ
يُـقـام على عـمـدٍ من دمـوعٍ؟

يا دار هند

إنـي لأقـنـع مـن ظـلالِ أحبّـتي
بـحنـان أختٍ أو بـكـفّ مـسلّمِ
وبـجلسـةٍ طـابـت لـديّ بغـرفـة
حملت عبيـرَ الغـائب الـمتـوسّمِ
يـا أخـت هنـدٍ خبّـريهـا أنـني
صـبٌّ يعيش بمـهجـة الـمتـألـمِ
صبٌّ سئمتُ من الحيـاةِ بـدونِـهـا
أنـا لا أحـبُّ إذا أنـا لـم أسـأمِ
ومـضى الـنـهـارُ ولا نـهـارَ لأنـهُ
يمتـدُّ عنـدي كـالفـراغ المـظلمِ
يـا دار هنـدٍ إن أذنـتِ تـكـلّمي
يـا دارهـا عيشي لهنـدٍ وأسلمي
فـدمي الفـداءُ لحبّ هنـدٍ وحـدهـا
وأنـا المقصِّرُ إن بـذلت لهـا دمي
ولقـا حلفت لهـا ودمعي شـاهـدُ
أنى فـنيتُ عـلمتِ أم لـم تعـلمي!

شفاعة

لا تمْـحُ رَوْعَتَها بـذكـر فعـالهـا
دعْهـا تمـرُّ كمـا بـدت بجـلالهـا
لا تنكـرنَّ الشمسَ عنـد غـروبهـا
أوَ مـا نعمتَ بدِفْئِهـا وظـلالهـا؟
إن كان فاتك مجدها رَأدَ الضُّحى(؟!)
فـاحمـدْ لهـا مـا كـان من آصـالهـا

قسوة

قَسَتِ الـحيـاةُ عـلى الـطريـ
ـدِ فقمْ بنـا نَنْعَى الـحيـاهْ
وقسـا الحبيبُ عـلى الغـريـ
ـب فـلا الـدمـوع ولا الصَّـلاهْ
فـرغ الـحـديـثُ ومـن رواه
طُـوِيَ الكتـابُ فـمن طـواهْ؟
عـجبـاً لـهـذا الـحـب مـن
بـدءِ الـزمـانِ لـمـنـتـهـاهْ
وقـضـائِـهِ بـيـن الـذي
حـفظ الـوفـاءُ ومـن سـلاهْ
قـتـلى الـهـوى لا يُـذكـرو
ن ولا حسـاب عـلى الـجـنـاهْ

محنة

هي محنةٌ وزمان ضِيقْ
وتكشّفتْ عن لا صديقْ
جرَّبتُ أشواكَ الأذى
وبلوتُ أحجارَ الطريقْ
وكأنَّ أيّامي التي
من مصرعٍ ليست تفيقْ
وكأنَّ موصولَ الضنى
يَمْتاحُ من جُرْحٍ عميقْ
زرعٌ على طُلَلٍ فذا
أبداً لصاحبه رفيقْ
هذا الذي سَقَت الدمو
عُ وذاك ما أبقى الحريقْ

الحب والربيع

جدّدي الحبَّ واذكري لي الربيعا
إنني عشت للجمال تبيعا
أشتهي أن يلفَّني ورق الأيـ
ـكِ وأثْوي خلف الزهورِ صريعا
آه دُرْ بي على الرِّفاق جميعاً
واجعل الشمل في الربيع جميعا
لا تقل لي أشتر المسرَّة والجا
ه فإنّي حُسنَ الربى لن أبيعا
فلغيري الدنيا وما في حماها
إنني أعشقُ الجمالَ الرفيعا
أنا مِن أجله عصيتُ وعُذِّبْـ
ـتُ وأقسمتُ غيرَه لن أطيعا

وبطيبِ الربيع أقتاتُ زهراً
وعبيْراً ولا أُكابد جوعا
فَهو حسبي زاداً إذا عَفَت الدُّنيـ
ـيا وأقْوَتْ منازلاً وربوعا

الى ابنتي ضوحيه

يا من طلبتِ الشعرَ هاك تحيّتي
وهواي يا روحي ويا ضوحيّتي
أيُرادُ تفصيلٌ لما عندي وكم
قلبٍ وموجز أمره في لفظة
لكن فنَّ الشعر وردُ أحبة
يُهدى فهاك قصيدتي بل وردتي
والشعر روضٌ يانعٌ وعبيرهُ
سارٍ إلينا من عبير الجنّةِ
وأراكِ روضة رقةٍ ومحاسنٍ
هل روضةٌ تهدي البيان لروضةٍ؟
فإليك يا أغلى عزيزٍ يا ابنتي
وأحبَّ من تصبو إليه مهجتي
تذكار والدك المحبِّ وديعةً
فإذا ذكرت فهذه أمنيّتي
والحظُّ مثل الرسم إن يوماً نأى
رسمي فللأثرِ العزيز تلفّتي

غيوم

أملٌ ضائعٌ ولبٌّ مشرَّدْ
بين حبٍّ طغى وجُرحٍ تمرّدْ
وضلالٌ مشت إليه الليالي
هاتكاتٍ قناعه فتجرّدْ
وبدا شاحباً كيوم قتيلٍ
لم يكد يلثم الصباحَ المورّدْ
غفر الله وهمها من ليالٍ
صوّرت لي الربيعَ والروض أجردْ
قاسمتني الورقاءُ أحزانَ قلبي
وشجاه وغرَّدَتْ حين غرّدْ
ثم ولَّتْ والقلبُ كالوتر اندا
مي يتيمُ الدموعِ واللحنُ مفردْ
ما بقائي أرى اطِّراد فنائي
وانتهائي في صورةٍ تتجدّدْ
ورثائي وما يفيد رثائي
لأمانٍ شقيةٍ تتبدّد
عبثاً أجمع الذي ضاع منها
والمنايا منّي ومنها بمرصدْ
وبقائي أبكي على أملٍ با
لٍ وأحنو على جريحٍ موسَّدْ
واحتيالي على الكرى ويجفنيَ
قتادٌ ولي من الشوك مرقدْ
وشكاتي إلى الدجى وهو مثلي
ضائعٌ صبحهُ ضليلٌ مسهَّدْ
وشخوصي إلى السماء بطرفي
ونـدائي بها إلى كل فرقدْ

فجعتني الأيامُ فيه فلم يَبْـ
ـقَ على الأرض ما يسرُّ ويُحمدْ
ذهبت بالجميل والرائع الفخـ
ـم وطاحت بكل قدسٍ ممجّدْ
مالَ ركنٌ من السماءِ وأمسى
هلهلَ النسج كلُّ صَرحٍ مُمرَّد
ربِّ عفواً لحيرتي وارتيابي
وسؤالٍ في جانحي يتردّدْ
هو همس الشقاء ما هو شك
لا ولا ثورةٌ فعدلك أخلدْ
أين يا رب أين من قبل حيْني
ألتقي مرةً بحلمي الموحّدْ؟
بخليلٍ ما ردّه كيدُ نمّا
مٍ ولم يَثْنِه وشاةٌ وحُسَّدْ
وحبيبٍ إذا تدفّق إحسا
سي جزاني بزاخرٍ ليس ينفدْ
وعناقٍ أحِسُّه في ضلوعي
دافقاً في الدماءِ كاليمِّ أزبدْ

ذهب العمر

قضيتَ العمر تذكر لي   وأذكر في الهوى جرحكْ
فقم نسخرْ من الأمَلِ   ومن أعماقنا نضحكْ!

* * *

وقم نسخرْ من الدنيا   وقم نَلْهُ مع اللاهي
طويتُ صحيفة الأمسِ   فَدَعْها في يد اللّهِ

* * *

هي الدنيا كما كانت ومـاذا ينفع الوعظ
ومـا عتبت ولا خانت ولكن خانك الحظُّ

* * *

أردنا الجاهَ والذهبا فلم يتلطّفِ المولى
وهذا العمرُ قد ذهبا وأحسن ما به ولّى

* * *

رباعيات

صيّرَك الحسن أميرَ الوجودِ والشعر من درّاته كلّلكْ
مستلهماً منك معاني الخلود فكل تاجٍ في العلى منك لكْ

* * *

فَناهِبٌ برقَ الثنايا العذابْ وسارقٌ ياقوتةً من فمكْ
وكل تغريد الهوى والشبابْ أغْنيةٌ حامت على مبسمكْ

* * *

وذلك الماس الرفيع السنا والجوهر الغالي الذي صِدْتَهُ
أرفع من فكر الورى مَعْدِنا وكل فضلي أنني صُغْتُهُ!

* * *

لا فكر لي، عشتُ على فكرتكْ أقبس ما أقبس من غُرَّتكْ
ودمعتي تقتات من عبرتكْ فانظر بمرآتي إلى صورتكْ

* * *

أشقاني الحبُّ وقلبي سعيدْ يَعُدُّ هذا الدمع من أنعمكْ
أجزل ما كافأ هذا الشهيدْ بلوغُه المجد على سُلَّمكْ

* * *

لا شيء من يوم النَّوى منقذي إني امرؤٌ عنك وشيك المسيرْ
وأنت باقٍ والجمال الذي غنّى به شعري ليومي الأخيرْ

* * *

انظر إلى آيات هذ الجمالْ ترتدُّ عنها عاديات البلى
عاجزةَ الباع ويأبى الزوالْ لوردةٍ من عَدْن أن تذبلا

* * *

للأنفس الظمأى إليك التفاتْ ولهفةٌ ملءَ اللّحاظ الجياعْ
ولي التفاتٌ لسريّ الصّفاتْ واللؤلؤِ اللمّاح خلف القناعْ

* * *

قلبي مع الناس وفكري شَرودْ في عالَمٍ رَحْبٍ بعيد الشِّعابْ
عيني على سرٍّ وراء الوجود وبغيتي عرشٌ وراء السحابْ!

* * *

كم طرت بي واجتزت سور الضبابْ والضوء ملءُ القلب ملءُ الرحابْ
وعدت بي للأرض أرض السَّرابْ والليلُ جهمٌ كجناح الغرابْ

* * *

أريْتني الغيبَ الذي لا يُرى كشفتَ لي ما لا يراه البصرْ
ثم انحدرنا نستشفُّ الثرى علّ وراءَ التُّرب سرَّ السفرْ

* * *

صدري وسادٌ زاخرٌ بالحنانْ تصوّري أعجب ما في الزمانْ
موج على لُجّته خافقان قَرَّا على أرجوحةٍ من أمانْ

* * *

كمركب في البحر يومَ اغترابْ ما أبعد المحنة بعد اقترابْ
هيهات يُنْجي من شطوط العذابْ إلّا عبابٌ دافقٌ في عبابْ

* * *

ملأتُ كأسي وانتظرتُ النديم فما لساقي الرُّوح لا يُقبلُ
شوقي جحيمٌ وانتظاري جحيم أقلُّ ما في لَفْحِهِ يقتلُ

* * *

أنت كريمُ الودِّ حُلوُ الوفاءْ فما الذي عاقَكَ هذا المساءْ؟
وما الذي أخّر هذا اللقاءْ وحرَّم النبع وصدَّ الظماءْ؟

* * *

أذمّ هذا الوقت في بُطئِهِ   آخرهُ يعثرُ في بَدْئِهِ
لله ما أحمل من عِبْئِهِ   وما يُعاني القلبُ من رُزْئِهِ

* * *

تدقُّ فيه ساعةٌ لا تدورْ   وإن تَدُرْ فهو صراعُ اللغوبْ
رنينها يقلق صمَّ الصدورْ   وطَرْقُها يقرع بابَ القلوبْ

* * *

يا ذاهباً لم يشْفِ مني الغليلْ   ما أسرع العقربَ عند الرحيلْ
هتفتُ قف لم يبق إلّا القليلْ   وكلُّ حيٍّ سائرٌ في سبيلْ!

* * *

يومٌ تولّى أو ظلامٌ سجا   كلاهما بالقرب منك انتصارْ
أأحمد اليوم تلاه الدُّجى   أم أحمد الليل تلاه النهارْ؟

* * *

إنْ نَوَّر النجمُ به مرَّةً   فإن إشراقَكَ لي مرّتانْ
وكيف يُبقي الشكُّ لي حيرةً   ولي على برج المنى نجمتانْ؟

* * *

فهذه تلمع في خاطري   مِلءُ دمي إشراقُها والبهاءْ
وهذه تُومِىءُ للساهرِ   والليل صافٍ وأديم السماءْ

* * *

وهذه تجلو كثيف الغيومْ   وهذه تَذْرَأُ عني الهمومْ
وتَمحق الحزنَ وتَأسُو الكلومْ   فما الذي أُجْرى دموعَ النجومْ؟

* * *

هيهات أنسى دُرَّة الأنجمِ   إليَّ من آفاقها ترتمي
وفي جريحٍ أعزلٍ تحتمي   من أي هولٍ؟ هي لم تعلمِ!

* * *

إنَّ ضلوعاً تحتمي في ضلوعْ   مقادرٌ ليس بها من رجوعْ
أخلدُ أصفاد الجوى والنزوعْ   هوى الحزانى وعناق الدموعْ

* * *

رضيت بالدهر على ما جَنَى وأُبْتُ بالحكمة بعد الجنونْ
ومرَّ يومي هادئاً ساكنا وأيُّ شيءٍ خادع كالسكونْ

* * *

أرنو إلى الصحراء حيث الرمالْ نامت كأنَّ اللفحَ فيها ظلالْ
يا ليت لي والدهر حالٌ وحالْ من وقدةِ الإحساسِ بعض الكلالْ

* * *

فأقبل الدنيا على حالها مسلِّماً بالغدر في آلها
وراضياً عنها بأغلالها محتملاً وطأة أثقالها

* * *

الرُّعْبُ سيّان بها والأمانْ والحسنُ زادٌ سائغٌ للزمانْ
والوهمُ في حالاتها كالعِيانْ والحبُّ والكرهُ بها توأمانْ

* * *

وَدِدْتُ لو قلبي كهذي القفارْ أصمُّ لا يسمع ما في الديارْ
أعمى عن الليل بها والنهارْ وددتُ لو قلبي كهذي القفارْ

* * *

وددتُ لو عنديَ جهلُ الثرى تَعْمُر أو تقفر هذي البيوتْ
غفلان لا يعنيه أمرٌ جرى أيُولدَ الحيُّ بها أم يموتْ

* * *

وليلةٍ تمضي وأخرى وما جئتَ فهل ألهاك عني أحدْ؟
ما ضاء من ليلاتنا أظلما والسبت خَدَّاعٌ بها كالأحدْ

* * *

يمتلىءُ السطحُ على ضيقهِ والوقتُ عندي كانفساحِ الأبدْ
حسدتُهُ والقلبُ في ضيقهِ أنا الذي لم أدْرِ طعمَ الحسدْ

* * *

وذلك (الجاز) وهذا النغمْ منتقلاً بين الرضا والألمْ
يحمل لي طيفَ خيالٍ قَدِم تراه عيني في ثنايا حُلُمْ

* * *

في واحةٍ يرسو عليها الغريبْ   فكلُّ ما فيها لديه غريبْ
وهكذا الدنيا خداعٌ عجيبْ   إذا خلت أيامُها من حبيبْ

* * *

وهكذا يومٌ ويومٌ سواه   ينكرها القلبُ الصَّبورُ الحمولْ
وهكذا يذهب طِيبُ الحياهْ   بين التمني واعتذار الرسولْ

* * *

هنا مِهادُ الحبِّ هل تذكرينْ   وها هنا بالأمس طاب السمرْ
وتلك أحلامُ الهوى والسنينْ   يحملها التيَّارُ فوق النهرْ

* * *

والقمرُ الفضيُّ بين الغيومْ   يخفق كالمنديل عند الوداعْ
يا حسرتا! هل صوّرتهُ الهمومْ   كالزورقِ الغارقِ إلّا شراعْ

* * *

قد جللته غيمةٌ عابرهْ   تسحبُ أذيالَ الأسى والندمْ
وأغرقتهُ موجةٌ غامرهْ   فأطبق الصمتُ وَرَانَ العدمْ

* * *

ضممت أضلاعي على نعشِهِ   فلم يزلْ فيها لهاوٍ شعاعْ
لأيّ غورٍ زالَ عن عرشِهِ   وغاص في اللجِّ إلى أيِّ قاعْ

* * *

أرثي لحظِّ الأفق وهو الذي   يرمقُني بالنظرة الساخرهْ
وتهرب الأنجمُ هذي وَذي   ويجثم الليلُ على القاهرهْ

* * *

ويزحف الكونُ على خاطري   كأنه في مقلة الساهرِ
سَدٌّ من الرُّعبِ بلا آخر   يعبُّ عَبَّ الأبدِ الزاخرِ

* * *

وفي ظلالِ الموت موتِ الوجودْ   وخلف أطلال البِلى والهمو

وبين أنفاس الرّدى والخمودْ وتحت سُحْبٍ عابساتٍ وسودْ

* * *

تدفعني عاصفةٌ عاتيهْ تقصف من خلفي وقُدّامِيَهْ
قد مزّقت روحي وآماليَهْ وقرّبتْ لي طرَفَ الهاويهْ!

* * *

تلمع في الظلمة أحداقُها قد رحّبَتْ باليأس أعماقُها
شافية النفس وترياقُها مشتاقةٌ أقبل مشتاقُها

* * *

قد كان لي عندك عزُّ الذليلْ وكان للآمال ومضٌ ضئيلْ
يلمع في ظَنّيِ قبل الرحيلْ فانطفأ النورُ ومات القليلْ

* * *

فداك يا جاهلةً ما بيَهْ قلبي وأنفاسي الظمّاء الحِرارْ
وكيف أنسى ليلتي الداميَهْ ولهفتي أَلْهَثُ خلف القطارْ؟

* * *

وعودتي أجرع كأسَ الحياه مُعاقِراً سُمَّ الفناءِ البطيءْ
أُنْكِرُ أو أفزَعُ ممن أراه سيان من يذهب أو من يجيءْ

* * *

وليلةٍ فاضت بوسواسها تعجبُ من إلْفَين بين البَشَرْ
ذلك يعدو خلف أنفاسها وهذه تتبع سير القمرْ

* * *

تتبعه بين الرُّبى والشِّعابْ تتبعه يسري خلال السحابْ
كم هَلَّلَتْ وهو يضيء الرِّحابْ والتفتَتْ محسورةً حين غابْ

* * *

وذلك الطفل اللهيف الغيورْ في فَلَكٍ من ضوء ليلى يدورْ
يقفو خطاها وهي بين الطيورْ لها جناحان مراحٌ ونورْ

* * *

كزورق يعبرُ بحرَ الوجودْ   له شراعان ولحظٌ شَرُودْ
كم شرّقا أو غرّبا في صعودْ   وارتفعا حتى كأن لن يعودْ

* * *

ليلى ارجعي إني شقيٌّ كئيبْ   أهتف مفقودَ الهُدى والقرارْ
يا هاته الأوطان إني غريبْ   وعالمي ليس هنا يا ديارْ!

* * *

تركتني وحدي وخلفتني   أرزح تحت المبْكيات الثقالْ
أنكرتِ ميثاقي وأنكرتني   أكُلٌّ ماضينا وليد الخيالْ؟

* * *

فرغت من أحلامه وانطوى   بمُرِّهِ وارتحتُ من عذبهِ
الأمرُ ما شئتِ فذنب الهوى   على الذي يكفر يوماً بهِ

* * *

كان إلى الله سبيلي وما   كان إلى الإيمان دَرْبٌ سواهْ
وكان في جُرح الهوى بلسما   وكان عندي منحة من إلهْ

* * *

مهما تكن ناري فإنّ الجحيم   أرأفُ بي من ظلم هذا البعادْ
وربّ همّ مُقْعِدٍ أو مقيمْ   قد لطّفَتْهُ نسماتُ الودادْ

* * *

فخفَّت النارُ وقرَّ الهشيمْ   وعاودتني الذِّكَرُ الغابرهْ
والنيلُ يجري هادئاً والنَّسيمْ   معربدٌ في الخُصَل الثائرهْ

* * *

كم تهتف الأيامُ : خانت فَخُنْ   ويح حياتي إنْ تَخُنْ أمسها
إن هنتُ هذا عهدُها لم يَهُنْ   ولا لياليها وإن تنسها

* * *

تُهيب بي الفرصةُ قبل الفواتْ   ويعرض الصَّيدُ فلا أقنصُ
إني امرؤ زادي على الذكرياتْ   وما غلا عنديَ لا يرخصُ

* * *

ومطلبٍ في العمر ولّى وفات وكانَ همِّي أنه لا يفوتْ
كأن فَجراً ضاحكاً فيّ ماتْ وملءُ نفسي مغربٌ لا يموتْ

* * *

في السّأم الحيِّ الذي لا يَبيدْ والأملِ الطاغي بأن ترجعي
أجدِّدُ العيشَ وما منْ جديدْ وأدّعي السلْوان ما أدّعي!

* * *

كم خانني الحظُّ ولا انثني أقضي زماني كلَّهُ في لعلْ
وتقسم المرآة لي أنني رَقّعْتُ بالآمالِ ثوبَ الأجلْ

* * *

قد فاتني الصيفُ وخان الربيعْ وكان همّي كلّه في الخريفْ
وما شَكاتي حين شملي جميعْ وانت لي أيكٌ وظلٌّ وريفْ

* * *

والآن قد مزّق عندي القناعْ موتُ الأباطيل وزحف الشتاءْ
وبدَّد الوهمَ وفضَّ الخداعْ بَرْدُ المنايا وشحوبُ الفناءْ

* * *

وأسِفَ القلبُ لكنزي الذي غَصّتْ به أفئدة الحُسَّدِ
صحوت من وهمي ولا كنز لي قد صَفِرَتْ منها ومنه يدي

* * *

أين زمانٌ مُكتسٍ يومُهُ بالحبِّ مَوْشِي بحُلْم الغدِ؟
من هاته الأيام محرومةٌ عريانةَ الآمال والموعدِ

* * *

قد قتل الدهرُ هنائي كما ماتت بثغري ضحكات السعيدْ!
وربما رقَّ زمانٌ قسا فانعطف الجافي ولان الحديدْ

* * *

محقق الآمال أو واعدٌ بفرحةٍ يوم لقاء وعيدْ
فإن يَعِدْني ثار شكّي به كأنما وعد الليالي وعيدْ!

* * *

وا آسفا هذا سجلٌ كُتِبْ   خَطَّتْهُ كفُّ القدَرِ المحتجبْ
ففيم عَوْدي لقديم الحِقَبْ   وفيم تَسْآلِيَ عمّا ذهبْ؟

* * *

ضاقت بنا مصرُ وضقنا بها   وكلُّ سهلٍ فوقها اليوم ضاقْ
وضاقتِ الدنيا على رحبِها   أين نداماي وأين الرفاقْ؟

* * *

كفٌّ تَلُمُّ العمرَ والعُمرُ راحْ   وقبضةٌ تجمع شملَ الرياحْ
لا حَبَبٌ باقٍ ولا ظل راح   ليلٌ تولَّى وتولَّى صباحْ

* * *

هذا نهارٌ مات يا للنَّهارْ   كل مساءٍ مصرعٌ وانهيارْ
مال جدارُ النورِ بعد انحدارْ   وغابتِ الشمسُ وراءَ الجدارْ

* * *

وذا مساءٌ صبغتْهُ الهمومْ   بلونها القاني وهذي غيومْ
تحوم والظلمةُ فيها تحومْ   تبسط مهداً ليّناً للنجومْ

* * *

كأن ثوباً في السماء احترقْ   فلم يزل حتى استحال الأنقْ
ظلُّ دخانٍ أو بقايا رمقْ   ولمَ يعُد إلَّا ذيولُ الشفقْ

* * *

وتزحف الظلماءُ زحفَ المُغيرْ   حاجبةً ما دونها كالسِّتارْ
وكل حيٍّ وادعٌ أو قريرْ   ما اختلف الشأن ولا الحظّ دارْ

* * *

العيشُ أمرٌ تافهٌ والمنونْ   والحكمةُ الكبرى بها كالجنونْ
وهكذا نمضي وتمضي السنونْ   وهكذا دارتْ رحاها الطحونْ

* * *

في شَجِّهَا حيناً وفي طَحْنِها   سينقضي العمرُ وأين الفرار؟
وثورةُ الشاكين من طحنِها   نوحُ الشظايا وعتابُ الغُبارْ!

* * *



في معبَـــد اللّيل



الى اميرتنا

في عيد ميلادها الرابع عشر
١٠/ ٤/ ٤٦

إقبلي يـا «اميـرة» اللطف حـبي
واقبلي من أبيـك هـذا الكتـابـا
إجعليـه ذكـرى لـه، وإجـمعـي
الآراء فيـه واستكتبي الأصحـابـا
جـعـل الـلّهُ كل عـمـرِكِ عـيـداً
وربـيـعـاً مـنـضّـراً وشـبـابـا

الى ابنتي

يا ابنتي أني لأشعر أنّي ... ملأتِ مهجتي شموس منيرة
أشرقت فرحتان عندي فهذي ... لعماد وهذه لأميرهْ
انتما فرقدان، وهو جدير ... بالذي ناله وأنت جديرهْ
اغنما كل ما يطيب وفوزا ... بالمسرات والأماني الوفيرهْ
وافرحا بالذي يطيبُ ويرجى ... عيشةٌ نضرة وعين قريرهْ

ابد الخلود*

ما كان أقصر هذه من زورة ... ما أشبعتْنا من بشاشة نازكِ
كلا ولا رّوى النهى من زهرةٍ ... بالطهرتفصح عن سمات ملائكِ
انا حمدنا لليالي انها ... قد قرَّبتنا من سنيّ سمائكِ . .
أن كان اسعدنا الزمانُ بساعةٍ ... فكأنها أبد الخلودِ حيالكِ

تكريم

قصيدة الدكتور ناجي في الحفلة التي
أقامها فريق من أنصار التجديد وأعلام
المدرسة الحديثة تكريماً لصاحب مجلة
الحديث الحلبية الأديب الراحل
سامي الكيالي سنة ١٩٣٢.

نفدي النزيلَ ونكرمن ... ان لم نكرمْه فمن؟
يا ضيف مصر أقم مقا ... م الأهل وانزلْ في وطنْ
انا اشتركنا في الاما ... لي والتقينا في المحنْ
فمن الشآم الى العرا ... ق الى الحجاز الى اليمنْ
والصرخة الكبرى كمو ... ج البحر تدوي في الأذنْ
تتباين الأصوات فيـ ... ـها لا يبالي بالثمنْ

* * *

نبغي الحياة وما الحيا ... ة سوى مماشاة الزمنْ
الدهر دفاق فكيـ ... ـف نعبّ من ماءٍ اسنْ
العصر عصر السابقيـ ... ـن الى الشواهق والفتنْ
لا عصر مفتتنين بالا ... حلام غرقى في الوثنْ
ومقيّدين الى الثرى ... بين التخاذل والوهن
يا أيها الشرق الذي ... يدعو: رويدك واطمئنْ
انا اليك وللشبا ... ب رسالة لا تمتهنْ
قمنا لها! كل بنا ... حية رسول مؤتمنْ؟
ما في طلائعنا الضعيـ ... ـف ولا الذليل المستكنْ
ما في طبائعنا الخصا ... م ولا الحفيظة والضغنْ
انا جنود النور من ... علم ومن أدب وفنْ
القاتلون الجهل مثـ ... ـل البوم عشش في الدمنْ
انا لاعداء الجمو ... د وواضعوه في الكفنْ

* * *

يـا أيهـا الضيـف العــزيـ ـز نعمت بالعيش الحسنْ
يـا مؤنس المصـري في حلب ومــا ننسى المنـنْ
صــدر الشـآم حنــا عليـ ـك ومصر لو تدري أحنّ
بـردى لنـا، وصبـاه والـ ـجنـات والـطيــر المرنْ
والأرز والــطود الــمـعــ ـصّب بالجلال المـطمئنْ
والنيــل نـهــركـم ومــا زان الخميلةَ والفـننْ
والـقــوم أهــل والقــرى وطـن عــطوف والمــدنْ

الى امينة[1]

أزبّاه أنقذني فأنت رميتني بقلبٍ على الأشواكِ والدم مشاءِ
«أمينة» هذا ما أتاني كتبته وعندكِ أخباري وعندك أنبائي

تحت الباب[1]

أقبلتُ أطــرق مــنــزل الأحبــاب
ودسست هــذا الشّعرَ تحت البـابِ
أتــرى أكــون بثث شــوقي كـلّه
وشــرحت حالي يـا أولي الألبـاب
يا جارة «الــوادي» إذ الوادي أخي
وكريم «إحسان»[1] ولطف صحابِ
قسمــاً بمـوصــول المــودة بيننــا
هــذي الـزيـارة لم تكن بحسـابي
قــد يجمــع الله الشتيت ويلتقي
نــاءٍ بِنــاءٍ بعــد طــول غيــاب

تكريم(1)

يـا صفـوة الأحبـاب والـخـلّانِ
عفـواً إذا استعصى عليّ بيـاني

الشعـرُ ليس بمسعفٍ في سـاعـةٍ
هي فـوق آيِ الحمـد والشكـرانِ

وأنـا الـذي قضّى الحيـاةَ معبراً
ومـرجعـاً لخـوالـج الـوجـدانِ

أقفُ العشيـةَ بـالـرِّفـاق مقصـراً
حيـران قد عقـد الجميـلُ لسـاني

يـا أيها الشعـر الـذي نـطقتْ بـه
روحي وفـاض كمـا يشـاء جنـاني

يـا سلوتي في الدهـر يـا قيثـارتي
مـا لي أراكِ حبيسـة الألحـان؟

أيـن البيـان وأين مـا علمتـني
أيـام تـنـطلقيـن دون عـنـانِ؟

نجواك في الزمن العصيب مخـدَّرٌ
نـامت عليـه يـواقظ الأشـجـانِ

والنـاسُ تسـأل والهـواجسُ جمـةٌ
طـبٌّ وشعـرٌ كيـف يـتـفـقـان؟

الشعـرُ مـرحمـة النفـوسِ وسِـرُّه
هِبـةُ السمـاءِ ومِنحـةُ الـدَّيـانِ

والـطبُّ مـرمحه الجسـومِ ونبعُـهُ
من ذلـك الفيضِ العليِّ الشـانِ

ومن الغمـام ومن مـعيـنٍ خلقَـهُ
يـجـدان إلـهـامـاً ويـسـتـقـيـان

يـا أيهـا الحبُّ المـطهـرُ للقلو
ب وغـاسـل الأرجـاس والأدران

ما أعظم النجوى الرفيعة كلما
يشدو بها روحان يحترقان
أنفا من الدنيا وفي جسديهما
ذُلُّ السجين وقسوة السجان
فتطلعا نحو السماءِ وحلّقا
صُعُداً إلى الآفاق يرتقيان
وتعانقا خلفَ الغمام وأترعا
كأسيهما من نشوةٍ وحنانِ
اكتبْ لوجه الفنِّ لا تعدلْ به
عَرَض الحياةِ ولا الحطام الفاني
واستلهم الأمَّ الطبيعةَ وحدَها
كم في الطبيعةِ من سَري مَعانِ
الشعرُ مملكةٌ وأنتَ أميرُها
ما حاجة الشعراءِ للتيجانِ
«هوميرُ» أمّرهُ الزمانُ لنفسه
وقضت له الأجيالُ بالسلطان
اهبطْ على الأزهار وأمسح جفنَها
واسكب نداك لظامىءٍ صَدْيانِ
في كلِّ أيكٍ نفحةٌ وبكل رو
ضٍ طاقةٌ من عاطر الريحانِ

عجبا!

يا هاجري، يا من هجرتَ بلا سببْ
أترى العقاب بغير إثم قد وجب؟
عجباً لقرص الشمس في البيت احتجب
عجباً.. لأعجب ما يكون من العجب

بعد اعتزال الأدب

صديقي «سعفانُ» ألف سلامْ ولا زلتَ صاحبيَ المرتقبْ
ستعجب من صورتي هذه ألم تر أني اعتزلت الأدب؟

امير الكمان

«تحية لأمير القيثارة سامي الشوا»

آه من لحنٍ سما وي عجيب النغماتِ
أيها الساحر لم تضـ ـرب بقوس، بل عصاة
يا أبا الفن المصفى هات ألحانك هات
في شطوط النيل، مهد الـ ـفن، مهد المعجزات
«الصّبا» في ريح «لبنا ن» رقيق النفحات
«وحجاز. راقص او مات من «شط الفرات»
نحن أبناء المعالي نحن أبناء الغزاة
غننا لحن أبينا الـ ـشرق، واهتف بالحُماة
هات لحنَ الشرق. . ما أجـ ـدره بالعبرات
هو أرض المجد، أرض الـ ـخلد من بدء الحياة
هات لحن الشرق هات. . هاتِ لحن الشرق هاتِ
رُب لحن قدسيٍّ من جنان الخلد آتِ
جعل الأرواح في هيـ ـكله مزدحمات
حشدَ العالم كالعُبّـ ـاد قاموا للصلاة
جَمَعَ الناسَ على الـ ـحبِّ وأدنى من شتات

شفاء ... وشفاءْ(١)

إن يكن «مظهر» يا زيـ ـنب، ربّ المعجزات
مِبْضعٌ يأسـو ويشفي في الأكف الشـافيات
وفتى كـالملَكِ السـا حـر حلوُ الكلمـات
ولـه مجـد المجـدّ يـن وأقـدار الثقـات
فـوق أخـلاق كـريما ت رقـاق محسنـات
إنـه يَشفِي... وتَشفِي زينبُ بـالبسمـات
أبـداً دأبكمـا الخـا لـد بعـثٌ لـلحيـاة
ومسير الرحمـة الكبـ ـرى كما فيَ النسمات
فـاهنـا... إنكمـا حـ ـقّاً سواء في السمـات

تحية لضوحية

إليكِ يا ضـوحيتي ابعث بـالتحيـةِ
تـحيـةً من قـلمـي ومثلُهـا من مهجتـي
إنـك كـالـزهـرة في جمـالهـا والـرّقـة
تقبّلي من روضة الأ شعـار خـيرَ زهـرة
عبيـرُها خـواطـري وملؤهـا محبتـي

حبان(١)

كـرقـة طبعـك، كـالنسمـة
ومن شـاطىء البحـر، ضَـوْحِيَّتي
أزف إليـك جميـلَ البيـان
وأوجـزُ حـبـيَ فـي لـفـظةِ
أحبـك حُبَّين... حب ابنتي
وحبي لمـا فيـك مـن رقـة

في معبد(1)

دنـا الـموعـدُ والغـرفـ ـةِ وكـر لـلـمـواعـيـدِ
وجـاءت ربّـة الـحسـن كـمـزمـور لـداوودِ

* * *

فرفّ البشرُ في الصمت الـ ـذي خيم في الغـرفـهْ
وثـارت حيـرتي الهـوجـا ء بين الـفجـر والـعفـهْ

* * *

وثـارت... آه من ثـور ة هـذي اللهفـة الحيـرَى
هنـا الحسن الذي يـدعو ك في بسمـاته السكـرى

* * *

وهـذا الجسم يـا ظمـآ ن في دارك كم يـغـري
أطهـراً تـدعي الـيـوم؟ فمـاذا نلت مـن طهـرِ؟

* * *

هنـا الحلم الـذي أبصـر تَ في غفـوة حـرمـانكْ
هنـا الكـأسُ التي تـزري بمـا جمّعت في حـانـكْ

* * *

هنـا اللهبُ الـذي جُسّـ ـد في نهـدٍ وفي سـاقِ
على مـذبحـه المعبـو دِ قـدم طهـركَ البـاقي

* * *

نـداءٌ بيـن عـيـنـيـك كهـذا الليـل مجهـولُ
يـجـاويـه حـنـيـنٌ ثـا ر في قـلبـيَ مـخبـولُ

* * *

فقلت الليـل يـا من كنـ ـت عند الليـل قـربـانـا
لنغـرقْ في دخـان الجسـ ـمِ أشجـانـاً وحـرمـانـا

* * *

فنام الضوء خجلانا   على مصباح نشوانِ
قريرا لا تنبهه   سوى أنات تحنان

* * *

وكان الليل مرتميا   على النافذة الوسنى
تلصّصَ خلسةً يرنو   إلى معبدنا الأسنى

* * *

فشاع السرُّ بين الليـ   ـل والأنجم والزهرِ
وإذ بالفجر بساما   إلى إلفين في خدرِ

* * *

لمن الصمت؟(١)

لمن الصمتُ والفؤاد المشرّد   اين من اسكر الربى حين غرّدْ؟
طائر . أم رأت عيون الأماني   حُلُماً مثل غيره قد تبددْ
أم قناع قد مزقته الليالي   عن هوى دون طائل فتجردْ
وبدا شاحباً كيوم قتيلٍ   لم يكد يلثم الصباحُ المورَّدْ
ليت شعري، إلام إطراق رأسي   وانحنائي على جريح موسدْ؟

القرية(١)

حبذا الريف والخلائق فيه   ضاحكات الوجوه تفترّ سحرا
من يراه وقد تبيّن فيه   زمراً في الزّحام تحشر حشرا
يحسب الضيق آخذاً في حماه   بخناق، ويحسب القوم أسرى
وهم النور والمحبة والقلـ   ـب طليقاً مع النسائم حُرا
منظر تلمح البساطة فيه   وترى طيبةً وبشراً وطهرا
منظرٌ تلمح السعادة فيه   لا تقل لي أرى شقاء وفقرا

انظر الجرة التي خلفوها   وانظر النيل ضاحكاً مفترا
عبدوا النيل مذ قديم وألقوا   كل عام له عروساً بكرا
مصر سحر ورقة وصفاء   لِمَ لا يعبد المحبون مصرا؟

عازفة البيانو(1)

ليس البيانو الذي راحت تحركه
يداك، أطوعَ من قلبي وأفكاري
لمستِهِ فتمشّى السحر بي، فكما
تهتز أوتاره تهتز أوتاري

سرب من الحور(1)

سرب من الحور الفوا   تن كالزهور نواضر
ألهمنني وأحطن بي   فجرى بشعريَ الخاطر
ألهمنني وشككن بي   ونسين أني شاعر
فإذا اعترفن فإنني   للفضل دوماً ذاكر
وأنا لـ «فلّة» عارفٌ   وإلى «أمينة» شاكر

سباق

فجرٌ أطلّ عليّ بالإشراقِ
والقلب يحفزني ليوم تلاقي
فطردتُ ثقل السهد لا ثقل الكرى
قلبي بوثبته يسابق ساقي
عيناي أم قلبي أم القدم التي
حثّت خطاها في مجال سباق
هذا قليل قد شرحت دفينه
وعلى ذكائك أنت فهم الباقي

* * *

فجر جديد

فجرٌ جديدٌ حالم خفاقْ ا لما يزلْ في عالم الآفاقْ
توهان في غمم الدجى قلقٌ
بحنينه . . بالحب . . . بالأشواقْ
ويود لو ضاق الظلام به فيهب مندفعاً من الأعماقْ
متحرراً من قيد ظلمته يرنو بعمق الروح . بالأحداقْ
فيحس لا شيء ينازعُهُ ويحول عنه السكون إذ ينساق
لا شيء ملتفا يعانقه غير السنا في ضوئه البراق
فيغيب في أحضانه ثملاً ويعب من فيض الهوى الدفاق
بانت له الدنيا على قلق «مشتاقة تهفو الى مشتاق»

نحو المجد[1]

يا أم مَن تستصرخين؟ من الـذي
قـدح اللظى المـوّار في عينيـكِ؟
يـا أم هل تمشين نحـو النار، أم
فُتح الوغى ومشى الجحيم إليك؟
مـا حلَّ بـالحرية الحمـراء؟ هـل
سـال الدم القـاني على قدميـكِ؟
يـا ويلهـا من صـرخةٍ مجنـونـةٍ
ضجتْ لهـا الآفـاقُ من شفتيـكِ
لا تجـزعي يـوم الفـداءِ فكلنـا
مهـج تحلق كـالنسـور عليـك
فتلفتي تجـدي عـرينَـكِ عـامـراً
وتـسمّـعي، كـم قـائـل لبيـكِ
وقف الشباب فداء محراب الحمى
وتجمّـع الأشبـال بين يـديـكِ

والصقر تاجك، تاج فرعون الذي
جعل الشموسَ الزهرَ في كفيكِ
والمجدُ تاجُكِ والسهى لك موطنٌ
والشهبُ والأقمارُ في نعليكِ
يا مصر أنت الكونُ والدنيا معاً
وعظائمُ الأجيالِ في تاجيكِ

قدر[1]

لا تُدمني نظراً إليّ، فوالذي جعل الهوى قدراً على كفيك
ما تلتقي عيني بعينك لحظةً إلا رأيت صباي في عينيكِ

اعتذار[1]

أبعث الآن اعتذاري وأنا
حاضرٌ بالقلب والروحِ معكْ
لك ظلٌّ مقتفٍ في خاطري
حيثما سرتَ مضى فاتبعكْ
أنا لا أومن بالبعد ولا
أحسب المقدور مني نزعك
أنت لا تبرح عيني، فلذا
لا تراني اليوم فيمن ودّعك

فرحتان[1]

قد زُرتُ أيكك بعد أن طال النوى
وإليه كنتُ محلقاً بخيالي
يا من جروا في البال، ما برحوا به
أترى جرينا عندكم في البال؟
عهد مضى بين الهواجس والمنى
والنفس بين تعجب وسؤال

حتى رجعت كأنما رجع الصبا
لي بالأزاهر والربيع الحالي
فإذا بقلبي فرحتان، فهذه
بلقاك أنت، وفرحة بـ «جلال»

مداعبة(١)

يا قرّة العينين يا «تملي» يا واسع التدبير والحيل
يا خالع الضرسين في سنة ومعقم الآلات في «الحلل»

في رثاء مطران

يا نفس إن راح الخليلُ وعنده
ورد الخليل فعجّلي برحيلي
حملوا على الأعواد فنّاً خالداً
وارحمتاه لكوكبٍ محمولِ
هو مصرعٌ للعبقريةِ روّعتْ
في عرشِها والتاجِ والإكليلِ

يا بحر(١)

يوم أبحرتُ فوق متنكِ تهوي بيَ امواجك الغضاب وتعلو
راعني حولُك الرهيب فخارت عزماتي ولم يعد ليَ حول
وترنحتُ بين جنبيك تلهو بي فتطغى آناً وتهدأ آنا
كانت القطرة الضئيلة من لُـ ـجك أمضى مني وأخطر شانا
وأنا اليوم أجتليك من الشاطىء جي الأمواج مثل الجبال
فإذا بي أثور مثلك يا بحـ ـر وتنزو الأمواج في أوصالي
هو روحي الذي يحاكيك في البأ س ولكن يؤوده عبء جسمي

فإذا ما اجتلاك والجسم غفلا نُ توخّاك في مضاء وعزم
هو روحي الذي يحاكيك يا بحـ ـر ويخشى قلبي الجزوع أذاكا
ضعضع الجسم عزم روحي المُعَنَّى يا اخا الروح بُث فيه قواكا

الربيع(١)

مـرحى ومـرحى يـا ربيـع العـامِ
أشــرق فـدْتـك مشـارقُ الأيـامِ
بعـد الشتاء وبعـد طـولِ عبـوسه
أرنـا بشـاشـةَ ثغـرِكَ البسّـامِ
وابعث لنـا أرجَ النسيـمِ معـطراً
متـخـطراً كـخـواطـر الأحـلامِ

تحية(١)

(للأستاذ إبراهيم دسوقي أباظه)

متى نلتَهـا كـانت لأنفسنـا منًى
تلفتْ تجـد مصـراً بـأجمعهـا هنـا
وما بعجيب موطن البدر في العلى
وما بجديـد أن يرى الأفق مسكنـا
ولكنَّ قلب الحـر تعـروه نشـوةٌ
فيثني على الآلاء وضـاحـة السنـا
إذا أخـذ البـدرُ المنيـر مكـانـه
ومُـلِّكَ آفـاق السمـا وتـمـكـنـا
فـذلـك تكـريم الـربيـع لـروضـهِ
جـلاهـا الأبـاظيـون وارفـة الجنى

أجلْ روضة صارت لكل عظيمة
وللفضل والآداب والعلم موطنا
وميدان سباقين للمجدِ والعلى
إذا اشتجرت أخرى الميادين بالقنا
من الأدب العالي إذا راح سيد
غدا آخر نحو اللواءِ فما ونى
عصيُّ القوافي سار نحوك مسرعاً
ولبَّاك من أقصى الفؤاد وأذعنا
وأنت الذي فك القيودَ جميعَها
عن الشعر تأبى أن يهان فيسجنا
إذا المعدن الصافي دعا الشعرَ مرةً
بذلنا له من أجود الشعرِ معدنا
دسوقي إذا أقللتُ فأقبل تحيتي
فما أنا شاديهم ولا خيرهم أنا
ولكنني صوت المحبين كلهم
ومن روضك الغالي وبستانهم جَنى
فراش على مصباح مجدِكَ حائم
وأي فراش من جلالك ما دنا
وإني صدى الهمس الذي في قلوبهم
فدعني أقم عما يكنون معلنا

البندر(١)

أنظر وجوهَ القومِ غرّ تها بزينتها المدينةْ
مسكينه بلهاء لا تدري الزمان ولا فنونهْ
يا من يغرِّبها إذا أرست لصاحبها السفينةْ
الأفق مضطرب الحوا شي والسماء بها حزينةْ
لا تحسن الدنيا إذا ما المرء جن بها جنونهْ

وطغتْ منافعهُ عليـ ـه وضرن دنياه ردينهْ
العيش حيث الحب، حيـ ـث العطف صاف والسكينهْ

دعابة(1)

قد هنأوك بمجد الاسباني فمتى تكون مصارع الثيرانِ؟
أمنحت أوسمة، ومجدك أول ماذا يهمك من وسام ثانِ؟
إني أهنيك الغداة لأنني أهواك من قلبي ومن وجداني
إن المقطم والزمان كليهما الخالدان، وكل شيء فان

عيد «سونيا»

يا أبا الأشواق غنِّ وانقل الألحان عني
إن «سونيا» ذات حسن ضارب في كل فن
إيه «سونيا» هجتِ شوقي وشجوني والتمني
إن تغنيني فإني طائر في كل غصن
إنني بالحسن أدعى وأغني كل حسن
إيه «سونيا» ذاك يومي فاسكبي لي، لا تضني
أفرغي سحر الهوى في خاطري من كل دنِّ
إنما عيدك عيدي وهو يوم فوق ظني
لا أهنيك.. ولكن كل مخلوق أهني

كيف أنساك؟

إيه «سونيا» أنت الرضا والحنانْ
كيف ضاعت بك الليالي الحسانْ
وغدا الدهر لحظة من سلام
وإذا كل ما عليه أمانْ
لا أرانا فيه خُدعنا إذا ما
بك عز الهوى وفات الهوانْ
كيف أنساك إذ نسيتُ شقائي
وعذابي، وليس بي أشجانْ
وإذا بي أرى لعينيك دنيا
خير ما فكرتْ به عينانْ

خشوع

جمالك الهادىء الرزين وسحرك الواضح المبينْ
ابدع ما مرّ في خيالٍ وخير ما أبصرت عيونْ
وسرّه أنت تجهلينْ وكيف لو كنت تعلمينْ
وكيف أضنى القلوب منا وكيف جئناه طائعين
وكيف نلقاك في سرور وكيف نلقاه خاشعين

دنيا

إيه «سونيا»... إيهِ سونيا أنت دنيا... أنت دنيا
أنت دنيا الحسن لكـ ـنَّ سماواتك عُليا

بك يلقى القلب ريّاً وبك الأنفاس تحيا
قد نسينا وطوينا كل ما قبلك طيّا
كل من يلقاك لا يذ كر في الأيام شيّا
غير «سونيا».. إن «سونيا» هي دنيا، أي دنيا!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تذييل

الدكتور ابراهيم ناجي
١٨٩٩ - ١٩٥٣

بقلم سامي الكيالي

- ١ -

حين واجه أدبنا المعاصر معركة «القديم والحديث» في الفترات التي مرت عقب الحرب العالمية الأولى، وبين العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن، تناولت المعركة فيما تناولته، قضية الشعر الذي رأى القدماء أن يسيروا على النهج القديم، وأن يظلّوا مشدودين الى الماضي بكل ألوانه، بينما رأى المحدثون، أن لا يقفوا هذا الموقف، وأن يساير الشعر تطورات الحياة المتعددة الجوانب، المتباينة الألوان.. ولم يكن «الشكل» موضع الجدل كما هو اليوم بل انصبّ الأمر على «المضمون»..

وكان عمالقة الشعر الذين جددوا الديباجة بعد البارودي وفي طليعتهم شوقي وحافظ والمطران، قد أطلوا اطلالة جانبية على منازع الحياة، وان ظل أكثر الشعراء مشدودين الى الماضي بشتى مظاهره وتياراته.

وكان خليل مطران بحكم ثقافته الغربية قد ألزم نفسه قبل نشوب هذه المعارك، بنزعات اتّسمت باسمه كرائد من رواد التجديد وصاحب مدرسة في الشعر حين قال:

«... ان خطة العرب* في الشعر يجب حتما ألا تكون خطتنا بل لعرب عصرهم. ولنا عصرنا ولهم آدابهم وأخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم ولنا آدابنا وأخلاقنا وحاجاتنا وعلومنا، ولهذا وجب أن يكون شعرنا ممثلا لتصورنا وشعورنا لا لتصورهم

وشعورهم، وان كان مفرغا في قوالبهم، محتذيا مذاهبهم[1]».

وكان في طليعة مثيري المعركة، العقاد والمازني وشكري، حين أصدروا «الديوان» سنة ١٩٢١[2]، حيث أثاروا موضوع «المضمون» وهاجموا الأساليب القديمة، واعتبروا أكثر الشعراء مقلدين، أبعد ما يكونون عن التجديد، وقد حصروا دعوتهم في النقاط الآتية:

١ ـ الدعوة الى تخليص الشعر من صخب الحياة وضجيجها والتعبير عن الذات.

٢ ـ الدعوة الى الوحدة العضوية للقصيدة بحيث تكون عملا فنيا تاما يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة، كما يكمل التمثال بأعضائه، والصورة بأجزائها..

٣ ـ التحرر من القافية الواحدة، والدعوة الى تنويع القوافي، أو ارسالها.

٤ ـ العناية بالمعنى وادخال الأفكار الفلسفية، والتأمل في قصائدهم ونفثات صدورهم.

٥ ـ تصوير لباب الأشياء وجوهرها والاهتمام بهذا الباب، والبعد عن الأغراض.

٦ ـ تصوير الطبيعة والغوص الى ما وراء ظواهرها.

٧ ـ التقاط الأشياء البسيطة العابرة والتعبير عنها تعبيرا فنيا جميلا يبعث فيها الحياة.

وقد حاول هؤلاء الرواد شرح مذاهبهم في كل مناسبة تعن لهم، ومن مقدمات دواوينهم ومقالاتهم في الصحف والمجلات، ومن مناقشاتهم ومساجلاتهم الأدبية، ومن مجموع نظراتهم في الشعر والحياة.

... وكان عبد الرحمن شكري أوسع من زميليه في

شرح نظريته التي انطوت على النقاط الآتية:

١ ـ يمتاز الشاعر العبقري بذلك الشره العقلي الذي يجعله راغبا أن يفكر كل فكر، وأن يحس كل احساس.

٢ ـ الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة وشرح عواطف النفس وحالاتها والفكر وتقلباته، والموضوعات الشعرية وتباينها، والبواعث الشعرية.

٣ ـ التشبيه لا يراد لذاته كما يفعل الشاعر الصغير، وانما يراد لشرح عاطفة أو توضيح حالة، أو بيان حقيقة.

٤ ـ ان أجل الشعر ما خلا من التشبيهات البعيدة والمغالطات المنطقية.

٥ ـ أجل المعاني الشعرية ما قيل في تحليل عواطف النفس ووصف حركاتها كما يشرح الطبيب الجسم.

٦ ـ الشعر هو ما أشعرك وجعلك تحس عواطف النفس احساسا شديدا، لا ما كان لغزا منطقيا، أو خيالا من خيالات معاقري الحشيش، فالمعاني الشعرية هي خواطر المرءوآراؤه وتجاربه وأحوال نفسه وعبارات عواطفه.

٧ ـ قد يغري العبقري باستخراج الصلات المتينة الصادقة بين الأشياء فتقصر أذهان العامة عن ادراكها.

٨ ـ ان قيمة البيت في الصلة بين معناه وبين موضوع القصيدة، لأن البيت جزء مكمل، ولا يصح أن يكون البيت شاذا خارجا عن مكانه من القصيدة، بعيدا عن موضوعها.

٩ ـ ينبغي أن ننظر الى القصيدة من حيث هي شيء كامل لا من حيث هي أبيات مستقلة.

١٠ ـ مثل الشاعر الذي لا يعنى باعطاء وحدة القصيدة حقها، مثل النقاش الذي يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التي ينقشها من الضوء نصيبا واحدا، وكما أنه ينبغي للنقاش

أن يميز بين مقادير امتزاج النور والظلام في نقشه، وكذلك ينبغي للشاعر أن يميز بين جوانب موضوع القصيدة، وما يستلزمه كل جانب من الخيال والتفكير، وكذلك ينبغي أن يميز بين ما يتطلبه كل موضوع، فان بعض الشعراء يقسم الشعر الى شعر عاطفة. وشعر عقل. وهي مغالطة غريبة، اذ أن كل موضوعات الشعر تستلزم نوعا ومقدارا خاصا من العاطفة[1].

وردد العقاد والمازني نفس هذه الآراء والاتجاهات، وقدموا للقارىء العربي دواوين مختلفة تضمنت الكثير من القصائد الفلسفية، الى تصوير الكثير من منازع الحياة وان خلا أكثرها من موسيقى الشعر وايقاعاته، ومن ضروب جزالته ورقته.

لقد أحدثت هذه الآراء ثورة في محيط الشباب وقد اطلع أكثرهم على أدب الغرب واستمتعوا بقصائد شعرائه، تنهجوا نهجا يغاير ما سار عليه اولئك العمالقة، نزعوا الى [illegible] في المضمون وخرجوا الى حد ما، او خرج أكثرهم عن الاسلوب التقليدي المتبع في المديح والرثاء، وفي الفخر [illegible]، والنسيب المخنث الذي لا يعبر عن هواجس القلب، عبّروا من الحياة شتى الوانها، ما صفا منها وما كدر، وعبروا عن هواجسهم الذاتية دون ذلك الحرج الذي كان يتحاشاه من سبقهم مراعاة للتزمت الذي كان يسود محيطهم.

من هؤلاء الشعراء الذين أطلق عليهم لقب شعراء «المدرسة الحديثة» الدكتور ابراهيم ناجي، وعلي محمود طه لمهندس، وحسن كامل الصيرفي، ومحمود حسن اسماعيل، وصالح جودت، ومختار الوكيل وغيرهم وغيرهم كثيرون. . .

وقد أفادوا جميعهم من وهج الثورة التي أشعل نارها شكري والعقاد والمازني وساروا يطرقون أبوابا تمس صميم الحياة والفكر والمجتمع . . .

وبعد ثورة الديوان جاءت مدرسة «ابوللو» وهي التي دعا الى تأليفها سنة ١٩٣٢ـ الدكتور احمد زكي أبو شادي باسم جماعة ابوللو، وأصدر مجلة باسمها، وقد فتحت صدرها للشعراء الشباب من شتى الأقطار العربية فأخذوا ينفثون عن همومهم وهواجسهم بحرية وانطلاق.

وكان الدكتور ابراهيم ناجي أحد أركان هذه الجماعة وكانت الحركة الفكرية في نمود مطرد

وبرز اسمه بين شعراء المدرسة الحديثة كشاعر مجدد، يختلف في رسم تأملاته الفلسفية ونزعاته وأدبه الوجداني عن الكثيرين.

ونحاول بعد هذه التوطئة، أن نرسم صورة صادقة عن مراحل حياته وعن أدبه وشعره . . .

- ٢ -

ولد ابراهيم ناجي يوم ٣١ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٩٨، أي انه من مواليد سنة ١٨٩٩، وما كاد يحبو الطفل حتى أرسل الى مدرسة المحلة وما كاد يلم وهو في الخامسة من عمره، بأوليات الكتابة والقراءة حتى أدخل المدرسة الابتدائية حيث قضى فترات الدراسة بتفوق ملحوظ ونال شهادته ١٩١١.

ومن الإبتدائية الى الثانوية ـ المدرسة التوفيقية في شبرا ـ كان الطفل قد مال بسجيته الى الأدب.

أخذ يقرأ كا ما تصل اليه يده من مكتبة أبيه التي كانت

مليئة بشتى أنواع الكتبـ كتب الأدب وكتب العلمـ . .

ولكن كانت نزعته الى كتب الأدب أغلب. . أخذ يقرأ القصص وبعض دواوين الشعراء، ولا سيما شعر شوقي وحافظ.

وقد شعر أنه، وهو تلميذ، يدخل عالما جديدا لا تزال آفاقه بالنسبة اليه شبه غامضة.

كانت ذاكرته تلتقط أبياتا من هنا وهناك، فيحفظها بفهم تارة، وبدون فهم تارة أخرى.

وكان لتوجيه والده أثره في نفسه حين كان يقص عليه قصص الموهوبين من العلماء والأدباء.

وقد تفتحت موهبته على قول الشعر وهو في منتصف العقد الثاني من عمره.

ففي هذه السن تضطرم في جوانح الانسان الكثير من الأحاسيس، ولا شيء ينفث عن الكبت ويطفىء النار المشتعلة غير البوح. ونقرأ في دواوينه أكثر من قطعة تعبر عن شعر الصبا:

كـلانـا حـزين فـلا تجـزعي
ودمـعـك تـسـبـقـه أدمـعـي
وان كـان بين ضلوعـك نـار
فـنـار الـصـبـابـة فـي أدمـعـي
وان كـان نجم هنـائـك غـاب
فـنـجـم هـنـائـي لـم يـطلع

ويقول في قطعة أخرى:

هـل أنـت سـامـعـة أنـيـني
يـا غـايـة الـقـلـب الـحـزيـن

يـا قـبلة الـحب الـخفـي
وكـعـبـة الأمـل الـدفـيـن
انـي ذكـرتـك بـاكـيـا
والأفـق مـغـبـر الـجـبـيـن
والشمس تـبـدو وهي تـغـرب
شـبـه دامـعـة الـعـيـون
أمسيـت أرقبـهـا على صـخـر
ومـوج الـبـحـر دونـي
والـبحـر مـجنـون الـعـبـاب
يـهـيـج ثـائـره جـنـونـي
ورضـاك أنـت وقـايـتـي
فـاذا غـضبـت، فمـن يقـيـنـي؟

إن الكثير من المقطوعات جاءت في هذه المرحلة، وهي المرحلة التي يمر بها كل شاب تضطرم في جوانحه جذوة الحب.

بعد أن أمضى دراسته الثانوية تطلع إلى أفق أوسع- الى الأفق الجامعي- الذي يكوّن الانسان تكوينا يجعله انسانا يواجه مصاعب الحياة بعزيمة وايمان...

أينتسب الى كلية الآداب أم الى كلية العلوم؟

انه في حيرة، وهي حيرة يواجهها كل شاب في هذه الفترة.. ويلعب القدر دوره أحيانا في هذا الاتجاه.. ويرسم لنا ابراهيم ناجي القلق الذي خامره في هذه اللحظات التي خططت مستقبل حياته بقوله:

«... كانت نزعتي للأدب طاغية، وكنت أعد نفسي لمستقبل أدبي ولم تكن عندي أية فكرة من الناحية العلمية الرياضية، غير أن الأقدار تلعب دورها بدون أن تعلم...».

«ففي السنة التي قررت فيها أن ألتحق بالقسم الأدبي، أرسل الله لنا معلما سوريا، لم يكد ينظر اليّ، حتى توسّم فيّ شيئا لا اعلمه، جعله يؤمن بأنني قد أكون نابغة في الرياضة، فوجه اهتمامه لي، وكان قاسيا جدا، اذ كان يضربني ويشتمني، وكثيرا ما دخل الفصل وهو ثمل، ثم أخذ يبسط هذا الظل بالضرب والشتم واللعن، وأنا صابر لا أتفوه بكلمة....»

«.... وكان رحمه الله طيب القلب، يخفي وراء هذه القسوة نفسا من الذهب، فكان يلاطفني بعد قسوته، ويمد يده إليّ بواجبات خاصة منه، ثم يعود في اليوم التالي ويسألني في خشونة:

- هل عملت الواجبات؟..

ولم أخيب ظنه مرة واحدة- وقد كان تقدمي سريعا جعله يزهو ويفخر بي، ثم أخذت قسوته تختفي وهو يقول:

اطلع يا ناجي، واشرح لهم التمرين...

لقد كان تأثير هذا المعلم في مستقبلي كبيرا، فقد غيرت التحاقي بالقسم الأدبي، والتحقت بالقسم العلمي، ولتقدمي وتفوقي دخلت كلية الطب.

- ٣ -

حين انتسب الى كلية الطب دخل عالما جديدا يغاير عالمه الأدبي ووطن النفس على مغالبة مصاعب هذا العالم، انه ذكي، ولا بد للانسان في هذه الفترة من مهنة، ومهنة الطب من المهن الشريفة حسبها انها تنقله الى شتى العوالم...

ومرت السنة الأولى بكثير من الصعوبة.. ثم بدأ يأنس بجو الدروس في السنة الثانية ويحدثنا عن هذه الحقبة من

حياته بقوله:

«أخذت أدرس الطب على طريقة فنية، فقد كنت أبتدع لرفاقي الصور، وأخترع لهم من فنون الكتابة ما يعينهم على الحفظ، وظللت كذلك الى الساعة التي أكتب فيها هذا، أزاول الطب كأنه فن، وأكتب الأدب كأنه علم، أي أراعي فيه المنطق والتحديد والوضوح..»[1].

وما زال الى أن اجتاز سنواتها بتفوق ملحوظ فظفر بشهادة الدكتره سنة ١٩٢٣ وعمره أربع وعشرون سنة، وأصبح طبيبا مرموقا بين الشباب، وحين طرق باب الوظيفة عين طبيبا للأنكلموسوما يعيش في مضارب الخيام بكل بقعة وبوءة من الريف.

ولم يشأ وهو الشاعر الأديب الذي عاش في أجواء القاهرة ومنتدياتها، أن يهجرها الى البقاع الموبوءة في الريف، فافتتح عيادة ونجح. وظل الأدب هوايته المفضلة، وبدأ يمطر الصحف والمجلات بأحاديثه ومقالاته وبقصائده ومقطوعاته.. واذا هي شيء جديد، شعر وجدي يحمل في طياته بذور نزعات انسانية وتأملات فلسفية في طبيعة الحياة والكون، فهو روح هائمة وقلب حساس يفيض بالشعور والألم هذا الشعور الذي لم يفارق قلب الطبيب الشاعر حتى في احدى الفترات الصعبة التي مرت به وهو يؤدي فحصا في المشرحة..

وقد روى صديقه الأستاذ صالح جودت هذه الحادثة التي سمعها منه...:

«... دخل يوما لأداء الامتحان في المشرحة، وجيء له برأس امرأة ماتت لتوها، وكان الأستاذ الممتحن هو العلامة الراحل الدكتور علي باشا ابراهيم وقد كان رحمه الله، فوق مكانه كجراح نابه، أديباً وفناناً بالسليقة..

وسأل الأستاذ تلميذه:

ـ هل تستطيع أن تشخص المرض الذي ماتت به هذه السيدة..؟

فارتبك التلميذ ولم يرد جوابا.

فقال له الأستاذ:

ـ عيب يا ناجي.. أنت شاعر... انظر الى وجهها وعينيها..

فراح الشاعر يتأمل وجه المرأة، فإذا هو شاحب شحوبا جميلا ثم راح يتأمل عينيها فإذا بهما حزن عميق وجاذبية يحوطها سياج من أهداب أطول من الأهداب المألوفة...

ـ لقد ماتت بالسل.

وأجاب الأستاذ:

برافو يا ناجي، حسبي منك هذا.

ونجح بتفوق...

ـ ٤ ـ

كان يمارس مهنته بروح انسانية، وكثيرا ما كان يدفع للفقراء المعوزين ثمن الدواء من جيبه.

وقد سمعت منه القصة الطريفة الآتية التي سمعها غيري أكثر من مرة وكانت موضع تندر:

قال: ان مريضاً قصد إليه في عيادته، وكان فقيرا فلم يؤ د الأجر المفروض، واستقبله الشاعر وكشف عليه فلم يجد به داء الا الجوع، فأخرج من جيبه جنيها وقدمه للرجل وقال له:

ـ خذ هذا الجنيه واشتر به زوجا من الدجاج وكله، وستشفى باذن الله . . .

وخرج الرجل يدعو له:

وبعد اسبوع، صادف الرجل في الطريق فسأله:

كيف حالك الآن؟ . . .

على ما يرام يا دكتور . .

ـ هيه . . هل أكلت زوج الدجاج؟ . .

ـ لا . .

ـ اذن . . فيم أنفقت الجنيه؟ . . .

ـ ذهبت به الى دكتور عالجني من علتي وشفيت بحمد الله ! ! .

ـ ٥ ـ

ورغم غوصه في عالم الطب ومتابعة أحدث منجزاته وحضوره المؤتمرات الطبية ظلّ مرتبطا ارتباطا وثيقا بعالم الأدب، وبالشعر بصورة خاصة، ويرجع ذلك الى الجذور العميقة التي غرسها في نفسه أبوه وهو طفل . . . وقد روى مراحل هذه الفترة بقلمه قائلاً:

« . . ذات ليلة، منذ ثلاثين عاما، سمعت أبي يقص على أمي رحمها الله، قصة (أوليفر تويست) لشارلز ديكنز لا أزال أذكر تلك الليلة وهيهات أنساها . . .

وكان اخوتي قد انصرفوا الى مناجعهم، وكانت ليلة من ليالي الشتاء والريح تعصف، والمطر يقرع النوافذ بعنف، وقد سكن الحي سكونا تاما ولم أعد أسمع حتى صوت الخفير، الذي كنت أشعر له برهبة كلما دوّى نداؤه في سكون الليل.

وكنت طفلا كثير التفكير، وأصغي الى صوت المطر، والى عصف الرياح، فأطيل الاصغاء وأدمن التأمل، وأبني في خاطري لنفسي قصة من قطرات المطر وعصف الرياح، وما أزال أمعن في تخيل القصة وسبكها حتى يغلبني النعاس. .

في تلك الليلة استلقيت في فراشي وقلت لنفسي ان عصف الريح اعوال الشيطان، يضربونه في السماء بالسوط، وان هذا المطر دموع. . دموع. . وعلى هذه الصورة أخذ النوم يزحف اليّ ببطء فطرق سمعي صوت أبي يقص على أمي قصة، ويقصها على مهل وبصوت متهدج حزين. . وبين حين وآخر، أسمع صوت «نارجيلة» وأشم لها عبقا لا يزال في أنفي حتى اليوم . . فألقيت عني الغطاء وزحفت الى سرير أبي، فتلقاني بحنانه العجيب. .

ومرت ليلة بعد ليلة بعد أخرى، حتى سمعت (أوليفر تويست) لآخرها، وطالما رأيت هذا الطفل المعذب في نومي، وطالما شكوت لأبي أن ثيابه الرثة تزعجني، فكان يضحك قائلا: عندما تراه مرة ثانية استوقفه لتعطيه ثوبا مما لديك.

ومرت سنتان، قرأ لنا أبي فيهما غير ديكنز. . قرأ كونان دويل وهاجارد وغيرهما. . فكنت أجرب في اخوتي طرق شرلوك هولمز، وأخيفهم بما عرفته من هاجارد عن السحرة في مجاهل افريقيا.

ومرت سنتان كذلك، وجاء يوم لا ينسى.

زفّ اليّ أبي أني نجحت في الابتدائية وسألني عما أريد أن يهديني اياه. قلت: كتاب. فتهلل وجهه واصطحبني الى مكتبة «ريمو» التي كانت قائمة في ذلك العهد بشارع «كامل» واشترى قصة «دافيد كوبر فيلد» لشارلز ديكنز، وأوصاني أن أقرأها كلمة كلمة، وأن أستعين به في فهمها، فصنعت. . .

وقد كنّا نسكن شبرا، وكانت شبرا منذ ثلاثين سنة بساطا أخضر شعريا بديعا تتوسطه ساقية وعلى حفافيه شجرات جميز وتوت، فكنت أمضي الى تلك المروج ومعي صديق تأملاتي، دافيد كوبر فيلد فما زلت به حتى قرأته مثنى وثلاث ورباع، وما زال بي حتى خلق مني أديبا وشاعرا. سامحه الله.

الحق اني لا أدري أأحسن الي القدر أم أساء؟. أبي كان يحبب ديكنز اليّ ليصقل شعوري ويزرع في الانسانية ويعلمني التأمل والملاحظة، أما ديكنز فقد حبب الي الأدب على الاطلاق، وأما دافيد كوبر فيلد فقد خلق مني شاعرا وجعلني أبحث لي عن «دورا» اخرى أشرب من عينيها كأس الحياة، وأتلقى من شفتيها أسرار الوجود، سامحه الله مرة ثانية، لقد عذبتني «دورا» هذه وشطرت روحي شطرين.

أراد أبي شيئا، وأراد ديكنز شيئا، وأراد دافيد كوبر فيلد شيئا، وأراد القدر أشياء غير هذه.

ما أظلم القدر، فقد شاء أن أكون طبيبا، وليس بالطب من حرج، وانما الحرج أن يكون الخيال مركبا في طبيعة الانسان، فاذا بالقدر يواجهه بالواقع ويصدمه.

وانما الحرج أن يكون الشعر مركبا في طبيعة انسان- فاذا بالقدر يضعه فوق ألسنة المادة، ويزجه في الدائرة التي لا شعر فيها ولا خيال.

وانما الحرج أن تكون طبيعته أن ينصت الى أنات الروح، فيأخذه القدر الى حيث ينصت الى أنات الجسد، وشتان بين هذه وتلك.

وانما الحرج أن تجذبه طبيعته لناحية، ومهنته لأخرى، حتى يتمزق بين شد هذي وجذب تلك.

وانما الحرج أن نراه يلائم بين الضدين، ويوفق بين النقيضين، وأخيرا يلتفت فاذا نفسه أشلاء، واذا الذبالة تحترق والزيت ينضب، واذا معين القوة قد أشرف على الزوال، واذا الجبار قد مزق أوصاله ذلك النضال العنيف بين الغرائز والقدر، بين الميول والصروف، بين الخيال والمادة، بين الوهم والواقع، بين الروح والجسد[1].

هذه الكلمة النابعة من ضميره والتي تقص قصة تعلقه بالأدب منذ طفولته حيث استطاع أن ينظم الشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره- تعطينا أكبر مثل على أن القدر الذي غرس في ذاته حب الأدب قد نمت مع الأيام فجعلت منه شاعرا وأديبا.

- ٦ -

وقد تساءل بعض الأدباء عن الشعراء الذين أثروا به، فمنهم من قال خليل مطران ومنهم من قال شوقي ومنهم من قال الشريف الرضي، ولم ينكر هو تأثره بهم، على أنه لم يقف عند هؤلاء بل لم يترك شاعرا من شعراء الغرب والشرق، أريد الاعلام منهم، الا قرأه، ثم رجع الى ذاته يفلسف الأشياء فلسفة جديدة ويصوغها شعرا موسيقي الايقاع يعبر أصدق تعبير عن حبه وشوقه ومواجيده والكثير من ظواهر الحياة والكون.

وأسأله مرة عن الشاعر الذي استهواه شعره وحياته أكثر من غيره، ولماذا؟.

وهو استفتاء كنت وجهته الى غير واحد من شعراء المدرسة الحديثة فكان جواب ناجي قوله:

هناك شاعران، وشاعران فقط درستهما جيدا، وأحببتهما حبّا صادقا كبيرا، وكان لهما أثر كبير في حياتي وتفكيري..

الأول: شكسبير، وقد حاضرت عنه كثيرا، ونشرت احدى محاضراتي في «الحديث» الشيء الذي يعجبني فيه أنه غير محدود، واسع كالفضاء، متغير كالطبيعة التي تجمع بين الجبل الأشم والفقاعة الصغيرة، وفوق ذلك فهو صادق، ولذلك أحببته لا كشاعر فقط بل كصديق، وسأقرأه أبدا ولا أمل قراءته. . .

الثاني: المتنبي، والذي جعلني أحبه رجولته التي تبدو في كل بيت، وأحبه أيضا لأنه كان «انسانا» يتكلم عن لسان الانسانية بأجمعها، يشرح القلق المستمر في أعماقها، والعذاب الملازم لأعصابها، ويكشف كشفا عجيبا ذلك الطلاء المزيف الحقير الذي تستر به ذلك القلق والعذاب[1].

- ٧ -

أصدر ناجي ديوانه الأول «وراء الغمام» سنة ١٩٣٤، ضم قصائد ومقطوعات تعبر عن وجدانه الشاعري في الحب والجمال، وفي هذه المآسي التي تمر بالانسان، الى ذكريات وحرقات عن ظروف عاشها الشاعر مع اثيراته ومحبوباته، وهو صادق في التعبير عن شعوره أبعد ما يكون عن التهويل، تغمر قصائده رقة عاطفية، ونزعة انسانية، وشعور حب دافق، فمن وصف الحنين والمناجاة، الى تلمس اللقاء في الغد، الى ليالي الأرق، الى الشك أو القلق الذي يثير النفوس المنكوبة بنار الحب. . . ثم الى ساعة اللقاء. .

يا حبيب الروح، يا روح الأماني
لست تدري عطش الروح البكا
وحنيني في أنين غير فاني
للردى أشربه من مقلتيكا
آه من ساعة بث وشجون
وبقاء لم يكن لي في حساب

وحديث لم يدر لي في الظنون
يا طويل الهجر يا مر الغياب
حل يا ساحر صفو وملام
بعد فتك البين بالقلب الغريب
ودنا روض وظل وغمام
بعد فتك النار بالعمر الجديب
مرت الساعة كالحلم السعيد
ومشت نشوتها مشي الرحيق
ذهب العمر. وذا عمر جديد
عشته من فمك الحلو الرقيق
مرت الساعة والليل دنا
والهوى الصامت يغدو ويروح
وتلاشت واختفت أجسادنا
واعتنقنا في الدجى روحا بروح

ومن وصف الجمال الضنين، الى الناي المحترق الى «قلب راقصة»، وهي أروع قصائده الفلسفية التي تهز الضمير الانساني، وقد وصف مأساتها وصفا غاية في الحنو والواقعية، الى الكثير من هذه الموضوعات التي تتصل اتصالا مباشرا بالقلب والوجدان، وبالنفس والروح التي تثيرها عناصر الجمال!

وقد خلا ديوان «وراء الغمام» من شعر المناسبات والاخوانيات عدا بعض قصائد رثاء وهي ذات اتصال وثيق بشاعر مرموق.

هذا، واعتبر الأستاذ أحمد الصاوي محمد الذي كتب مقدمة الديوان ـ اعتبر ظهوره حركة وثّابة في عالم الأدب، لأنه الشعر الخالص للشعر، والحب الخالص للحب، والرحمة الخالصة للانسانية .

ويكاد يكون الديوان قصيدة واحدة، وقصيدة حب امتزج الشعر بالحب في نفسه امتزاجا فصارا شيئا واحدا، كالذرات التي تبحث عن بعضها لتكون الوحدة الكاملة، فاجتمعت دون أن تدري كيف، وكونت روح الشاعر. .

وهو ليس شاعرا مستهاما فقط ولكنه مصور ومفكر ـ مصور بارع. . فالشاعرية فيه أصيلة. .

وأطلق عليه العقاد لقب «شاعر الرقة العاطفية» ونسبه إلى مدرسة الشعراء الظرفاء: ابن الأحنف، وابن سهل، والبهاء زهير، واخوانهم من شعراء «يتيمة الدهر» و «نفح الطيب»، نعرفهم بسيماهم في كل عصر وفي كل بلد، ويجمعهم لنا عنوان «الظرف» حيث كانوا بين مدارس عصورهم، فلا نخال أننا نتلقى ديوانا غير ديوان ناجي، فننافي هذا العصر اذا دعوناه بديوان الشاعر الظريف. . .

وقد ظلمه العقاد بهذه المقارنة، وهو أبعد ما يكون عن الشعراء الذين أشار اليهم وان التقى كثيرا من حيث حرارة الوجد مع ابن الأحنف، وأفق ناجي في فلسفة الحياة وتصوير مباهجها ومآسيها شيء جديد في شعرنا المعاصر.

وليس هذا فقط بل اتهمه بالسرقة، يقول: «على أن أقبح ما في هذه المجموعة جرأة صاحبها على السرقة، ومن الأحياء ، ومنهم كاتب هذه السطور فيقول:

يا للقلوب لملتقى اثنين
لا يعلمان لأيما سبب
جمعتهما الدنيا غريبين
فتآلفا في خلوة عجب
عجبا لنا في لحظة صرنا
متفاهمين بغير ما أمد
يا من لقيتك أمس هل كنا
روحين ممتزجين في الأبد

وهي أبيات ان جردتها من فهاهتها الخاوية وجدتها خوذة من قصيدة «بعد عام» لكاتب هذه السطور ومنها:

مـر عـام منـذ سـرنـا حيث سـرنـا
لا نبـالي مـا أتى أو سـوق يـأتي
منـذ أن كنـا غـريبين فصـرنـا
كـل شيء أنـا في الـدنيـا وأنت

وكل من له ذوق شعري يحكم أن أبيات ناجي تصور حالة نفسية من واقعه وهي أبلغ في التعبير من شعر العقاد.. اذ ليس في البيتين هذه الفلسفة العميقة ليسطو عليها ناجي وهو الذي قرأ وهضم الكثير من شعر العمالقة في الشرق والغرب.

- ٨ -

ونقده الدكتور طه حسين نقدا قاسيا كاد يصرفه عن قول الشعر، واعتبر أشعاره حسنة، ولكنها أشعار صالونات، لا تحمل أن تخرج الى الخلاء فيأخذها البرد من جو النهار، كما أخذ عليه بعض المآخذ اللغوية، وقد تأثر ناجي وكان ينتظر من امام التجديد أن ينظر الى هذه الوثبة الجديدة نظرة ارتياح وتقدير فوجه رسالة اليه فيها دفاع حار عن أدبه وشعره، ولم يتمالك أن يفجر غيظه الذي كاد يدخل اليأس الى روحه، ووصل به الحال الى أنه قرر أن يهجر الشعر..

وقرأ الدكتور طه رده، وتأثر، ولم يتركه يتخبط في هذا البحر فسرعان ما مد له يده الآسية ومما جاء في مقاله:

«اني لم أحزن حين رأيت الدكتور ناجي يعلن زهده في الشعر، لأني قدرت أن الدكتور ناجي ان كان شاعرا حقا فسيعود الى الشعر راضيا أو كارها، [illegible] في

النقد أو رفقت به.

وان لم يكن شاعرا، فليس على الشعر بأس في أن ينصرف عنه ويزهد فيه.

وأنا منتظر أن يعود الدكتور ناجي الى جنة الشعر، فاني أرى فيه استعدادا لا بأس به، وأظنه ان عني بشعره واستكمل أدوات الفن خليقا أن يبلغ منه شيئا حسنا.

لا تجزع اذن يا سيدي من النقد، ولا تظن أن عمل الناقد أن يكون البناء دائما، فقد يكون من الخير أن تهدم بعض الأبنية التي تحجب الضوء والهواء، عن أبنية أخرى هي أحق بالبقاء» . . .

وانما عمله فيما أظن اقتلاع لبعض الأشجار ولبعض الأعشاب التي تفسد ما هو أحق منها بالبقاء وأجدر منها بالنماء، وأقدر منها على أن ينفع الناس.

ولست أدري لم يكون البستاني مصلحا حين يجتث الشجرة الفاسدة، أو يقتلع الأعشاب المهلكة لما حولها، ويكون الناقد مفسدا حين يرد عن الأدب قوما يدخلون في الأدب وليسوا منه في شيء، ولست أدري لم يكون البستاني مصلحا حين يشذب بعض الأشجار ويقص بعض الأغصان ويكون الناقد مفسدا حين يهذب ما يكتبه الكتاب والشعراء؟ . . .

كلا يا سيدي ، على الأدب بأس من النقد مهما يقس ويشتد، وانما البأس كل البأس على الأدب من النقد إذا لان وهان وأصبح تفريطا وثناء، واثارة للغرور، وتشجيا للدخلاء.

والأدب الذي لا يثبت للنقد العنيف لا يستحق أن يكون أدبا، ولا يستحق أن يعنى به أحد. .

أرأيت أني أحسن منك ظنا بالأدب والأدباء، وأجمل منك رأيا في الثقافة والمثقفين، أرى أدباءنا رجالا يستحقون

النقد، وتراهم أنت أطفالا يستحقون المداعبة.

هون عليك، فأما الزبد فيذهب جفاء، واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

ولقد عمد نقاد قساة غلاظ مسرفون في العنف الى بعض الشعراء والكتاب، فألحوا عليهم في النقد واشبعوهم تجريحا وطعنا، ولكن الأدباء مع ذلك ظفروا بالبقاء، وذهب نقد النقاد هباء.

فمن كان من أدبائنا خليقا بأن يبقى وينتج وينفع الناس، فليس عليه بأس منك ولا مني ولا من غيرنا، ولعله أن يظفر من الحياة والخلود بما لا نظفر منه بالقليل.

أما بعد، فاني أشكر لك يا سيدي ثناءك علي، وحسن ظنك بي وأترك أحكامك كلها على كتابنا وأدبائنا لك، لا أجادلك فيها ولا أحاورك لأن جدالك فيها ينتهي الى كثير جدا مما لا نريد[1].

وبالرغم من بعض الهفوات اللغوية والمآخذ التي أخذها عليه فقد قدر شعره أبلغ تقدير، ومن كلماته قوله:

«ليس الدكتور ناجي رجلا حسن البلاء صادق النية في حب الشعر فحسب، وانما هو فوق هذا كله موفق إلى حد بعيد فيما يحاول من ارضاء الشعر وأصحابه، موفق فيما قصد اليه من المعاني، موفق فيما اصطنع من الألفاظ، موفق فيما اتخذ من الأساليب معانيه جديدة تصل أحيانا الى الروعة. ألفاظه جيدة قد يعظم حظها من المتانة والرصانة، وأساليبه جيدة أيضا، عظيمة الحظ من الصفاء، لا يفسدها العوج، ولا يفسدها الالتواء في كثير من الأحيان.

شاعر مجيد، تألفه النفس، ويصبو اليه القلب، ويأنس اليه قارئه أحيانا، ويطرب له سامعه دائما.

من هؤلاء الشعراء الذين يحسن أن تستمتع بما في شعرهم من الجمال، كما نستمتع بجمال الوردة الرقيقة النضرة دون أن نشتط عليها بالتقليب والتعذيب.

هو شاعر هين. لين. رقيق. حلو الصوت. عذب النفس. خفيف الروح. قوي الجناح..

شعره أشبه ما يسميه الفرنجه موسيقى الغرفة منه بهذه الموسيقى الكبرى التي تذهب بك كل مذهب وتهيم بك فيما نعرف وما لا نعرف من الأجواء[1].

وهدأت نفس الشاعر، وعاد الى جواء المحبوب، يكتب وينظم وينقح العربية بنفحات كلها عبق وورد وزهور، وأنات نفس حزينة لما يصيب البشرية من أحداث يعرضها للآلام الجسام..

وكان من مآخذ الدكتور طه على الديوان اسمه فتساءل ما معنى «وراء الغمام» وأجاب ناجي على هذا بقوله:

« أنت يا سيدي تحاسب الشاعر لفظا لفظا وتتناسى أن هناك ما يسمى الاستعارة والمجاز، وعلى هذه الطريقة تساءلت: ما معنى «وراء الغمام»..؟

أما اذا قصدت معناها الحرفي، فليس لدي اجابة على سؤالك، واذا قصدت معناها الرمزي، فالاجابة لا تكلفني ولا تكلفك نصبا، فأنت تعلم أن كل المؤلفات الشعرية الأجنبية الحديثة جرت على هذه التسمية الرمزية، وبيدي كتاب للشاعر ييتس اسمه «السلم الملتف» فهل تقول ما علاقة السلم الملتف بالشعر.. انها لتسمية سخيفة، فاذا حاسبته كما تحاسبني كنا عندك جميعا من سقط المتاع»..

وجاء شاعر الشام الأستاذ شفيق جبري، وهو أبعد ما يكون عن المعركة، ليحلل عرضا اسم الديوان وهو يكتب عن الديوان في مقال نشره في مجلة «الحديث» جاء فيه:

«لست فيلسوفا في اللغة، فلا أعرف شيئا من حياة الألفاظ كيف ولدت لغتنا، وكيف عاشت، وكيف ماتت طائفة من ألفاظها، وانما الذي أراه أن بين الغمام بمعنى السحاب، وبين الغم والغمة أو الغماء بمعنى الكرب صلة، فالمادة واحدة، ومن يدري فلعل بين الغمامة وبين الغم نسبة روحية، فهذه السحب في السماء تشبه هذا الكرب المزدحم على الصدر، فاذا صحت هذه الفلسفة اللغوية، وكان الدكتور ابراهيم ناجي يعلم بأن بين الغم وبين اسم ديوانه، وراء الغمام صلة روحية، إذا صح هذا كله فالدكتور ابراهيم ناجي شاعر حتى في هذا الإسم الذي اختاره لديوانه»[١]. . .

ثم تغلغل الى روح الشاعر، من خلال شعره، والتي تبدو ضاحكة بينا هي كئيبة حزينة فقال:

فالكرب الذي طبع عليه، قد طبع على مثله كثير من الناس، وأنا منهم، فالفرق بينه وبينهم، ان كربه يستره فرح ضاحك، وهم يجعلون كربهم على طبيعته، فاذا اشتد عليهم فلا يغطونه بغطاء أبيض، أي لا يلقون عليه ضياء يحجبه عن الناس، وانما أنسوا بسواده فهم يتحدثون بهذه الظلمة، وسواء عليهم أنفر الناس عنهم أم أنسوا بهم. أما الدكتور ابراهيم ناجي فإنه لا يريد أن يقف الناس منه على كرب، ولذلك فإنه يلقي عليه ضياء حتى لا يستوحش منه أحد الناس.

ولئن استطاع الدكتور ناجي أن يستر ظاهره، فلم يستطع أن يستر باطنه، فقد جاء شعره ريان بدمع عينه، مصبوغا بدم قلبه، ليس فيه الا الأنين والحنين في خلال هذا الدمع وهذا الدم يتراءى لنا جانب مشرق تغمره لغة صاحبة خيالات غوال، وأمان ذهبية، فكان لصاحب هذا الشعر روحان متفاوتتان، روح وهبها للناس وروح انفرد بها، أما الروح التي وهبها للناس فهي روح المرح والطرب والهشاشة والبشاشة، وأما الروح التي انفرد بها فليس لها نصيب من هذه

الحياة الباسمة فما أشد عذاب هاتين الروحين، فهو مضطر أبدا الى التلون بلونين، لون متموج ولون كامد، أما اللون المتموج فليس لباطنه منه حظ، وانما الذين لهم هذا الحظ انما هم خلطاؤه الذين يأخذون من هذا الظاهر الجذل ما يصفو لهم، ويدعون الباطن الكئيب لصاحبه[1]. .

- ٩ -

وتهدأ ثائرته، ويعود الى جوه المفضل- الى الشعر والفن وعالم الأدب الواسع الآفاق، والى السهر مع صحبه وأثيراته الجميلات اللواتي يدغدغن عاطفته ويلهمنه قول الشعر.

ولا يكاد يعيش هذا الجو المليء بالمبهجات حتى يفاجأ العالم بالحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩، وتقاسي مصر الأمرين، وتعيش في جو مكفهر كئيب.

وتمر الأيام مشوبة بالمرارة، ويكون أثرها قويا في نفس الشاعر الذي ينبض قلبه بكل ظاهرة من ظواهر الحياة.

يبتسم والغصة في قلبه.

ويكتب صور تلك الأيام من سجوف الفترات المشرقة مع أثيراته وصويحباته.

ويكون للأدب ديوانه الثاني «ليالي القاهرة» وهي القصيدة الأولى في الديوان وليست قصيدة واحدة بل صورة من ملحمة مختلفة الضروب والايقاع صور فيها الظلام العصيب الذي خيم على القاهرة فكان ظلاما متجاوبا مع قتام النفوس وحلوكة تجثم على الصدور.

ومع ذلك فكان الشعر متنفسه حين قال: انه النافذة التي أطل منها على الحياة وأشرف منها على الأبد وما وراء الأبد،

وهو الهواء الذي أتنفسه، وهو البلسم الذي داويت به جراح نفسي عندما عز الاساة هذا هو شعري:

أيا مصر: ما فيك العشية سامر
ولا فيك من مصغ لشاعرك الفرد
أهاجرتي: طال النوى فارحمي الذي
تركت بديد الشمل منتثر العقد
فقدتك فقدان الربيع وطيبه
وعدت الى الاعياء والسقم والوجد
وليس الذي ضيعت فيك بهين
ولا أنت في الغياب هينة الفقد

وغير ملحمة ليالي القاهرة، نقرأ ملحمة «الأطلال» وملحمة «السراب» وغير ذلك من الروائع المعبرة عن وجدانه وحبه، وعن ألمه وهواجسه، وهو امتداد في موضوعاته لديوانه «وراء الغمام».. لولا أنه تضمن قصائد ومقطوعات من شعر المدح والرثاء وحفلات التكريم وغير ذلك مما اقتضته طبيعة المجتمع وهو ذو مركز في وزارة الصحة وشاعر معروف، وكانت الواجبات والمجاملات تقتضيه أن يقول شعرا هو ابن ساعته، لا يعبر عن سجيته بقدر ما يصف هذه المهازل التي يكره عليها الشاعر أحيانا وان كان بعض هذه القصائد ترمز الى سجية الوفاء نحو أشخاص أحبهم وكانت لهم مواقف شريفة في صدّ الأذى عنه وتقدير مواهبه، وبالاجمال فهو شعر الصنعة لا شعر الطبع.

ولا مجال للتوسع في تحليل قصائد الديوان الذي يجد القارىء ألوانا جديدة في التعبير عن نوازع النفس ونبضات القلب، هذا وقد أنصفه الوزير الأديب ابراهيم دسوقي أباظة حين وصف خصائص شعره بقوله: هو شاعر رقيق، رشيق دقيق أنيق، تصل معانيه الى قلبك قبل أن تصل ألفاظه في

طلاوة وسهولة وعذوبة، وقد جمعت ديباجته بين ميزة القديم والحديث، وامتاز شعره بروعة الابتداء وجودة المقطع، وطالما سمعته شاعرا في المحافل، فوالله ما سمعت مثله يجمع الرقة الى الجزالة، والطلاوة الى الفحولة، والضخامة، فهو لا يترقب لفظا قد استدعاه من بعد، ولا يكابد عناء في الوصول الى معنى استعصى عليه، مع السلامة من التكلف، والبراءة من التعقيد، والبعد عن التشادق والتقعر والتنافر، وشعره مطبوع على الطرافة والابتكار، ولو كان الشعر مما يؤتدم به، لكانت قصائده نعم الادام لطالبي الأدب»...

وبعد ديوانه «وراء الغمام» و «ليالي القاهرة» جمعت بعد وفاته قصائده الوجدية في ديوان بعنوان «الطائر الجريح» يقول عنها الأستاذ محمد عبد الغني حسن انها انغام شاعر عاش حياته معذبا مؤلما، وعاش ظامئا الى الموارد حوله، وجائعا على وفرة الزاد عنده وميمما كالمسافر وثاويا كالمهاجر. ان ناجي في هذا الديوان يترجم في رقة وعذوبة عن آلام المحبين وآمالهم وقد علمه الحب- على ما فيه من صور الشقاء- ان يحب الناس والدنيا جميعا، فاتسع قلبه بكل طارق وابتسم ثغره لكل بارق..

والواقع، ان قصائد هذا الديوان تصور تصويرا بالغ الروعة أيام محنته وبؤسه. وفترات حبه وأشواقه ومواجده ولا سيما في الأيام التي قضاها مع «زازا» الحسناء الرشيقة والامرأة الشابة الطروب التي احبت ناجي من الأعماق وكان الأدب هو الذي ربط بين قلبيهما، ونترك للأستاذ صالح جودت الذي عرف عوامل هذه الصلة أن يروي القصة كاملة:

يقول:

«زازا» شابة وسيمة السمات، أنيقة الروح تعشق الشعر، قديمه وحديثه. وتحفظ الكثير من هذا وذاك، ولم تكن ذات مطمع كمطامع الغانيات فهي المرأة الوحيدة التي أحبت الشاعر.

كل همها في الحياة أن تكون الى جانب شاعر يحبها وتحبه.

وقد لعبت زازا دورا في حياة ثلاثة من الشعراء - قبل شاعرنا- كلهم جهير الصوت، واثير عند الناس. ثم انتهت الى شاعرها الأخير فوجدت عنده ما لم تجده عند الأولين من تفرغ لها. وهام بها الى حد انها كانت كل همه، وشغله في أكثر يوم من مطلعه الى مطلع اليوم الذي يليه.

ثم وجدت عنده ما لم تجده عند غيره من نزعة الروح دون الجسد، وأحسب انها وقد عرفتها عن كثب- كانت لونا فريدا من النساء لا تستهويه نزعة الجسد.

تلك «زازا» التي نشر الشاعر اجمل ما تظفر به من الشعر في ديوانه الأخير «الطائر الجريح».

وانما روعة هذه القصيدة انها تلم بالظروف التي كان يعيشها الشاعر في تلك الحقبة من عمره قسوة من الدهر، وقلة في العافية ونقص في المال، واستسلام مطلق الى اليأس.

ظلت «زازا» الى جانبه الى آخر ايام حياته تهبه حياتها وهي صبية وهو شيخ يقترب من الستين وهو فوق ذلك قليل الحظ من الجمال والصحة والفحولة.. مريض بذات الرئة، فما من شك أنها كانت تحبه حبا مثاليا لا غاية وراءه الا الحب في ذاته.

وعندما مات لم تحزن «زازا» ولم تلبس عليه السواد، وانما فعلت هذا لا عن جمود، بل عن فلسفة فوق فلسفة الأرض، وعن إيمان منها بأن الشاعر لم يمت كل ما حدث انه ذهب ولم يترك عنوانه، كما قالت في رسالة منها الى الشاعر أحمد رامي..

هذا، والدكتور ابراهيم ناجي الى شاعريته المخضلة، المتعددة الألوان، فهو أديب متفتح الذهن ملم الماما واسعا بالثقافة العالمية وبالأدب العالمي بصورة خاصة، وقد كتب المقال، وكتب القصة، وحاضر في مختلف الأندية، وتناول الأدب العربي الحديث على ضوء من هذه التطورات التي هزت الضمير البشري بعد الحرب العالمية الثانية، وله آراء وأفكار لم تعجب الجامدين من أنصار القديم، فعبر عنها بانطلاق، وهي آراء كان يعكس ألوانها على أحدث نظريات علم النفس، فالأدب صورة من الحياة في تطور مستمر، وبدهي أن يساير أدبنا هذه التطورات.

وقد كتب في هذا المضمار عدة أبحاث تناثرت في الصحف والمجلات، وقد اختصت «الحديث» ببعضها فمن أبحاثه «مشكلات العصر الحديث» و «الشعر العربي الحديث» و «سيكولوجية الأدب» و «الوعي الأدبي».. الى أبحاث عن «حياة شكسبير وعصره» و «فولتير» و «برغسون».. و «المدنية» و «سيكولوجية المرأة» و «الغريزة الجنسية» و«الضمير»و «الأقدار»، وغير ذلك من الأبحاث التي ان دلت على شيء فعلى أنه أديب متحرر من كل الرسوبات التي تحول دون تجاوبه مع تيارات العصر الذي نعيش في خضمه، وكان لهذا أثره الكبير في شعره الذي يجمع بين الجدة والانطلاق.

وأذكر أن شاعرنا ناجي حين اطلع على العدد الخاص الذي أصدرته «الحديث» عن توفيق الحكيم بقلم الدكتور اسماعيل احمد أدهم، رأى فيه فجوات لم تتناول حياته النفسية من كتبه، وهي ظاهرة جديرة بتناولها لتكتمل الدراسة، وحين أعددنا نشر الدراسة في كتاب طلبت اليه أن

يسد هذا النقص، وسرعان ما لبى الطلب وكتب دراسة واسعة ضمناها الى الكتاب، وكان ثمة اختلافات كبيرة في وجهات النظر، وقا، نشأ ذلك من اعتماد أدهم على طريقة استقرائية بحتة، اذ اعتبر الأشخاص والحوادث الممثلة في كتب توفيق الحكيم حقائق واقعية، بينما اعتبر ناجي أن توفيق الحكيم يعيش بعقله الباطن، ومن خصائص العقل الباطن الرمز والايحاء والاخفاء والتعمية. .

وهذه الدراسة ـ دراسة أدهم وناجي عن الحكيم ـ هي مرجع وثيق للذين يدرسون أدب الحكيم ومراحل حياته. .

وبعد فلا مجال للتوسع في الحديث عن مقالات ناجي في أدبنا المعاصر، فهي من السعة والشمول، ومن القيمة الأدبية بمكان فحسبي الالماع.

- ١١ -

عرفت ناجي بين الثلاثينيات والأربعينيات عن طريق اتصاله بـ «الحديث»، وكنت كلما زرت القاهرة التقيت به مع مجموعة من أدباء المدرسة الحديثة كنا نجتمع في المقاهي والأندية، ولا حديث لنا إلا الأدب ورسالة التجديد، وتلك الخصومات التي كانت تثور بين القدماء والمحدثين، وكثيرا ما أسهب ناجي في أحاديثه ونقده عن عقيدة وايمان، وهو متحدث بارع، يكاد يكون من أبرز أدباء «الشلة». .

النكتة دائما على طرف لسانه، والشعر نفحة من فيض قلبه، فلا تمر ظاهرة من ظواهر الحياة الا لفتت نظره وعلق عليها بالنقد أو بالغمز واللمز، تنتهي به الى نكتة ظريفة، وسرعان ما تستحيل الى قطعة شعر. ولطالما كتب هذه المقطوعات وهو مع أصدقائه، يتركهم يـ [illegible] ثرثرون واذا بصمته يستحيل شعرا، ولو أن هذه المقصرعات، وقد تناثر

أكثرها، لو جمعت لشكلت حيزا من ديوانه، وبعضها في المجون العف. نظم يوما الدكتور بشر فارس قصيدة وجدية لم ترقه فعارضها بقصيدة مجونية، ولعل بعض أصدقائه الأحياء يحفظون شيئا من هذه المعابثات، وهي اليوم وثائق لمؤرخي الأدب..

ولا أنسى مرة، ونحن في جروبي عدلي، وقد ضمت الجلسة محمود تيمور، وابراهيم المصري، ومحمد أمين حسونة، وغيرهم وغيرهم، والدكتور ناجي يتحدث عن آخر كتاب قرأه، ويحلل ما جاء فيه بأسلوبه الشائق الممتع، واذ بانسان بائس يطل الينا وأظنه الشاعر عبد الحميد الديب، فلا يكاد ينظر الى الجمع حتى تناول ناجي بكلام بذيء، مع أن ناجي كثيرا ما أحسن اليه وواساه وأشفق عليه ومنحه ما في جيبه، فتألم ناجي وتألمنا أن يقابل احسانه بالاساءة وكرمه بالجحود.. وسكت على مضض.. ولم يملك أن يكتب قطعة هجاء تتنافى وطبيعته الخيرة، ولكن الانسان يحرج أحيانافيخرج عن طوره..

رجلا أرى بالله أم حشره
سبحان من بعيده حشره
يا فخر «داروين» ومذهبه
وخلاصة النظرية القذره
أرأيت قردا في الحديقة قد
فلّته انثاه على شجره
عبد الحميد اعلم فأنت كذا
ما قال «داروين» وما ذكره
يا عبقريا في شناعته
ولدتك أمك وهي معتذره

وليالي ناجي من أمتع الليالي.. كانت ليلة الجمعة فرصته الوحيدة للسهر حتى الصباح، يعيش مع خلّص

أصدقائه، من مقهى الى مقهى، ومن تياترو إلى تياترو، ومن مرقص الى آخر، فتمر الليلة على أمتع ما تكون السهر، وقد أتيح لي، حين أكون في القاهرة أن أعايشه بعض تلك الليالئ، وأسهر معه تلك السهرات المشعة بالأضواء، فأحس برعشات الفن والأدب تثيره وتغمر كل خالجة من خوالج ذاته، ولا سيما حين يتراءى له الجمال المطلق مجسدا في اطار من الفن الذي يثيره، فلا يتمالك عن البوح عن هواجسه الدفينة، أو نزعاته اليقظة. . ولا شك أن أكثر قصائده الوجدية هي نتاج تلك الليالي التي يقص فيها بصدق نصص أشواقه ومواجيده. .

هذا وقد وصفه الأستاذ ابراهيم المصري فقال: شخصية الدكتور ناجي شخصية غريبة تستهوي كل من اتصل بها، شخصيته شاعر قلق يحيط بها ويغمرها السر الذي قذف بها الى هذا العالم، والذي لا تنفك تتساءل عنه وتتطلع اليه مبهوتة مما ترى حولها من ألم وجمال، شخصية خفيفة مجنحة لا تلبث أن ترف على الأشخاص والأشياء حتى تحلق في أجواء غير منظورة، أسعد ما تكون بالصمت والتأمل والصفاء.

تلتقي بالدكتور ناجي فتشعر كأن نسيما منعشا يهب عليك، وتصافحه فكأنما هو يفتح صدره لك، وتجلس إليه وكأنك في حضرة روح حائر، وتستمع لحديثه فيأخذك العجب من طهارة قلبه وبراءة نفسه وسلامة طويته وعذوبة صوته وطلاقة محياه، فتذهل ويتضاءل شخصك في عين نفسك، ويعز عليك نقصك، ولا يغريك في النهاية الا يقينك بأن الخير الذي استقر في سواك وتمثل نابضا حيا في قلب هذا الشاعر النبيل الشاب. .

وتحدق اليه فترى رجلاً هزيلاً متوسط القامة منكمش الأعضاء أصلع مقدمة الرأس، ناعس العينين مديد الذقن أشبه بالصورة التي تعرفها للشاعر الايطالي «دانو نزيو»، يمشي

وكأنه يتعثر، يصمت وكأنه غير موجود، يقبع في ركن من القهوة وغليونه في فمه وكأن سنة من النوم قد استغرقته.. ثم يتكلم بغتة ويفيض ولا يفتأ يتحرك ويتلفت ويلوح بذراعيه تلوحياً عصبيا متداركا فتحس لفورك رحابة نفسه واضطرابها وضيقها بما تحمل..

وتسمعه يجادل ويحتد وصوته أبدا صريح، وجنبه أبدا منبسط، والابتسامة الرقيقة لا تفارق شفتيه، وعينه الحالمة أصفى ما تكون محبة وعطفا، فيخطر لك أن تداعبه بنكتة ظريفة، وسرعان ما يتبدل ويستضيء وجهه ويتألق، وتشيع فيه نضارة معبودة كنضارة الأطفال، فيأخذ في ارسال النكتة تلو النكتة، حاضر البديهة، عبقري الفكاهة، جم الحيوية، يضحك ضحكات حرة عريضة مليئة، كأنما الفرح كله قد اجتمع في فؤاده.. وكأنه قد نسي في لحظة واحدة كل ما استشرقت عليه نفسه من هم الحياة..

والذي يسحرك في ناجي أنك عبثا تحاول توجيه اي نقد خلفي اليه- فهو يحب الجميع، ويخلص ويخدم الجميع، ولا يداهن ولا يغتاب ولا يشي ولا يتكبر، ولولا بعض الحياء في الطبع أكسبه اياه فرط الأدب، وراضه على التجاوز والصفح من حيث لا يجب التجاوز والصفح، لما وجدت أي مغمز فيه، ولقلت انه جاوز المنطقة المقدسة التي تفصل بين الكمال الانساني المحدود والكمال العلوي اللانهائي..

هذه شخصية ناجي كما عرفتها وآمنت بها وكما يقررها ويجمع عليها اخوانه وعارفوه[١].

- ١٢ -

ترك الدكتور ناجي غير دواوينه مجموعة من الكتب

والرسائل، منها المطبوع، ومنها غير المطبوع، فمن كتبه المطبوعة «مدينة الأحلام»، و«في فن القصة» نشرته مجموعة (كتب للجميع) بعنوان «ادركني يا دكتور»؛ ترجمة رواية «الجريمة والعقاب» لـ «دويستوفوسكي». أما غير المطبوع من كتبه فهي «عالم الأسرة»، و «كيف تفهم الناس»، و «رسالة الحياة» ـ جزءان ـ، و «قراءات أحببتها»، و «الحب والجنس»، و «أزهار الشر» عن بودلير مع ترجمة لبعض أشعاره، و«رباعيات ناجي»، و «أهازيج شكسبير»، وعدة أبحاث ومحاضرات منتشرة في بطون الصحف والمجلات لو جمعت لألفت كتابا كبيرا..

هذه صور متعددة الجوانب عن ناجي الشاعر الأديب الذي كان يسلط أحدث أضواء علم النفس على أدبه، وقد ترك خلال هذه الفترات من عمره زادا دسما لعشاق الأدب سواء من شعره أو نثره أو ترجماته، وما كاد يصل الى السن التي ازدادت فيها تجاربه وازداد عطاؤه حتى خسر الأدب هذا الشاعر الفريد الذي جعل الشعر، كما ذكرت، وكما ردده لي أكثر من مرة، النافذة التي يطل منها على الحياة، ويشرف منها على الأبد، وما وراء الأبد والهواء الذي يتنفسه والبلسم الذي داوى به جراحات نفسه حين عز الأساة.

هذا وبالنظر للصلاة الوثيقة التي كانت بيني وبينه، فقد دعوته لالقاء محاضرة في «دار الكتب الوطنية» بمدينة حلب، والتي كنت أشرف عليها، ولبى الدعوة وتحدد اليوم السابع والعشرين من شهر آذار ـ مارس ـ سنة ١٩٥٣، كما تحدد موضوع المحاضرة وهو «الخواطر العالمية الحديثة في الأدب والاجتماع». وأرسلت إليه بطاقات السفر، وتلقيت منه برقية في الثالث والعشرين يعلمني فيها أنه سيغادر القاهرة يوم الاربعاء على متن الطائرة التي تقوم من الاسكندرية الى حلب، وطبعت بطاقات الدعوة، ووزعت على الجمهور، وارتقبت وصوله في الموعد الذي ضربه، ووصلت الطائرة

دون أن يكون بين ركابها هذا الطائر الغريد . .

لقد تشاءمت، ولا أعلم سبب تشاؤمي، وجالت في خاطري هواجس غريبة عن الموت، عن موت ناجي . . أي والله . . مرت هذه الخواطر السوداء من فكري دون أن أعرف أي مبرر لها ثم توقعت ألف سبب لتخلفه الا موته . . ولم أكن أعلم أن الساعة التي حددها لمغادرة القاهرة هي ساعة مغادرته هذه الدنيا، فلم يغادر القاهرة الى حلب بل الى الدار الآخرة .

لقد احتشد الناس بالمئات في قاعة دار الكتب وكلهم من عيون المفكرين يرتقبون وجه الدكتور ناجي ليحاضرهم في الأدب والاجتماع، وليعرض الى أحدث الآراء العالمية في هذين الفنين الذي يجيد الحديث عنهما إجادة مطلقة ـ ارتقبوا أن يستمعوا من خلال بسمته التي لا تفارقه أن ينثر تلك الآراء بأسلوبه الشاعري، الذي يفيض بأزاهير الأدب والحكمة، وتغمره هذه الهالات من أصفى مبادىء علم النفس، ولكن القدر خيب ظنهم، فوقفت وأنا جزع النفس أذيع عليهم هذا النبأ الحزين . .

وتحدثت عنه طويلا . . عن شعره وأدبه وخلقه ومواهبه، والكثير من الذكريات . . وقد بكيت وبكى الحاضرون، ثم ختمت كلمة الرثاء بقولي :

أيها السادة : لقد جئتم لتسمعوا حديثا منه، فاذا بكم تسمعون حديثا عنه، وأي حديث تسمعون، نبأ وخبر موته . . فيا لسخرية القدر . .

ـ ١٤ ـ

هذا الديوان

تعمل دار العودة في بيروت ـ بشخص مديرها ـ على نشر

واعادة نشر دواوين شعراء المدرسة الحديثة في مجلد واحد، وطباعة أنيقة تيسر للقارىء العربي الالمام بفترات التطور، وبكل ما أصدره الشاعر.

وقد نشر أكثر من ديوان، فدل بعمله على ذوق فني، وروح محبة للشعر..

وها هو ذا يعنى بنشر شعر الدكتور ابراهيم ناجي، الشاعر الغنائي الغني بموسيقاه، كما هو غني بصوره ومعانيه، وكان في طليعة شعراء المدرسة الحديثة، وقد طلب مني كتابة مقدمة عن ناجي وشعره وصور من حياته، فلم أتردد لما أحمله في نفسي من حب وتقدير، وقد بسطت ما أعرفه عنه، وما عرض اليه الأدباء والنقاد، ما له وما عليه. . وقد ضم الديوان ما في دواوينه «وراء الغمام»، و «ليالي القاهرة»، و «الطائر الجريح»، وما تناثر في الصحف، وما رشح من ذاكرة أصدقائه. وقد جعلت قسم الاخوانيات والمداعبات والرثاء والمدح في نهاية الديوان، وقصائد المدح قليلة، اذ لم يكن الشاعر مدّاحا من طراز أولئك الذين يستجدون بأماديحهم الكاذبة الهبات والأعطيات، بل كان في مدحه من طراز أولئك الذين أحسنوا إليه في محنته، ووقفوا إلى جانبه ضد أولئك البغاة الذين تكالبوا عليه، فلم يستطع إلا أن يعبر عن خوالجه بشعر نابع من القلب.

أما شعره الوجدي، ونزعاته الصوفية والفلسفية، فقد احتلت صدر الديوان، وهي مجموعها مقطوعات وقصائد تؤلف قصيدة واحدة، أو ملحمة من ملاحم الحب.

وبعد فلا أسترسل أكثر من هذا، ولأترك للقراء أن يستمتعوا بجمال شعره، وبالكثير من لوحاته البارزة المعاني والالوان

سامي الكيالي

فهرست











